مجلة ربع سنوية علمية محكمة

أيلول / سبتمبر
2024

افتتاحية العدد
النساء شقائق الرجال
بقلم فضيلة الأستاذ
الشيخ سليم عبد اللطيف
يوسف

The reflective thinking skills of mathematics and sciences of preservice teachers at the Lebanese University
by: Samar Tfaili and Zainab Mohammad Al-Homsi

قراءة في رواية "ياقوت من خوابي الشقيف" لعديّ الموسوي
بقلم الأستاذ الدكتور
علي مهدي زيتون

طقوس الموت في أرض الطوفان
بقلم الكاتب الشيخ
علي حمادي العاملي

أصول التربية الوقائية في القرآن الكريم سورة الفلق نموذجاً
بقلم الطالب حسين علي قدوره

طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط، دراسة في المصادر الجغرافية الإسلامية
بقلم أ.د. وجدان فريق عناد

مجلة وميض الفكر

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

وميض الفكر
مجلة ربع سنوية علمية محكمة

© جميع الحقوق محفوظة

h_imamomais@hotmail.com

wameed.alfkr@gmail.com

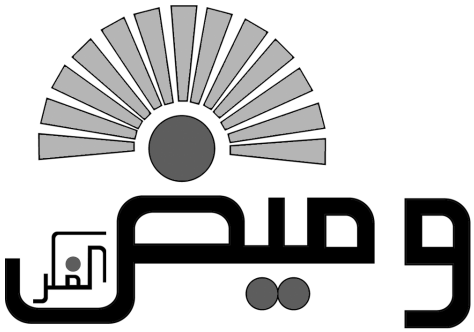

التعريف:

هي مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، علم وخبر 1193/ أ.د

يرأس تحريرها: د. هيفاء سليمان الإمام،

ويعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النهضة العربية / بيروت – لبنان.

وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية) تحت رقم 928

والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 2018/ 475،

حائزة على الأرقام الدولية المعيارية التالية:

issn :2618 – 1312

e – copy :2618 – 1320

IF: Ref.No: 2020 J101

DOI: 1018756/2020 J101

code ARCI–2007–1110

دار النهضة العربية

مجلة «وميض الفكر» للبحوث
العدد الثالث والعشرين (أيلول/ سبتمبر 2024)

مجلة «وميض الفكر» للبحوث
مجلة علمية محكمة فصلية
Issn paper print:2618-1320
Issn e copy: 2618-1320

حصلت مجلة وميض الفكر للبحوث

على معامل التأثير العربي لعام 2023 وقدره 2.64

وترتيبها 47 من بين 2157 مجلة عربية

تصنيف معامل التأثير لمجلة وميض الفكر في السنوات:

2020-2021-2022- 2023

مجلة وميض الفكر للبحوث	
اسم المجله بالانجليزيه	Journal of Thought Flash Research
ISSN	26181312
الدوله	لبنان
اصدارات المجله	اضغط هنا
معامل التاثير لسنه 2020	1.35
معامل التاثير لسنه 2021	2.4
معامل التاثير لسنه 2022	2.54
معامل التاثير لسنه 2023	2.64

(ونالت الأرقام التالية:)

(Ref.No:2020J1010)

وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .

كما تم فهرستها في **مؤسسة الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية**

تحت رقم: ARCI code-111-2007

الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية
ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

السيد الأستاذ الدكتور/ رئيس تحرير
وميض الفكر للبحوث المحكمة

يسعدنا أن نفيدكم بأن مجلة **وميض الفكر للبحوث المحكمة** (الرقم الدولي 2518-1312) قد تم إدراجها ضمن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية.

يرجى تزويد مزود البيانات الخاص بالكشاف بالاتصال بكم بشأن الحصول على أعداد المجلة الحديثة في صيغة XML، والتي يتم استيرادها عبر منصة كلاريفيت Clarivate's Web of Science™. وبمجرد استكمال تحميل الملفات يمكن للأعداد المحتوى عرضها للعرض.

يرجى مراجعة التفاصيل عن عملية اختيار المجلات لإدراجها في الكشاف والمزيد عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية. فيما يلي بعض الروابط المفيدة:

عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:
http://archive.ekb.eg/?page=aboutar.html
دليل كلاريفيت للكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:
https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arcif
معلومات عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية على منصة شبكة العلوم:
https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/
لمزيد من الاستفسارات، يمكنكم التواصل مع:
arcif@ekb.eg

تحياتي
الأستاذ الدكتور/ شريف كامل شاهين

رئيس لجنة التقييم بالكشاف العربي للاستشهادات المرجعية

الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية
ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

Dear Prof./ Editor-in-chief of:
وميض الفكر للبحوث المحكمة

Congratulations! وميض الفكر للبحوث المحكمة (ISSN 2518-1312) has been selected for inclusion in the Arabic Citation Index (ARCI).

The data provider for the Arabic Citation Index has been advised to contact you regarding acquiring issues for XML upload to the Arabic Citation Index, hosted on Clarivate's Web of Science™ platform. Once the data provider has completed their XML preparation and uploaded your content to the Web of Science platform, your content will be available for display.

Details of the Arabic Citation Index Editorial Selection Process can be found below. To learn more about ARCI, here are some helpful links:

About the Arabic Citation Index :
http://archive.ekb.eg/?page=aboutar.html
Clarivate LibGuide on ARCI :
https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arcif
Information on the ARCI on the Web of Science platform :
https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/
If you have any questions about the editorial process or your journal, you may contact us at ARCI@EKB.eg

Kind Regards,
Prof. Sherif Kamel Shaheen

Head of ARCI Editorial Committee

هيئة الإدارة والتحرير

المشرف العام على المجلة: الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون

المستشار العلمي والبحثي: الدكتور يوسف السبعاوي

رئيسة التحرير: الدكتورة: هيفاء سليمان الإمام

مديرة التحرير: أ. لينا محمد عبد الغني

الاتّصال والمراسلات:

هواتف المجلة: 009613691425

فاكس المجلة: 009618630280

الموقع الإلكتروني:www.wameedalfikr.com

البريد الإلكتروني:wameed.alfkr@gmail.com

البريد الإلكتروني لرئيسة التحرير:haifaa.imam@liu.edu.lb

الاشتراكات: لبنان والدول العربية 125 $ سنوياً

باقي دول العالم 150 $ سنوياً

فهرس المحتويات:

- **الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد:**.....**9**
- **رؤية المجلة:**.....**11**
- **هدف المجلة:**.....**11**
- **قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر**.....**12**
- **قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث**.....**13**

افتتاحية العدد: تحت عنوان النساء شقائق الرجال

بقلم : فضيلة الأستاذ الشيخ سليم عبد اللطيف يوسف.....**18**

كلمة العدد: بعنوان المرأة وإعداد الفكرة

بقلم رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الإمام 22

أبحاث العددِ الثالث والعشرين (أيلول/ سبتمبر 2024)

قراءة في رواية «ياقوت من خوابي الشقيف» لعديّ الموسوي

بقلم الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون.....25

طقوس الموت في أرض الطوفان

بقلم الكاتب الشيخ: علي حمادي العاملي.....34

باب التربية:

1-The reflective thinking skills of mathematics and sciences of preservice teachers at the Lebanese University

Done BY: Samar Tfaili and Zainab Mohammad Al-Homsi.....**39**

2 - التنفيذ الفعلي لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة، من وجهة نظر المعلّمين والمشرفين التربويّين وذلك في سياق التطوّرات التكنولوجيّة الأخيرة

بقلم الطالبة: تيا ماريا البعيني..... 54

باب التاريخ:

1 - طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط، دراسة في المصادر الجغرافية الإسلامية

بقلم أ.د. وجدان فريق عناد.....79

2 - علماء الشيعة في لبنان: بناء الهويّة والدور والامتداد الإسلاميّ والعربيّ

بقلم: بلال يوسف شمص 98

3-حركات التحرر الكوردية في العراق1980-1914

بقلم الطالب : أحمد عبد القادر عثمان.....117

باب العلوم الدينية:

1 - أصول التربية الوقائية في القرآن الكريم سورة الفلق نموذجاً

بقلم الطالب: حسين علي قدوره.....132

2 - معالم من شخصيّة السيدة فاطمة الزهراء (ع) في القرآن الكريم

بقلم الطالبة: نوال الحاج دياب.....157

باب اللغة العربية وآدابها:

1 - الفيروسات، أسبابها، أنواعها، تأثيراتها

بقلم الطالب عــلاء علي عابدة 180

2 - إرادة الحياة لأبي القاسم الشّابي (دراسة في تحليل الخطاب)

بقلم الدكتورة :آمنة إبراهيم شكر.....189

باب العلوم القانونية والإعلام:

1 - آثار انعقاد المسؤولية المدنية الطبية في القانون اللبناني

بقلم: نجلاء عصام حسن شبلي.....204

الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد:

1. أ. د. **أحمد فارس:** (لبنان) كلية الدعوة الإسلامية في بيروت، وأستاذ اللغة العربية والآداب في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.
2. أ. د. **رحيم حلو محمد شناوة البهادلي**(العراق) أستاذ تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي في كلية التربية _جامعة البصرة.
3. أ. د. **عبد المجيد عبد الغني(لبنان)**:خبير دولي في التعليم والتدريب والتخطيط الاستراتيجي مدير عام شركة عبر الحدود للاستشارات والتدريب– لبنان.
4. أ. د. **عفيف عثمان:** (لبنان)أستاذ الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.
5. أ. د. **علي زيتون:** (لبنان) جامعة المعارف، رئيس مجلس الأمناء فيها، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي ورئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية.
6. أ. د. **علي محمود شعيب:**(مصر) أستاذ الصحة النفسية في كلية التربية – جامعة المنوفة، قسم علم النفس التعليمي.
7. **أ.د. محمد علي القوزي :**(لبنان) جامعة بيروت العربية، رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الحديث والمعاصر فيها.
8. أ. د. **لبيب أحمد بصول:** (فلسطين) أستاذ دكتور في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة خليفة أبو ظبي– الإمارات.
9. أ. د. **محمد توفيق أبو علي:** (لبنان)الجامعة اللبنانية، أمين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين، وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً وأستاذ اللغة العربية فيها.
10. أ. د. **مصطفى معروف موالدي**(سوريا)، أستاذ التاريخ في جامعة حلب وعميد معهد التراث العلمي العربي فيها.
11. أ. د. **نشأت الخطيب:** (لبنان)أستاذة التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.
12. أ. د. **وجدان فريق عناد:** (العراق)جامعة بغداد، أستاذة التاريخ الإسلامي فيها، اختصاص تاريخ وحضارة الأندلس، ورئيسة تحرير مجلة التراث العلمي العربي في العراق.
13. أ. د. **مهى خير بك ناصر:** (لبنان) أستاذة الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها في المعهد العالي للدكتوراه –الجامعة اللبنانية.
14. أ. د. **هالة أبو حمدان:**(لبنان)أستاذ مساعد في مادة القانون في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

15. **أ. د. وجيهة الصميلي** (لبنان): رئيسة قسم اللغات في كلية التربية / الجامعة اللبنانية.

16. **الأستاذ المشارك الدكتور رشيد أحمد حسن** (اليمن): نائب العميد لشؤون الطلاب في كلية التربية/ جامعة زنجبار، و حاصل على لقب أستاذ مشارك من جامعة أبين وفي قسم اللغة العربية/ كلية التربية جامعة زنجبار، أستاذ النحو واللغة المساعد فيها و في جامعة عدن.

17. **الدكتور موسم عبد الحفيظ** (الجزائر): أستاذ مساعد «أ» ودائم في قسم العلوم الإنسانية بجامعة سعيدة، وعضو في المجلس العلمي لكية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة. أستاذ مؤقت في قسم التاريخ بجامعة تلمسان.

18. **الدكتورة ضحى لعيبي كاظم السدجان البهادلي: (العراق)**، أستاذ مساعد دكتورة في الجغرافية البشرية والسياسية، كلية التربية – قسم الجغرافية/ جامعة ميسان، لها عدد من الكتب البحوث المنشورة.

19. **الأستاذة الدكتورة راما عزيز دراز (لبنان)** : أستاذة التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة بيروت العربية.

20. **أنور فاضل علي صبي الخالدي:(العراق)** معين في ملاك دائم في مديرية تربية النجف الأشراف، واستاذ مساعد في جامعة الكوفة، وعضو لجنة الترقيات العلمية في مديرية النجف الأشرف

رؤية المجلة:

تتطلع الهيئة العلمية المشرفة على مجلة وميض الفكر للبحوث التربوية والعلوم الإنسانية إلى أن تكون المجلة منصة أكاديمية للبحث العلمي المميز على مستوى الوطن العربي بحيث تساهم في تعزيز بيئة البحث العلمي بتنفيذ أكبر قدر من المشاريع والمتطلبات الأكاديمية للطلبة والباحثين، كما أنها تتطلع إلى الريادة في مجال البحث العلمي من خلال النمو المستمر بالأفكار والتطوير الذي لا يتحقق إلا من خلال نخبة من الباحثين والمهتمين بهذه المجالات.

أهداف المجلة:

تهدف مجلة وميض الفكر للبحوث إلى توفير مرجعٍ علميّ وتلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في النشر العلمي، خاصة في مجال التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

فهرسة وأرشفة النتاج العلمي والمعرفي العربي في كبرى قواعد البيانات العلمية العالمية.

توفير عملية مراجعة ونشر سريعة وفعالة للأبحاث والأوراق العلمية.

قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر للبحوث:

على المحكم أن يقدم إلى إدارة المجلة تقريراً مفصلاً عن تقييمه للبحث المرسل إليه لتحكيمه ضمن المعايير المعتمدة في المجلة ويكون على الشكل التالي:

I. الصفحة الأولى:

التوجه إلى إدارة المجلة.

الموضوع.

المرجع.

اسم المحكم وصفته ودرجته العلمية.

التاريخ.

II. الصفحة الثانية:

عرض أهم نقاط البحث

III. الصفحة الثالثة:

الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. هل موضوع البحث ينسجم مع تخصص الباحث؟
2. هل يعتبر البحث من البحوث المهمة في موضوعه؟
3. كيف يتم عرض البحث وكتابته ووضوحه؟
4. هل إشكالية البحث واضحة في عنوان البحث وفي مضمونه؟
5. ما هو منهج البحث الذي اعتمده الباحث؟
6. هل البحث يعتبر إسهاماً في مجال البحث العلمي الرصين؟
7. ما هو رأيك بنتائج البحث؟
8. ما هي حداثة المراجع وأهمية المصادر المعتمدة في البحث؟

IV. الصفحة الأخيرة:

علامات التقييم:

1. ما هو تقييمك لجودة وعاء النشر وسعة انتشاره (المجلة)؟
2. هل يعتبر البحث أصيلاً؟
3. هل البحث صالح للنشر؟

قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث:

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار.

وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم التربوية والإنسانية.

أولاً: قواعد عامة:

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

ثانياً: الأبحاث أو المقالات:

ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية مدققة لغوياً مرفق بملخص عن البحث باللغتين العربية وأخرى أجنبية(فرنسي او انكليزي)–على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلّة.

توجّه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورا.

يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الـ Word 2003، مع الالتزام بنوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (size 14)، التباعد بين السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته على 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة

بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

يذكر الباحث اسمه وجهة عمله مترجمين الى لغة اجنبية(فرنسي او انكليزي) اضافة الى عنوانه الإلكتروني وصورة له على ورقة مستقلة، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.

يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 110 دولار أميركي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع خمس عشرة نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

ثالثاً: المصادر والحواشي:

يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في أواخر الصفحات من كل بحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق العالمي وهي:

1 – طريقة هارفرد Harvard لتوثيق المصادر

من بين اساليب التوثيق في البحث العلمي أكثر طرق التوثيق سهولة وهي "طريقة هارفرد Harvard " حيث نجد الكثير من الابحاث العلمية اعتمدت عليها في كتابة المصادر والمراجع والمصادر المستخدمة في البحث، وهذه الطريقة منقسمة على قسمين:

التوثيق داخل البحث:

اذا كان تم استخدام فقرات من المراجع دون تصريف او تغير فيها – النقل الحرفي من المراجع – يتم وضع النص المُقتبس بين علامتي التنصيص، وبعد الانتهاء من كتابة الفقرة المقتبسة نتبعها بكتابة اسم العائلة للمؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة كالشكل التالي "_____". (اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة).

وفي حال كان الباحث العلمي قد اقتبس من المرجع لكنه اخذ يعدل فيه او عمل في الاقتباس بتصريف يتم التوثيق على نحو الشكل التالي، (ـــــــــــ النص المُقتبس ـ ـــــــــ). (اسم عائلة الباحث، سنة النشر، رقم الصفحة).

بعض الامور يجب ملاحظتها اثناء التوثيق داخل نص الرسالة اهمها اننا عندما نكتب اسم الكتاب في نص الرسالة لا نكتبه مرة اخرى في التوثيق وانما نكتفي ب (سنة الطبق، رقم الصفحة)، وفي حالة وجود أكثر من مؤلف نعتمد على الشكل اعلاه ونبدأ باسميّ العائلة لكلا المؤلفيّن او المؤلفين وبقية التوثيق كما هو، إذا كان الاقتباس من الانترنت نعمل على توثيقه بالشكل التالي: (كاتب المقال او مالك الموقع، سنة النشر).

التوثيق في فصل المراجع:

إذا كان للكتاب صاحب واحد كان التوثيق كما يلي:

اسم العائلة للمؤلف او المؤلفين، اسم المؤلف او المؤلفين، سنة الطبع، عنوان الكتاب، الطبعة او الجزء ان كان المرجع على أكثر من جزء، دار النشر. يتم اتباع نظام التوثيق السابق مع المقالات والمجلات العلمية. ان كان المرجع موقع على الانترنت يتم اتباع نفس طريقة التوثيق السابقة مع كتابة سنة الزيارة ووقتها.

2 – طريقة MLA

منظمة اللغة الحديثة Modern Language Association اعتمدت MLA كطريقة لكتابة المراجع العلمية في الدراسات والابحاث المتخصصة في الفلسفة، والمنطق، والاديان، والآداب، والتاريخ، والمجالات التربوية المتنوعة بالإضافة الى مجموعة العلوم الانسانية المعروفة وفيما يلي توثيق توضح هذه الطريقة المراجع

مراجع التي لها مؤلف واحد: اسم عائلة المؤلف، الاسم الاول للمؤلف. اسم الكتاب. مكان النشر: دار النشر، سنة الطباعة.

مراجع الذي له أكثر من مؤلف: اسم عائلة الكاتب الاول، اسم الكاتب الاول، اسم الكاتب الثاني كما جاء في الكتاب. اسم الكتاب. مكان النشر: دار النشر، سنة الطباعة.

المرجع المترجم وله أكثر من مشارك في إعداده: اسم عائلة المحررا\ون، اسم المحرر

(معد). اسم الكتاب. مكان النشر: دار النشر، سنة النشر.

المرجع المكون من مجموعة اجزاء: اسم العائلة، اسم الكاتب الشخصي. اسم الكتاب. الجزء او الاجزاء المستخدم في الرسالة. الطبعة. مكان النشر: دار النشر، سنة النشر. عدد الاجزاء المكونة للمرجع. يجب الفصل بين الاجزاء بالعلامة [–].

المقالات العلمية واستخدامها كمرجع: اسم عائلة الكاتب، الاسم الاول للكاتب، اسم المعد للموسوعة. "اسم المقالة" اسم الموسوعة العلمية (سنة النشر)، الجزء، الصفحات

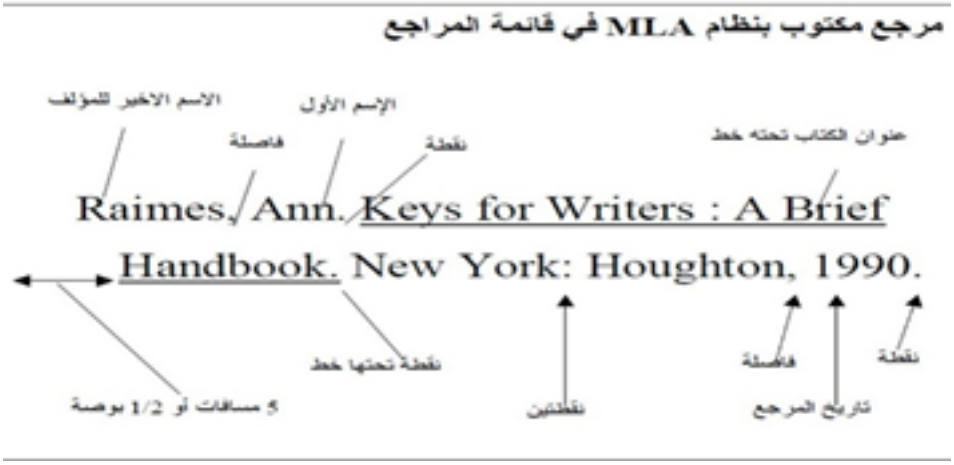

3_ طريقة APA (American Psychological Association)

وهي طريقة خاصة لتوثيق الابحاث العلمية المتخصصة في العلوم النفسية وما يندرج تحتها من فروع علم النفس التخصصي، وتكون طريقة توثيق المراجع وفقها على النحو التالي:

اسم عائلة الكاتب، اول حرف من الاسم الشخصي. الحرف الاول من اسم والد الكاتب. (سنة النشر). اسم الكتاب: دولة النشر : دار الطباعة. ونطبق ما طبقناه من زيادات في الطريقة الثانية اذا ما تعدد الكتاب للمرجع الواحد او تعددت اجزائه

مثال مرجع مكتوب بنظام APA

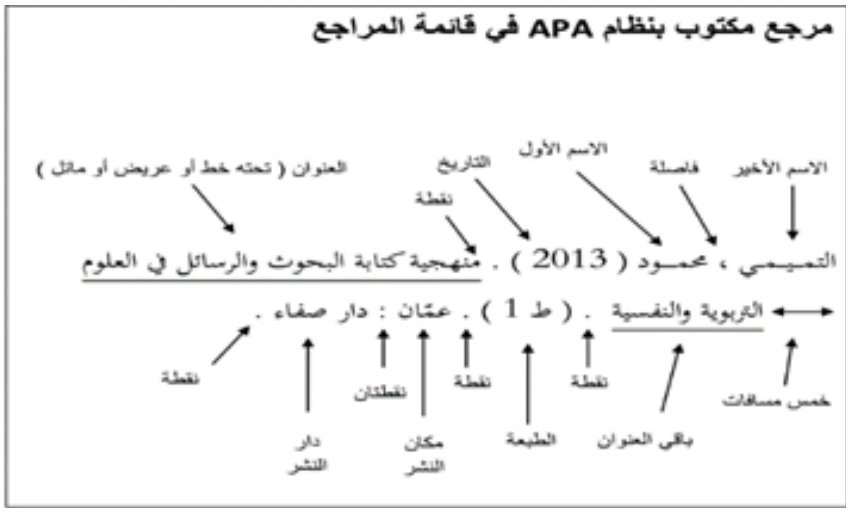

يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

رابعاً: إجازة النشر:

يجري إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال أسبوعين من تاريخ التسليم، مع إخبارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد ارسالها الى فحص الاستلال(علماً بان المجلة ترفض البحث الذي يحتوي اكثر من 20 بالمية الاقتباس)، ومن ثم يتم عرض البحوث على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري، أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى)، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

ملاحظة: إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الباحث وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

افتتاحية العدد:

النساء شقائق الرجال

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ سليم عبد اللطيف يوسف

رئيس المنتدى العلمي البقاعي ومؤلف عدد من الكتب التاريخية والدينية

Salimyoussef1@hotmail.com

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهد الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ....

إن مقولة الجندي المجهول ليست حكراً على الرجال فقط، بل كان للنسوة في الإسلام دورهن في هذا المجال لا يقل أهميةً عن دور الرجال، ويكفي أن يصور هذه الميزة قول النبي صلى الله عليه وسلم (النساء شقائق الرجال) لكي ندرك حقيقة المقام الذي وضعه الرسول المعلم للمرأة، ومن ثم نقوم بتسليط الضوء على العالمات المنجبات في الإسلام، وقد كان منهن من كن شيخات للأئمة الكبار من الفقهاء والمؤرخين والمحدّثين. ونمهد لذلك بقوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأولو العلم)(آل عمران – 18)، فالله سبحانه و تعالى بدأ بنفسه وثنّى بالملائكة وختم بأولي العلم.

يقول الإمام القرطبي: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لما قرنهم الله تعالى باسمه مع الملائكة، وإنه لأرفع وسام يعطى لأهل العلم وهذه خصوصية ولا أسمى منها. ومن هنا جاء قول المصطفى صلى الله عليه وسلم (إن العلماء ورثة الأنبياء) وقوله أيضاً (العلماء أمناء الله على خلقه).

يقول حبر الأمة عبد الله بن عباس: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة. والله تعالى يقول: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)(المجادلة – 11)، كما يقول أيضاً: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) ﴿الزمر – 9 ﴾.

بعد هذا التمهيد نقول: هناك عالمات شغلن الناس، وقدمن للإنسانية والفكر أروع الأمثلة ، وما زلن يتركن بصمات مباركات على المجتمع في شتى المجالات، ومن هؤلاء الأخت الفاضلة الدكتورة هيفاء سليمان الإمام التي واءمت بنجاح بين أدوار شريفة شتى، فهي أم و زوجة مثقفة، ورئيسة تحرير مجلة (وميض الفكر المحكمة). وهذا يعني أنها تقف على رأس ميزان دقيق لتصريف الكلمة ونقدها واختيار الأفضل منها من بين حملة أقلام يسيل منها الجمال والحكمة، هذه المجلة التي تزداد وميضاً وألقاً بفضل سهر القائمين عليها لخدمة العلم ، وبذلك تكمل دور العالمات المحدثات الحنبليات وما أكثرهن في بعلبك البقاعية عاصمة الفكر والمفكرين. والدكتورة هيفاء كانت وفيةً للدور الذي خصها به الله تعالى، كأنثى واعية ومثقفة يشكل جنسها نصف المجتمع ويشاركن في بنائه، كيف لا وقد كرمهن الله فأنزل باسمهن سورة النساء، وهي سورة كاملة تتلى إلى يوم الدين. في حين لم تنزل سور باسم الرجال، وإنه لشرف عظيم للمراة أن تولى الله تعالى تكريمها، ورفع شأنها بعد أن كانت توأد حيةً قبل الإسلام ، و ينظر لها نظرة دونية لا تليق بدورها الرائد. والمرأة صانعة الرجال التي تهز المهد بيمينها والعالم بيسارها. وبعض منهنّ صرن شيخات لكبار الأئمة والفقهاء والمحدّثين. يقول الداعية المفكر الإسلامي الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : قد كنت أظن النساء آخر من يشتغل بهذه العلوم – علوم السُنة النبوية – بله أن يبرزن فيها، ويبلغن مرتبة الإمامة حتى قرأت رسالة (السُنة النبوية في القرن السادس الهجري) للدكتور محمد إبراهيم الديك،

فوجدت عالمات بالسُنة لا يشق لهن غبار ولسن نزراً يسيراً، بل عشرات من العالمات الثقات، والقرن السادس ليس من قرون الازدهار العلمي في تاريخنا العربي والإسلامي، بل هو من أواخر العصر العباسي الثاني عندما مالت شمس الدولة العباسية للغروب، ثم سقطت تحت براثن التتار في منتصف القرن السابع، و نسأل من صنع هذا الرجحان الأدبي؟ من جعل الأمة المغلوبة تبقى سيدة الموقف وإن خسرت عسكرياً؟

ونجيب بالقول إنهم العلماء والدعاة والمربون!، وهؤلاء هم الجنود المجهولون الذين أنقذوا رسالة الإسلام عندما عبثت بمستقبلها السياسة، وهذه النماذج تكررت في العالم أيضاً، فإن الشعب الألماني حفظ مستقبله واستعاده بعدما أضاعه هتلر، وكذلك الشعب الياباني، فالمهم أن تكون أعمدة الحضارة في تأريخ الأمة قائمة لا منهارة (محمد الغزالي– تراثنا الفكري– ص– 195 و ما بعدها)، ومن غير العلماء يمكن أن يقوم بهذا الدور الحضاري؟ هذا وإن ما ذكره الدكتور محمود إبراهيم الديك في رسالته المذكورة آنفاً، وما أشار إليه الداعية والمفكر الإسلامي محمد الغزالي في كتابه ما هو إلّا غيض من فيض ، فالمكتبة الإسلامية تمتلئ بكتب العلماء من الجنسين، ويكفي أن نذكر كتاب (تأريخ مدينة دمشق) للحافظ بن عساكر(ت–571هجري–1175 ميلادي)، و هو في ثمانين مجلدا (طباعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت – تحقيق محب الدين العمروي – 1995م)، وقد خص النساء بالمجلد 69 من موسوعته الحضارية هذه، وتبعه العالم المعاصر الدكتور محمد أكرم الندوي الذي جمع جهود المتقدمين في موسوعته النسائية (الوفاء بأسماء النساء) في 43 مجلداً، وهي من (إصدارات دار المناهج في مدينة جدّة– بتأريخ 1442 هجري– 2021 ميلادي) وهي تترجم لأكثر من عشرة آلاف عالمة محدّثة، وبعد ، فهذه هي المرأة التي تشكل نصف المجتمع، وهي تقاسم الرجل حياته وهي ريحانة عمره، ورفيقة دربه، ومهبط نجواه، وتلك آية الله تعالى ومنّته ورحمته لقوم يتفكرون، ويكفي أن نشير إلى موقف المرأة زوجة النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعثة عندما أصابه الروع لرؤية الروح الأمين جبريل أول عهده برؤيته، فلم يجد وهو رسول الله وصفوته من خلقه إلّا زوجه خديجة لتسرّي عنه، عندما قال لها: لقد خشيت على نفسي، وتجيبه زوجته الناضجة الواعية الحنون: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرّحم وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف ، وتعين على

نوائب الحقّ. (د. علي محمد الصلابي – السيرة النبوية – ص – من 72 – 80). فكان موقف خديجة من خبر الوحي يدل على سعة إدراكها ، فقد أدركت أن من جُبلَ على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبداً، وهو يؤكد أن المرأة ليست بالخلق الضعيف، فإن من احتمل ما احتملته في ظلمات التأريخ من عنت الدهر، وعسف الأب، وصلف الزوج إلى وقر الحمل وألم المخاض، وسهد الأمومة ، راضيةً مطمئنةً لا تكون ضعيفةً، والمرأة ليست بالمخلوق الحقير، فإن من وكله الله ببناء الكون، وإنشاء الأمم لا يكون حقيراً، ألا إنما المرأة دعامة من دعامات الوجود ، وهو يظل ناهضاً مكيناً ما نهضت به الأمم، ، فإن هي وهنت دونه وخذلته تهاوت أعمدته، وتصدعت جوانبه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (المرأة في حملها إلى وضعها إلى قضائها، كالمرابط في سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد)(أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد – 4 – 305).

كلمة العدد:

المرأة... وإعداد الفكرة

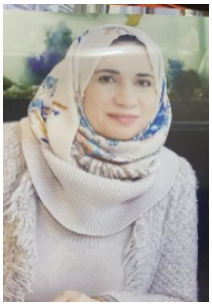

بقلم رئيسة التحرير :**الدكتورة هيفاء سليمان الإمام**

استاذ مشارك في الجامعة اللبنانية الدولية LIU

h_imamomais@hotmail.com

حضرات القراء الأعزاء، ان المرأة العربية تلعب دورًا محوريًا في إعداد الفكرة سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي. وعبر التاريخ، كانت المرأة مصدر إلهام للعديد من الأفكار والحركات الفكرية، وشاركت بشكل فاعل في بناء المجتمعات وصياغة الأفكار التي توجهت نحو النهضة والتغيير.

وإعداد الفكرة لدى المرأة العربية هو عملية معقدة تتداخل فيها الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية، وتعكس مكانة المرأة كفرد فاعل ومؤثر في تشكيل الوعي الجمعي والأفكار التي تحرك المجتمعات.

ففي الثقافة والتعليم، المرأة العربية أسهمت بشكل كبير في نقل الثقافة والتعليم عبر الأجيال. في مجتمعات كانت تعتمد بشكل كبير على الشفاهية، كانت النساء حافظات للتقاليد والأشعار والقصص. ومع تطور التعليم، كانت النساء من أوائل من دعا إلى

تعليم الفتيات وتعزيز دورهن في المجتمع.

اما في السياسة والنضال، فتاريخيًا، شاركت المرأة العربية في الحركات الوطنية والنضالية. وكانت تسهم في إعداد الأفكار الوطنية والثورية، وتدعم النضال من أجل التحرر والاستقلال. كما أن هناك نساء برزن كقياديات فكرية وسياسية في العالم العربي.

و في الفكر والدين، فهناك بعض النساء العربيات كان لهن دور في تفسير النصوص الدينية وإعداد الأفكار التي تتعلق بمكانة المرأة في الإسلام والمجتمع. لقد كن يساهمن في النقاشات الفكرية والدينية وكان لهن تأثير في تحديد مكانة المرأة من منظور ديني واجتماعي.

وفي هذا العدد الثالث والعشرون من مجلة وميض الفكر للبحوث قدم لنا فضيلة الشيخ الأستاذ سليم عبد اللطيف يوسف افتتاحية قيمة حول اهمية النساء ودورهن التاريخي في ديننا الحنيف، مستشهدا بايات بينات وأحاديث قدسية وشريفة تتحدث عن مسؤليات النساء الشقائق للرجال .

كما قدمنا لكم عدداً من الأبحاث المحكمة في مجالات التربية والتاريخ واللغات وعلوم القانون، نأمل ان تكون نافعة للقراء والأجيال الناشئة.

أبحاث العددِ الثالث والعشرين

(أيلول/ سبتمبر 2024)

قراءة في رواية «ياقوت من خوابي الشقيف» لعديّ الموسوي

بقلم الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون

رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية ورئيس مجلس أمناء جامعة المعارف– بيروت، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي والمشرف العام على المجلة

a.m.zaitoun@hotmail.com

إن أهمّ ما يلفت انتباه المتلقي لرواية عديّ الموسوي الموسومة بعنوان «ياقوت من خوابي الشقيف» الحضور القوي للكاتب برؤيته الى العالم من خلال ثقافته وقناعاته وهمومه واهتماماته.

ولنصل إلى تعرّف تلك الرؤية يمكننا أن نستهدي بثلاثة عناوين: سيمائيّة عنوان الرواية، ووظيفية العتبات التي مهّدت للرواية، واللغة التي أفصحت عن هموم الروائي واهتماماته.

أ– سيمائية العنوان :

تستوقفنا في عنوان الرواية كلمة (ياقوت) التي تلفت انتباه القارئ الى الأحجار الكريمة التي تدغدغ تفكيره ، ليس من جهه قيمتها الماديه فحسب ، ولكن من جهة علاقتها بالقداسة أيضاً. فياقوت الخواتم الفضية دالّ على إيمان حامليها وعلى محاولتهم، من خلال لبسها، الاعتصام بما يعتقد أنه حام للابسه. وأن يُستخرَج الياقوت من الخوابي

إشارة دالة، تبطن علاقة ذلك الياقوت بالضروري من المؤن. فالخابية عند الريفي حمّالة مؤونة عام كامل. وهي صالحة باستمرار، لحمل مؤونة أيّ عام جديد. إنّها المخبأ الأمين لأيّة مؤونة. وربط الياقوت الجميل بالمقدس بالمؤن يعني دوراً وظيفياً لا يضعنا أمام خابية واحدة. ذلك أنّ الجمع (خوابي) يواجهنا بالوافر من الجمال والقداسة، خصوصاً أنها خوابي حصن تتجاوز بمحمولها الجميل والمقدّس والمفيد الى التاريخ الموسوم بجميع المعارك التي خيضت دفاعاً عن ذلك الحصن، أو محاولة لتحريره ممّن دنّسه باحتلاله افرنجيّاً كان أم صهيونياً.

ويطل هذا العنوان على الصفحة الأخيرة من هذه الرواية. وذلك إشارة ترميزية دالّة حين يقول السارد بشارة الصبّان العاملي الذي حيك اسمه من خلال جملة أنساب تاريخيّة وعائليّة وقوميّة ووظيفيّة وما تعنيه تلك الحبكة من أبعاد: «ولكن أحداً لم يهتدِ الى ذلك القبو الصغير الذي ردم فرسان الداويّة (الفرنجة) مدخله حيث لحدي، أنا الفارس العاملي بشارة بن خشاب بن سيف الدين الصّبان الحلبي بن مافي جقمق التركماني» (ص 305). ثم يدعو من يدخلون هذا الحص فيصلوا الى لحده (القبو) في المستقبل «ليخفّفوا الوطأ عند أعتاب حصن الشقيف» ولا ينسوا للحظة أن أديم أرضه من خوابي أجسادنا. إنه منها حقاً هو منها» (ص.ن)، وتفرض هذه الإشارة قراءة متأنية للعنوان. فالحصن الياقوتة النادره وخابية خوابي الأجساد يجب المحافظة عليه. فحصن الشقيف رمز وطني دُفع ثمنه الكثير من دماء المجاهدين. ولقد تعالت الياقوتة في خاتم بشارة الصّبان في قبو منسيّ في أسفل حصن الشقيف لتعبّر عن همّ وطني يجب تحمّله والتمسّك بأبعاده.

ورواية محمّلة بمثل هذه الرمزية تجدها متّصفة بفرادة لم تسبقها إليها أية رواية أخرى. وفرادتها ليست منتمية إلى فرادة رؤية المؤلف البصمة، ككل رواية فحسب، ولكن فرادتها مرتبطة ببنائها العام أيضاً. فهي رواية لا تنتمي الى رواية ما بعد الحداثة التي تُسمى الرواية الجديدة فتقوم على التيه الذي يجرّك إلى تيه الى تيه.

ولا تكاد تمسك بخيط تسلسها حتى تجد نفسك أمام تيه جديد. نعم إنها براء من هذا النوع من الأعمال الروائية، وإن وجد المؤلف نفسه مضطراً الى وضع العتبات الممهّدة لروايته هذه وإحاطتها بقائمة المراجع والحواشي .

ب- وظيفة العتبات :

والقارئ لا يستطيع سلوك دروب هذه الرواية من دون الارتكاز على تلك العتبات السابقة لنصّ الروائي واللاحقة به. تطالعك الرواية بقائمة تحدّد لك أبرز الشخصيات الحقيقية التي ظهرت في الرواية من إبن الخشاب الى مناحيم بيغن (ص4). تليها خارطة تقدم لك جغرافية المكان الذي جرت فوقه الأحداث، وتحرّكت على دروبه الشخصيات (ص5)، ولعل أهم تلك العتبات هي تلك التي وسمت بعنوان «سلالة الياقوت» والتي تقدم لك علاقات القربى والنسب التي تصل بعض الشخصيات ببعضها الآخر (ص 6). هذا ولقد أردف المؤلف هذه السلالة بما اسماه «دوزنه» جرت العام 638 هـ /1240 م. (ص 7) وهو العام نفسه الذي استشهدت فيه الشخصية الأساسية التي اعتمدها المؤلف سارداً محورياً لأحداث الرواية. نعني به بشارة الصبّان العاملي الذي استشهد دفاعاً عن حصن الشقيف لمنع تسليمه للفرنجة، وظلت جثّته في قبو عميق من أقبية ذلك الحصن. ولا يكون القارئ على بيّنة من سيرورة أحداث الرواية، وتواريخ حدوثها، وقيامها على بعد سِيَري وشيج الصلة بما مرّ به حصن الشقيف من دون أن يطلع على قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها الكاتب، وأشار حين أثبتها في الصفحتين الأخيرتين من الرواية الى أنّه قد استلهم أجواءها (ص 306 – 307) في ما كتبه. يعني ذلك أننا أمام رواية على علاقة متصلة اتصالاً وشيجاً بالتاريخ، التاريخ المتمحور حول قلعة الشقيف، بما يومئ الى حضور لما هو موضوعي يعطي أحداث الرواية زخماً غير عادي.

ج- تعدّد الساردين :

إنّ امتداد سيرورة أحداث الرواية، بدءا بقدوم الفرنجة الى بلادنا، ووصولا إلى آخر ما مرّت به قلعة الشقيف من أحداث تتعلق بقرننا الحالي، احتاج الأديب الكاتب الى الاستعانة بغير سارد من رجال التاريخ الذين شهدوا مختلف المعارك التي خيضت ضدّ الفرنجة في مرحلة، وضدّ الصهاينة في مرحلة ثانية. وهذا ما دفع المؤلف إلى الاستعانة بالسارد المحوري بشارة الصّبان الذي تلتقي فيه أعراق مختلفة من الأقوام الشرقية التي جاهدت ضد المعتدين على مجتمعاتنا فهو «ابن خشّاب الصّبان بن سيف الدين الصبّان بن مافي جقمق وأمه آمنة بنت أبي المكارم» (ص 8).

وبشارة الصبان هذا قد توفي سنة 638 هـ / 1240 م، كما تشير الرواية، وفي مرحلة قريبة من خروج الفرنجة من ديارنا. ولقد سقط دفاعاً عن قلعة الشقيف، واستقرّت جثته في قبو عميق تعلوه الصخور والأتربة داخل القلعة. وهو يعلن كما تشير الرواية قائلاً: «يومها سقطت ميتاً، لكنّي لم أفارق دنياكم أبداً» (ص8). ولقد أتاحت هذه الإشارة للروائي أن يترك روح بشارة الصّبان تطوف التاريخ. ما سبق تلك الوفاة وما لحقها. تسرد لنا ما عاينته من أحداث. ولقد شهدت الرواية له ما يقارب الخمس والعشرين إطلالة أدّى فيها دور السارد، ولم تتجاوزه في الإطلالات، وإن كانت مختصرة، سوى والدته سعاد الصوريّة التي أطلّت ما يقارب الأربعين مرّة، والتي وفّرت لابنها بشارة ما وصل إليها من معلومات تاريخية عن آبائه وأجداده. ونجد الروائي قد أضاف إلى هذين الساردين الرئيسين إطلالات لكلّ من خشّاب الصبّان والد بشارة وناصيف المعشوق. وهذه التعدديّة في الساردين لم تترك أحداث الرواية تجري على هونٍ أمام ناظري المتلقي، ولكنها حفّزته على مشاركة الروائي في الهموم التي حملها وهو يستجمع مادة روايته هذه، همومه المتعلقة بتاريخية الأحداث أو بالتحالفات التي كانت تقوم خلالها بين المشرقيّين أنفسهم مرة، وبين بعض المشرقيّين والفرنجة مرة أخرى. والقارئ إلى ذلك لا يمكنه أن يسير مع أحداث الرواية إذا لم يضع أمامه، في أثناء القراءة، الخارطة الجامعة لجميع الأحداث والتي أثبتها الروائي في مدخل روايته. وكذلك الأمر بالنسبة إلى عتبة «سلالة الياقوت» التي تحدّد له تسلسل الأباء والأبناء من شخصيّات الرواية جيلاً بعد جيل

ويدعو كلّ ذلك المتلقّي، مع كل تقدّم في القراءة الى مراجعة ما سبق أن قرأه ليكون على بيّنة من أمره، من جهة، وليضع قدما ثابتة في تدرّجه القرائي ، من جهة ثانية. ما أريد الوصول إليه، أنّنا مع هذه الرواية، لسنا أمام رواية عاديّة كغيرها مما عرفناه من روايات تسرد لنا أحداثاً متدرّجة تدرّجاً عادياً مع حضور أسلوبَي: الاسترجاع والاستباق اللذين لا يتعبان القارئ في حركتهما، بقدر ما يثيران انتباهه. يبقى أننا مع ياقوت خوابي الشقيف أمام رواية تتّسم بالفرادة حقاً. وهذا ما يعطيها قيمتها الفنية.

د- اللغة المفصحة عن الهموم :

وهذه الرواية التي نجحت في أسر المتلقي الى عالمها، بما خُطِّط لها من قبل مؤلفها، فإنها أسرته بلغتها أيضاً، وبالوظائف التي أسندتها الى الحوارات التي انبثّت في طول

الرواية وعرضها.

ويجرّنا الحديث عن اللغة، الى الحديث عن الرؤية التي كشفت عنها تلك اللغة. فعديّ الموسوي حاضر في روايته برؤيته وهمومه واهتماماته حضور الشقيف فيها. فإذا كانت قلعة الشقيف محوراً أساسيّاً في العمليّة السرديّة، فإنّ عديّاً كان في جدل دائم مع هذه القلعة يحاورها ويبثّها همومه واهتماماته. هذا ولم يحضر عديّ في روايته من خلال النَّفَس الذي حمّله لبطله بشارة الصّبان، والهمّ الذي وضعه على كتفيه تمسّكاً بحرّيّة الأرض العربيّة، ولكنه حضر بشكل مباشر من خلال أحداث راهنة تعطي الرواية دفقاً تاريخيّاً واقعيّاً وليس متخيّلاً. (ص 280).

ذلك أن الحاشية، في الصفحة 283، تفيد أنه قد «ضمّ فريقُ البثّ المباشر لإذاعة النور بتاريخ 6 حزيران، 2000 م)، وفي برنامج «من ضيعة لضيعة» كلّاً من أحمد موسى، حسن عسيلي، خليل القلا، سلام سليم سعد، عبّاس علي، المؤلف» (ص283). يعني ذلك أن حضور المؤلف في روايته هنا كان حضوراً مباشراً. وإذا عرفنا أنّ من رسم صورة الغلاف والصور الأخرى المنبثّة في أماكن عديدة من الصفحات الداخليّة هو المؤلّف نفسه وأنّ هذه الصور على علاقة وشيجة بسيرورة أحداث الرواية، أدركنا كم كان حضور عديّ مكينا في هذه الرواية. وهو وإن أخفى رؤيته إلى العالم بشخصية بشارة الصّبان مرّة، وشخصية والدته أو والده مرّة أخرى، فإنّ رؤية عديّ إلى العالم هي التي نسجت هذا النسيج اللافت والرائع. ولعلّ أهمّ تجلّيات حضوره في نصه قد ظهرت من خلال لغته الأدبيّة التي منحها للشخصيات التي ولّاها عمليّة السرد. ها هي جدّة سيف الدين الصّبان جدّ بشارة السارد الأساسي تستعير عمليّة السرد من الحفيد لتنقل إلى المتلقّي أخبار سيف الدين...ولكي نقرأ شعريّة كلام هذه الجدّة، لا بدَّ من أن ننطلق من ثقافة الكاتب المؤلّف سواء أتعلّق الأمر بفهمه حركة تاريخ المنطقة التي يعيش فيها، أم تعلّق بموقفه السياسي. والجدّة كما قدمها لم تكن امرأة أمّية تعيش للقيام بالأعباء المنزلية من طبخ وكنس وغسل. ووصفه إيّاها، حين همّت بسرد قصة والد المخاطب سيف الدين الصّبان مافي جقمق قائلاً: «تفرد الجدّة كتفيها كما القطاة توشك على التحليق» (ص 39). فحركة القطاة الموشكة على التحليق لا تبرز جماليّة المشهد بقدر ما تشير الى إعتزاز (الجدّة / القطاة) بالقدرة على التحليق، وتنشّقِ نسمات الحريّة. وهذا ما يقدّم

الجدة معتزةً بتضحيات إبنها وفروسيته التي تصبّ في إطار دحر العدوّ الغازي. والأديب حين أضاف قائلاً: «تجلو صوتها» إنما أراد الإشارة الى تقديرها قيمة ما ستقدمه من معلومات. واعتزاز الجدّة بتاريخ أسرتها وبما ستقدّمه من حقائق عنها ليست سوى اعتزاز عديّ الموسوي بالتاريخ الذي ينتمي إلى سياقه من ناحية، وفهم له معزّز بالتضحيات المفتوحة على الشهادة من ناحية ثانية. إنه اعتزاز بما جرى واستيعاب له من خلال رؤية سياسيّة مفادها أن الحقّ الوطني لا يُفتدى إلا بالدماء المبذولة. وقوله: «تصمت الحورية ببلاغة وتشويق» إمعانٌ منها في تقدير قيمة المعلومات التي ستقدّمها تقديراً عالياً. كيف لا والجدّة بحركاتها «تحكم سيطرتها على حواسّ حفيدها» الذي تقدمه هذه السيطرة معتزّاً بتاريخ والده، وبما قدّمه ذلك الوالد من تضحيات ودم في سبيل دحر الفرنجة. نجدها تستخدم الصمت أحياناً وسيلة لتقديم قيمة الحقائق التي هي بصدد سردها. ولا يسعى الأديب من خلال ذلك إلى تقديم الحفيد حفيداً منتمياً الى سلالة مقاومة يحمل من الهموم والرؤية ما كان يحمله أبوه وجدّه، ذلك أنّ الحوريّة، واستكمالاً لمقاصد المؤلف نجدها تستعين «بإيماءات يديها وتماوج نبرات صوتها الرخيم أيضاً». ولقد أوصلتنا الجدّة، كما قُدّمت الى السرّ الذي ستكشفه لسيف الدين الصّبان عن والده. ومفاده أنّهم «وجدوه بكامل بزّته العسكرية شاكي السلاح سيفاً وقوساً» وكان هذا سرّاً مرتبطاً بالتاريخ والموقف، كما رآه عديّ الموسوي. ويقدّم الكاتب الحصون، والشقيف عنوان الرواية واحد منها، متسائلاً على لسان الراوي المحوري بشارة الصّبان العاملي :«هل شعرتم يا صحبة التطواف(الذين يخاطبهم) بأنّ قرابة ونسباً بين حجارة القلاع والحصون... يشعر كثيرون بهذا حين تنقلهم تصاريف الدهر من أرضٍ إلى أخرى» (ص 84)، «بل أنني لأجزم أنّ خشونة الحجر في بعض الحصون تستحيل الى نعومة مرآة صافية، فإذا الحجر يعكس صورة حصن آخر في صقع بعيد كما السحر، بل هو كذلك» (ص 58). «دعكم من أن كثيراً من الحجارة تكاد تنطق وتبوح بذاكرتها حين يتأمّلها المرء بعين متبصّرة، تستجوب خربشات الأزاميل ونقوشها، يحاور ندوباً أثبتت حدثاً وذاكرة يبحر بخياله في وقائع الزمان التي صبغت الصخر بآثار حريق أو سواد دخان أو أثر عن دمار» (ص 85). إنّ تساؤل الكاتب عن وجود نسب وقرابة بين حجارة القلاع والحصون المختلفة، إنما ينطلق من رؤية الأديب الى أنّ هموم الجماعات أينما وجدوا، إنما تنبثق من همّ محوريّ هو حماية كل جماعة نفسها ودفاعها عن وجودها، خصوصاً أنّ هذه الحصون

هي حصون مرتبطة بمرحلة حضاريّة من تاريخ الجماعة حافظت على بنيتها حتى يومنا هذا .وكيف لا ينطق تساؤل الكاتب بهذه الحقيقة. وهو يقول: «إنّ خشونة الحجر في بعض الحصون تستحيل إلى نعومة مرآة صاقية». وهذا يعني «أنّ الحجر يعكس صورة حصن آخر في صقع بعيد كما السحر». إن إعطاء خشونة الحجر هويّة نعومة المرآة العاكسة لا يؤكد ذلك الهمّ الذي تعيشه أية جماعة بشريّة جيلاً بعد جيل فحسب، ولكنه يؤكّد وحدة ذلك الهمّ أيضاً. إذ يتراءى كلّ حصن من خلال أيّ حصن آخر. وشعريّة كلام المؤلف لا تنفكّ عن النطق برؤيته الى العالم، بثقافته المرتبطة بالأنتربولوجيا. فإن تنطق تلك الحجارة وتبوح بذاكرتها يعني أنها الدليل الساطع ليس على همّ الجماعة في كلّ مرحلة من المراحل فقط، ولكنها تعبّر عن قدرتها الفنّية أيضاً. فخربشات الأزاميل ونقوشها هي إبداع الى جانب كونها همّاً وجودياً يتعلق بحماية الذات الجمعيّة.

وكما نجحت شعرية لغة الأديب في تقديم رؤيته إلى التاريخ والعالم، فإنّ الحوارات التي ساقها بين شخصيّات روايته قامت بوظيفة كشفيّة أسهمت، من جانبها، بتقديم تلك الرؤية. والوقوف عند مشهد حواريّ من مشاهد الرواية يمكنه الإسهام في توضيح العمليّة الكشفيّة التي تقوم بها رؤية المؤلّف إلى العالم .

يقول المؤلف: «ينزل سيف الدين عن الشجرة... يدنو منه كجك مبتسماً بتفاؤل كطفل صغير. يخبره بأنهم إن انتصروا بهذه المعركة (معركة سرمدا...) فالطريق ستغدو مفتوحة للزحف نحو أنطاكية والقضاء على إمارة الفرنجة فيها... يقهقه مستغرقاً بتوقعاته ويقرّب قبضتيه من بعضهما البعض كمن يخنق عدوّه... عندها نطوّق الفرنجة كالكماشة. أنطاكية من الشمال وصور من الجنوب... إذا سقطت إمارة انطاكية انكشف الفرنجة من الشمال... وهل تتخيّل ما الذي سيحصل إن اتّحد عسكر صور مع عسكرَيْ دمشق وحلب؟ لن يطول الأمر بنا حتى نستعيد بيت المقدس» (ص 67 – 69).

يكشف لنا هذا المشهد الحواريّ عن همّ محوريّ لا يحدو شخصيات الرواية القائمين بالمعركة فحسب، ولكنّه يمثّل انعكاساً لرؤية عديّ الموسوي الى التاريخ أيضاً. والهمّ الذي هو استعادة بيت المقدس من يد الفرنجة هو همّ يجعل من جميع المعارك التي سبقتها ومن بينها موقعة سرمدا خطوات على الطريق. ويأتي المتحاوران: سيف الدين الصّبان ومعاونه كجك معبرين عن العقيدة التي اعتنقها مقاتلون تاريخيّون ضدّ الفرنجة.

وكجك «الذي يقرّب قبضتيه من بعضهما كمن يخنق عدوّه»، هو المقاتل النموذجي الذي قدّمته الرواية. ووظيفة اليد المقاتلة، بالنتيجة هي خنق العدو والقضاء على وجوده. وهذا الهدف يقدّم ابتسامة كجك المقاتل التي ترتسم على وجهه» بتفاؤل كطفل صغير» حاملاً كلّ البراءة بما يقوم به من دور ووظيفة. فيبدو المقاتلَ النموذجيّ الذي حرّر بالفعل بيت المقدس في النتيجة.

ومهما يكن من أمر، فإنّ حضور الكاتب في كل مشهد من مشاهد الرواية وكلماتها، إنّما هو حضور لرؤية هذا الكاتب وثقافته اللتين تحدّدان فهمَه التاريخَ بمراحله ونظرته إلى قوّاد تلك المراحل ورجالاتها الذين صنعوا ذلك التاريخ .

ونجد في موضع آخر من الرواية مشهداً حواريّا دالّا. أعني به المشهد التالي الذي سأقتبسه: «وها بغلة شهباء تخرج من بين الصفوف، إنّ عليها رجلاً بعمامة كبيرة... يتهامس الجنود فيما بينهم، تبدو الخيبة في وجوه، والسخرية في وجوه أخرى... إنه القاضي أبو الحسن ابن الخشّاب. يغمز كجك بعينه عابثاً يبتسم مخاطباً سيف الدين ... من هذا ليخطب فينا ؟ أين امراؤنا ؟ أين الملك إيلغازي ؟ هه، هل جئنا نقاتل من أجل هذا المعمّم ؟.... يتطاير الغيظ شرراً لاذعاً من عينيْ سيف الدين، ويردّ على صديقه الجديد بل جئنا لننقذ حلب وأهلها ونطرد الفرنجة. أليس كذلك يا كجك ؟... إنّما لم نعتد.... يقطع ابن الخشاب تغامز القوم وتهامسهم يدوّي صوته جهوريا واضحاً... . عجباً كيف لنبرات الكلام أن ترتكب السحر فتقلب اللامبالاة والسخرية إلى فضول فاهتمام؟ (ص 70 – 71).

يعرض المؤلف، في ما قدّمنا، مشهداً مفاده خروج البغلة الشهباء من بين الصفوف وعليها رجل بعمامة كبيرة، ليقدّم تعليقات الجنود على هذا المشهد. تلك التعليقات القائمة على الخيبة والسخرية. فبروز هذا المعمّم لا يمثّل، بنظرهم، المطلوب لمثل معركة سرمدا. ويأتي سؤال كجك : من هذا ليخطب فينا ؟ وهو يغمز بعينه عابثاً، ليؤدّي الى غيظ يتطاير شرراً لاذعاً من عيني سيف الدين، فيأتي جوابه متناسباً مع ذلك الشرر. ... «. بل جئنا لننقذ حلب وأهلها. ونطرد الفرنجة.» وهذا ما حوّل غمز كجك ولمزه الى شعور بالندم، خصوصاً حين دوّى صوت ابن الخشاب جهورياً ساحراً قلب عدم اللامبالاة والسخرية إلى فضول فاهتمام. إنّها رؤية الأديب الى ثنائيّة ضدّيّة تحكم الرجال المقاتلين:

(الجوهر/ المظهر). وحسم الضدّيّة لتعالي الجوهر من قبل سيف الدين، إنّما يعبّر عن نظرة الى الجيوش المقاتلة رآها الأديب، وعن موقف مضادّ للمظهر لصالح الجوهر، ولقد جاء المشهد متكاملاً في التعبير عن جانب من جوانب رؤية عديّ الموسوي الى ظروف القتال التي حكمت المقاتلين المواجهين للفرنجة، وتحديد الهمّ المحوري الذي يتجلّى في إنقاذ المدن المحتلة من الفرنجة، وحلب واحدة منها.

ويبقى أنّ تجربة عديّ الموسوي الأولى في الكتابة الروائيّة، على ما أعرف، قد جاءت تجربة مبشّرة بخير عميم.

لقد بدا هذا الأديب ومن خلال تجربته هذه أديباً غير عادي يجعلنا ننتظر منه الكثير. وهذا ما يدعوه الى اطّلاع واسع على النتاج الروائي عربيّا كان أم عالميّاً.

هذا بالإضافة إلى وجوب تمعّنه بالنقد الأدبيّ، والنقد الروائيّ على وجه الخصوص. هذا مضافٌ الى الاطّلاع على المناهج النقديّة الحديثة. فما يحمله من مؤهّلات كتابيّة يدعوه إلى تملّك ثقافة عصرنا، وإقامة حوار دائم معها ليصل الى القدرة على طرح الأسئلة الصعبة عليها. وذلك تمهيداً لإبداعات غير عاديّة في العمل الكتابيّ.

طقوس الموت في أرض الطوفان

مقال بقلم الكاتب الباحث علي حمادي العاملي

شاعر وقاص وأستاذ في علوم القرآن واللغة العربية والبلاغة

الموقع الإلكتروني:www.Alihemadeh.com

البريد: Info@alihemadeh.com

هاتف: 0096176188828

جاء طوفان الأقصى ليقدّم للعالم مشهدًا جديدًا لم تكتشفه الانتربولوجيا الحديثة، ولم تألفه الحضارات المادية. وحدة الساحات لم تكن فقط على مستوى شحذ السيوف وتذخير البنادق، بل في بُعدها الانتربولوجي قدّمت فلسفةً قلّ نظيرها في حقوق الإنسان وكرامته ورسالته قبل موته وبعده.

ينتقل مع البشر نوعان من التراث. أحدهما التراث اللامادي أو المعنوي وهو يعني مجموع اعتقادات وعادات يتوارثها المجتمع وتنسجم مع معتقداته وأفكاره. مسألة الموت وما بعد الموت والطقوس المتعلقة به من أهم المتوارثات التي شغلت المجتمعات طوال التاريخ؛ لأن الموت مما لا شكّ فيه أمر حتمي على كل إنسان وإنّ النظرة إليه مهمّة وأساسية وتطورت مع الحقبات التاريخية. كذلك مسألة الجسد باعتباره وعاء الروح وله حيثيته بل له قداسته في بعض الاعتقادات. ووصلنا اليوم مع تطور العلوم الاجتماعية وخاصة الانتربولوجيا إلى نوع جديد هو انتربولوجيا الجسد الذي يعالج مسائل تظهر

على الإنسان مثل الحزن والضحك واللباس والموضة وصولاً إلى كشف الجسد بعد أن كان الأساس هو الستر، وصولاً إلى مسألة التحوّل إما بسبب مشكلات هرمونية أو مرضية نفسية. هذا كله يتناول جسد الحي، أما جسد الميت والجثة بتعبير دقيق فهو كلام آخر ويستدعي البحث به تدبّر إضافي إذ تطرح أسئلة عن جدوى وغاية الاهتمام بالجسد للميت وما يفيد ذلك الميت أو غيره، ولماذا بعض المجتمعات تعاملت مع الجسد بأساليب مختلفة من حرق إلى دفن ثم لماذا بعض الطقوس كانت أساسية مثل الغسل والتكفين عند المسلمين، وصولاً إلى طقوس استثنائية رأيناها مع طوفانٍ استثنائي.

حوّل علماء الانتربولوجيا ظاهرة الموت وما يرافقه من طقوس من ظاهرة جسدية إلى ظاهرة اجتماعية، وأصبحت فرعًا من فروع علم الاجتماع الحديث. يرى عالِم الاجتماع الفرنسي «فان جينيب» في كتابه طقوس العبور، أن شعائر وطقوس الموت تعد بمثابة شعائر انتقال. أما شعائر الموت عند «مالينوفسكي» فهي تعبيرات جمعية عن الشعور الملائم لذلك الموقف يظهر خلالها الأفراد التزاماتهم تجاه بعضهم بعضًا وتجاه المجتمع. أما «دوركايم» فقد درس العديد من الطقوس الجنائزية للسكان الأصليين وأشار إلى أنه عندما يفجع الموت إحدى الجماعات، فإنها تشعر بالخسارة ومن ثم تبحث عن بعضها بعضًا حتى يتجمعوا ويجددوا مشاعر التماسك بينهم لإعادة تكوين أنفسهم رمزيًا وعمليًا.

إذًا ليست الطقوس والشعائر عند الانتربولوجيين عبثية؛ بل لها صلة عميقة بالمجتمع فهي تعمل على إعادة التوازن. ونلاحظ أن مثل تلك الطقوس خاصة التي ترافق الموت والحزن تنطوي على فوائد كثيرة اجتماعية مثل التماسك والتكاتف والتواصل. كذلك فوائد معنوية وروحية وعبادية فضلاً عن التخفيف عن أهل الميت. كل هذا تلاحظه الانتربولوجيا من خلال دراسة الطقوس التي تعكس ثقافة المجتمع.

تعدّ ممارسة طقوس معينة أحد أهم الأوجه والمظاهر التي تعبر عن ثقافة مجتمع معين وعن طبيعته وأفكاره. فهي لا تأتي من فراغ، وإنما هي نابعة من معتقدٍ ومن متوارثٍ مادي وغير مادي. الطقوس التي تتعلق بالميت هي في صميم انتربولوجيا دراسة المجتمعات، إذ إنها السلوكيات والممارسات التي تعبر عن المشاعر القوية والإجراءات التي تُنفّذ من أجل قيمة رمزية في المجتمع في ضوء التقاليد والعادات والمعتقدات.

إذا رجعنا لاستعراض بعض الديانات القديمة سوف نجد اختلافًا في التعامل مع جسد الميت، فالديانة الزرداشتية على سبيل المثال، وهي ديانة توحيدية ولكنها كانت تؤمن بوجود الشر، وبالتالي لا بد من تطهير الجسد لتعود الروح مطهرة إلى النعيم، ولذلك كانوا يضعون أجسام الموتى على أبراج عالية مكشوفة للشمس لكي تأكلها الطيور الجارحة ولا يبقى إلا العظام فيرمونها في البئر.

أما اليونان والرومان فكانوا يحرقون موتاهم واستمرّت تلك العادة حتى ظهور المسيحية فصاروا يدفنون الموتى بدل حرقهم. وكانوا قديمًا يجتمعون حول الميت ويأتي أحد أقاربه بشعلة فيحرقه. أما السيخ والهندوس فإضافة إلى الحرق كانوا يرمون روث الأبقار على جسد الميت اعتقادًا ببركتها ثم بعد الحرق يأخذون رماد الجسد وينثرونه في نهر الغانج.

في الحضارة المصرية الفرعونية كان الاهتمام كبيرًا بجسد الميت فكان الدفن يمر بمراحل مثل النواحة في بيت الميت ثم التحنيط ثم حمله إلى نهر النيل مع أمتعته والعبور به بقارب إلى طرف آخر حيث المقبرة المخصصة للموتى. هذا بالنسبة إلى الموتى العاديين أما الملوك والآلهة فكانت لهم طقوسهم الخاصة.

إذًا تتعامل الشعوب المختلفة مع جسد الميت كلٌّ بحسب اعتقاده بالموت وما بعد الموت. والطقوس المتنوعة بحسب كل دين أو مجتمع تعبّر عن تلك الفكرة وذلك الاعتقاد. وتاليًا كلما ارتبطت الفكرة بالسماء واعتقاد خروج الروح إلى خالقها زاد احترام الجسد والتعامل معه. لذلك فرضت الأديان السماوية مجموعة تشريعات تتعلّق بالتعامل مع جسد الميت، ويعتقد المؤمنون أنها تخفّف عن الميت في قبره وفي العالم الآخر الذي يؤمنون بانتقال الميت إليه. وخاصة الدين الإسلامي الذي أولى أهمية كبرى للجسد فجعل تشريعات واجبة لا يمكن تركها. يُجهَّز الميت وهذا الطقس يعني بشكل خاص الغسل والتكفين. ويحرص أهل المتوفى على القيام بها بسرعة؛ لأن «إكرام الميت دفنه» كما يُعبّر في المجتمع. إذًا هو بالدرجة الأولى تكريم للميت. وخلال هذه المرحلة تبرز مشاعر التكاتف والمواساة بين الناس ما يزيد التماسك الاجتماعي. أما عملية الغسل فتجري مباشرة بعد أن تنتقل الجثة إلى المغسل، ويقوم المغسل أو المغسلة بالتغسيل حسب جنس المتوفى. أما الشّهيد الذي يُقتل في سبيل الله فله خصوصية كبيرة حيث لا يتوجب تغسيله ولا تكفينه وفي هذا إشارة إلى الطهارة المعنوية التي يصل إليها الشهيد.

وتختلف طقوس الموت مع غياب الجثة كما يختلف شكل الموت، ويصبح أصعب وأقسى. كذلك لو كانت الجثة مشظّية إلى أشلاء.

منذ سنة 1984، بدأت آلة القتل والتدمير الصهيونية تمارس توحّشها في فلسطين والمنطقة ولم تتوقف حتى الساعة. أصبح الموت يمثل مكانة خاصة في حياة الفلسطيني داخل فلسطين وفي الشتات. أولاً لأنهم يؤمنون بالحياة الثانية الأبدية، وثانيًا لأن الشهادة لها مكانة عظيمة في التراث الديني. وإضافة إلى ذلك كانت العلاقة بالأرض متجذرة، ولاحظنا في الحرب الدائرة اليوم إصرار أصحاب الأرض على البقاء والموت فيها. إذًا علاقة الإنسان بالأرض تعطي بُعدًا جديدًا للموت، خصوصية الموت فوق تراب الأرض وكأن أهلها بذورٌ يجب أن تدفن هناك لكي تنمو وتزهر من جديد. لذلك كانت الجنائز غالبًا لا تقتصر على الدفن، بل أصبحت مع الوقت تحمل بعدًا أو وظيفة جديدة تحدّث عنها «فان جينيب» وهي إعادة تأكيد المعتقدات والثقافة. الموت في الأرض المحتلة يعني تأكيد الصلة بالأرض.. **الدفن لم يعد مجرد مواراة الجسد.. هو إعادة غرسه في التراب لتأكيد الهوية.**

خلقت آلة القتل الصهيونية اليومية حالاً دائمةً من الاستعداد للموت.. استعداد مادي (تجهيز كفن – وصية..) رأينا وصية تلك الطفلة التي أوصت بثيابها وألعابها إلى قريباتها، واستعداد روحي (دعاء صلاة..). الصبر سلوك وقيمة اجتماعية ثابتة أصبح خاصية نوعية في المجتمع الفلسطيني.. ضبط النفس والتبسّم أحيانًا أو الانفعال ولكن في ثورة على الظالم والقاتل. التفاخر والتباهي بالشهيد سمةٌ تقلب حسرة الفقد وانكسار القلب إلى تعزيزات روحية لا يمنع وصولها أي حصار.. أصبحت طقوس الموت ترتبط بمفاهيم الثبات والصمود.. تشير دائمًا إلى الاتجاه.. نحو القدس. نحو تحطيم القيود. نحو العبور. تقديس الموت يُفقد العدو وسيلته الوحيدة لمحاولة إخضاع شعب. واستمرت تلك المفاهيم وتبلورت في كل تاريخ الصراع لتحمل بعدًا تاريخيًا وقيميًا ودينيًا وحضاريًا ووطنيًا.. وجاء الطوفان.

مع الطوفان برزت الطقوس الفريدة، والمستويات التي لا حد لها من التماسك. مع عشرات آلاف الشهداء بزرت طقوس من نوع آخر. الطقس الأبرز هو التحدّث بلسان حال الشهيد لحظة وصول الخبر.. إعلان الموقف المتعدد الأبعاد.. الموقف الوطني

في التعلّق بالأرض. الموقف العَقْدي في التسليم لأمر السماء. الموقف السياسي والفكري في تجديد التبنّي لمشروع المقاومة.. والموقف الروحي في إعلان الاستعداد للالتحاق بالركب المقدّس..!!!! هنا التمسك بالطقوس برز واضحًا. نتذكر في الهدنة عندما كانوا يطلبون الأكفان التي نفدت بسبب الحصار. أصروا على تكفين الأجساد أو ما بقي منها ولو ارتجلوا أكفانًا من غير القماش الأبيض. كل تلك المشاهد رأيناها منذ بداية الحرب.. تصريح الأبناء بأن الشهيد يريدنا أن نكمل الطريق.. الصحافي الذي يفقد كل عائلته تباعًا ويخرج صوته مصحوبًا ببحّة قلبه «معليش»، أو حين يمسك يد ابنه المراسل ويتمتم له برسالة بليغة هي آخر رسائل الأبوّة والوداع.. الأم تحضن طفلها المكفّن كما احتضنته لحظة لفّوه بالقماط، والأب يقبّل فلذة كبده المسافر على عجل إلى عالم السلام.. البلاغة الفطرية للأطفال في صياغة جملٍ على دفاتر التاريخ، ذلك الطفل الذي يلقّن الشهادة لأخيه في لحظة الاحتضار طقسٌ من طقوس الموت المدهشة، الصبر الخارق للعادة في وجدان المجتمع، وغير ذلك طوفانٌ من الأمثلة عن الصبر والصمود الأسطوري واستقبال الموت وتوديع الأحبة.. بنظر هؤلاء الدنيا ليست المحطة الأخيرة.. والركام مهما علا لا يمنع الأرواح من العروج.. حتى لو تشظّى كل الجسد ولم يبق منه سوى الرماد.. يرفعون ذلك الرماد نحو السماء.. إلى حيث ينتمي المستضعفون في الأرض..

طقوس الموت فريدةٌ في بلادنا.. كم هي نابضة بالحياة!!

باب التربية:

1 -The reflective thinking skills of mathematics and sciences of preservice teachers at the Lebanese University

مهارات التفكُّر في برنامج إعداد معلمي الرياضيات والعلوم في الجامعة اللبنانيَّة

Samar tfaili
Lebanese University, Lebanon
Samar.tfaili@ul.edu.lb

Zainab Mohammad Al-Homsi
Lebanese University, Lebanon
zeinab.el-homsi@ul.edu.lb

تاريخ الاستلام17/ 7 / 2024 تاريخ القبول: 2024 /7/31

مستخلص البحث:

في البرامج التعليمية لغالبية الجامعات حول العالم، يتم إيلاء اهتمام كبير لتعزيز التفكُّر أو التفكير في العمل كما هو الحال في كلية التربية في الجامعة اللبنانية. يهدف هذا البحث إلى التعرف على مستويات التفكُّر في برنامج إعداد معلمي الرياضيات والعلوم في الجامعة. تمَّ إجراء مسح على معلمي ما قبل الخدمة في سنتهم الدراسية الثالثة والذين هم في الفصل الدراسيّ للتَّخرج وقد أنهوا موادّ دراسيةً تتطلّب التفكُّر. تمَّ استخدام استبانة التفكُّر التي طوَّرها كيمبر وآخرون (2000) كأداة لجمع البيانات. وهي تتضمن 16 بندًا تقيس أربعة أنواع من التفكُّر: الفعل المعتاد والفهم والتفكُّر والتفكُّر النَّقدي. وقد تمَّ استخدام الإحصاء الوصفي لتحليل البيانات. وأظهرت النتائج أنَّ الفهم حصل على أعلى متوسّط يليه التفكُّر لنَّقدي والتفكُّر. من ناحية أخرى حصل الفعل المعتاد على أقلّ متوسط.

الكلمات المفتاحية: اعداد المعلمين، مهارات التفكّر، الفعل المعتاد، الفهم، التفكر، التفكر النقدي

Abstract

At the education programs of the majority of universities around the world, a great attention is given to promoting reflective thinking or reflecting upon work which the case at the faculty of pedagogy at the Lebanese university. This research aims at exploring the reflective thinking levels of preservice mathematics and science teachers. A survey was conducted on third-year preservice teachers who are in their graduation semester and already attended courses in which reflection is required. 'Reflective Thinking Questionnaire' (RTQ), which was developed by Kember et al (2000) was used as data collection tool. It includes 16 items measuring four types of reflective thinking: Habitual Action (HA), Understanding (U), Reflection (R), Critical Reflection (CR). Descriptive statistics were used to analyze the data. The results showed that understanding (U) received the highest mean followed by critical reflection (CR) and reflection (R). On the other hand, habitual actions (HA) had the lowest average score.

Key words: preservice teachers, reflective thinking skills, habitual action, understanding, reflection, critical reflection

Introduction

"The notion of reflection nowadays is considered crucial in the field of teaching and teacher education" (Clara, 2015). Reflective practice is defined as the process of acquiring new insights about oneself and/or one's practice by learning from and through experience (Boyd and Fales, 1983). It usually requires the practitioners to critically assess their work and become self-aware in order to acquire new understanding and enhance future practice.

Being a complex task, teaching is a profession that needs continuous self-reflection and the ability to adjust and manage specific situations in classroom settings. Teachers who were asked to reflect on their teaching declared that it was helpful in problem solving and problem resolution (Hayden & Chiu, 2015). Lindh & Thorgren, (2016) found that compared

to non-reflectors, those who are reflective about their work make fewer mistakes, are more critical of their work, and learn more from it. Therefore, it is evident to frequently find the word "reflection" in teacher education course descriptions. However, it is still somewhat of a buzzword, necessary but rarely fully understood to the point where it can be used "uncritically and unreflectively" (Griffiths 2000: 538). There is a lot of discussion about how to operationalize practices that offer opportunities for reflection, but not as much about what reflection is in and of itself. Student teachers are supposed to reflect on their practices during their practicum, they often do just that. As a result, they end their practicums uninformed about the subtle changes they actually underwent, and with the theory-practice divide remaining wide and unbroken. "Reflective practice should be taught explicitly because, in most cases, simply telling pre-service teachers to reflect on their experiences is not sufficient," as Lane, McMaster, Adnum, and Cavanagh stated (2014: 482).

Preservice teachers at the Lebanese University enroll in several courses and practicums that require reflection (classroom observation, teaching practice I, II & III, and action research), however, it's surprising how little attention has been paid to methods for determining whether and to what extent students engage in reflective thinking or for deciding if the objectives of these courses have been achieved.

Experts have created certain instruments to measure reflective thinking. For example, Kizilkaya and Askar (2009) developed the "Reflective Thinking Skill Scale Towards Problem Solving" (as cited in Tuncer and Ozeren, 2012). It consisted of 14 items and 3 subdimensions (Questioning, Evaluating, and Causation). Kember et al. (2000) developed a "Reflective Thinking Questionnaire" that consisted of 16 items and 4 sub-dimensions (Habitual Action, Understanding, Reflection, Critical Reflection). Another tool was the "Reflective Thinking Tendency Scale" (RTTS) developed by Semerci (2007) (as cited in Turan and Koc, 2019) for teachers and preservice teachers.

Open-mindedness, wholeheartedness, and responsibility are the three prerequisite attitudes that must exist in order for someone to become reflective (Dewey, 1933) .Being open-minded is defined as having the

capacity to evaluate novel issues and concepts devoid of bias and a proactive willingness to hear multiple viewpoints in order to identify the even our most cherished beliefs are subject to error (Dewey, 1933, p. 30). Dewey's whole-heartedness, according to Goodman (1991), refers to an individual's inner strength and desire to be a reflective educator regardless of any personal cost. The last requirement, responsibility, is viewed more as a moral quality than an intellectual one. As stated by Dewey (1933), "considering the consequences of a projected step" and being willing to accept them when they make sense given a position already taken are aspects of intellectual responsibility .(Page 32). Inquiring into the motivations behind their actions, conscientious teachers constantly weigh the educational, psychological, and broader societal background and consequences of their actions in the classroom. They hold themselves accountable for the consequences for society at large in addition to the education of their students .Responsible answerable liable fully responsible take responsibility culpable. Adds Goodman (1991): Teachers who are intellectually responsible think through the implications.

Jack Mezirow's work (1991) offered a thorough, reasonable, and—above all—practicable framework for creating a method to evaluate reflective thinking, which helped create a protocol for determining the degree of reflection in journal writing.

Mezirow distinguishes between reflective and non-reflective behavior. He distinguished between three categories of non-reflective actions: introspection ,thoughtful action, and habitual action. There were two stages to reflective action, with content and process reflection making up the lower, less critical stage. This terminology comes from Dewey (1933), who called more in-depth, deliberate, and profound reflection "critical reflection." Mezirow refers to premise reflection as the more critical type of reflection.

The distinction between content and process reflection was eliminated in favor of seeing the two as parts of a single reflective thinking scale in order to create a more practical tool. Although cultivating reflective thinking was acknowledged to have an affective component (Boud & Walker, 1993; Wong et al., 1995b), the instrument focused on evaluating results according to the degree of the demonstrated reflective thinking. The main

source of inspiration for the protocol developed by Kember et al. (1999) and used in this study was Mezirow (1991). The four constructs or scales of the instrument will be described by referencing Mezirow's work and providing evidence to support definitions.

Method

The participants of the present paper consist of fifty-six preservice mathematics and science teachers who have been enrolled in the three practicums (practice I, II, & III) and a two-module course (action research) at the teacher training program at the faculty of pedagogy, Lebanese University, in the 2022-2023 academic year.

The descriptive method was used to conduct the study. This study's main goal was to investigate the levels of reflective thinking among mathematics and science preservice teachers who already finished their practice courses. The total sampling method was used to determine the sample. There were 56 samples in total. The study's data consists of reflective thinking abilities. The data was gathered using the Reflective Thinking Questionnaire (RTQ), created by Kember et al. (2000). The 16 items measure four different types of reflective thinking: Habitual Action (HA), Understanding (U), Reflection (R), Critical Reflection (CR). The Likert type 5 scale is used to score the scale: Scale is scored according to Likert type 5. They were "definitely agree" = 5, "agree with reservation" = 4, "only to be used if a definite answer is not possible" = 3, "disagree with reservation" = 2, and "definitely disagree" = 1.

The questionnaire's validity and reliability were confirmed. Cronbach's alpha was used to estimate the questionnaire's reliability, and the result was 0.85. Data regarding the minimum, maximum, average, and standard deviation of each type of reflective thinking were analyzed using descriptive statistics.

Items 1,5,9,13 of the questionnaire refer to the first type of reflective thinking Habitual Action (HA), which is defined by the action that has been previously learned and, as a result of repeated use, becomes automatic or requires little conscious thought.

---

1. When I am working on some activities, I can do them without thinking about what I am doing

5. In this course we do things so many times that I started doing them without thinking about it.

9. As long as I can remember handout material for examinations, I do not have to think too much.

13. If I follow what the lecturer says, I do not have to think too much on this course

---

Items 2,6,10,14 refer to Understanding (U) defined as the action that "makes use of existing knowledge, without attempting to appraise that knowledge, so learning remains within pre-existing meaning schemes and perspectives." (Mezirow, 1991)

---

2. This course requires us to understand concepts taught by the lecturer.

6. To pass this course you need to understand the content.

10. I need to understand the material taught by the teacher in order to perform practical tasks

14. In this course you have to continually think about the material you are being taught.

Items 3,7,11,15 refer to Reflection (R) which is validity testing according to Mezirow (1991). "Reflection involves the critique of assumptions about the content or process of problem solving … The critique of premises or presuppositions pertains to problem posing as distinct from problem solving. Problem posing involves making a taken-for-granted situation problematic, raising questions regarding its validity." (Mezirow, 1991, p. 105)

---

3. I sometimes question the way others do something and try to think of a better way.

7. I like to think over what I have been doing and consider alternative ways of doing it.

11. I often reflect on my actions to see whether I could have improved on what I did.

15. I often re-appraise my experience so I can learn from it and improve for my next performance.

Items 4,8,12,16 refer to Critical Reflection (CR) which involves us becoming aware of why we perceive, think, feel or act as we do.

---

4. As a result of this course I have changed the way I look at myself.

8. This course has challenged some of my firmly held ideas.

12. As a result of this course I have changed my normal way of doing things

16. During this course I discovered faults in what I had previously believed to be right.

Higher education is the most common setting for development through the phases of reflective thinking (Kitchener & King, 1981). However, no single course appears to be linked to transitions between stages (Pascarella, 1999). A pupil could demonstrate reflective thinking in one area but not another, indicating that this ability does not appear and then inevitably extend over all domains (Mason, Boldrin, & Zurlo, 2006).

The ability, desire, and experiences that are specific to each individual determine the focus, pace, and direction of their own growth (Fischer & Pruyne, 2003). Thus, it is up to each individual to choose whether or not to make the effort necessary to develop and practice reflective thinking habits on a daily basis.

The following table shows the four levels for assessing habits of reflective thinking

Habitual action Understanding Reflection Critical reflection

ŀ---------- requires metacognition----------

(thinker consideringhis/her own thinking)

ŀ----------requires deep approaches to learning----------

(Learner actively engaged andattempting to learn)

Habitual actions conducted without significat thought. Rigid approach to learning without interest in applicability or alternatives	A deep approach to understanding the ideas in an attempt to absorb the author's underlying meaning but without relating ideas to personal life	Pro-active learner generalizes theory to practical applications, makes connections to other knowledge, and gains personal insight from knowledge	Non-hasty consideration of outcomes, values, and premise underlying the knowledge, often leading to a perspective shift

Source: Kember and colleagues (2008).

Result

The findings obtained in Habitual Action (HA) of reflective thinking are presented in Table 1 below:

Table 1. Descriptive Statistic of Habitual Action (HA)

Scale	Min	Max	Mean	SD
1. When I am working on some activities, I can do them without thinking about what I am doing	7.00	14.00	**4.6**	**0.78**
5. In this course we do things so many times that I started doing them without thinking about it.	1.00	30.00	**3.77**	**1.20**
9. As long as I can remember handout material for examinations, I do not have to think too much.	4.00	19.00	**3.42**	**1.18**
13. If I follow what the lecturer says, I do not have to think too much on this course.	6.00	18.00	**3.44**	**1.30**

The findings obtained in Understanding (U) are presented in Table 2 below:

Table 2. Descriptive Statistic of the Understanding Factors of Reflective Thinking

Scale	Min	Max	Mean	SD
2. This course requires us to understand concepts taught by the lecturer	0.00	33.00	**4.41**	**0.90**
6. To pass this course you need to understand the content	1.00	45.00	**4.68**	**0.78**
10. I need to understand the material taught by the teacher in order to perform practical tasks	1.00	39.00	**4.46**	**0.98**
14. In this course you have to continually think about the material you are being taught	1.00	29.00	**4.20**	**1.03**

Table2 shows that among the comprising factors of Understanding (U), the sixth question (M=4.68. SD=0.78) received the highest mean followed by the tenth (M=4.46, SD=0.98), the second (M=4.41, SD=0.90). While, the fourteenth (M=4.20, SD=1.03) receives the lowest mean score.

In line with the mean of understanding aspects, the minimal score of the sixth, tenth, and fourteenth questions (7.00) is the highest, followed by the second (0.00). The maximal score of the sixth question is (39.00) the highest, followed by the tenth (39.00), the second (33.00) and the fourteenth (29.00).

The findings obtained in Reflection (R) are presented in Table 3 below:

Table 3. Descriptive Statistic of Reflection (R) of Reflective Thinking

Scale	Min	Max	Mean	SD
3. I sometimes question the way others do something and try to think of a better way	1.00	30.00	**4.34**	**0.89**
7. I like to think over what I have been doing and consider alternative ways of doing it	1.00	32.00	**4.38**	**0.90**
11. I often reflect on my actions to see whether I could have improved on what I did	2.00	33.00	**4.36**	**0.99**
15. I often re-appraise my experience so I can learn from it and improve for my next performance	1.00	38.00	**2.57**	**0.78**

Table3 shows that among the comprising factors of Reflection (R), the seventh question (M=4.38. SD=0.90) received the highest mean followed by the eleventh (M=4.36, SD=0.99), the third (M=4.34, SD=0.89). While, the fifteenth (M=2.57, SD=0.78) receives the lowest mean score.

In line with the mean of reflection aspects, the minimal score of eleventh question (2.00) is the highest, followed by the third, seventh, and fifteenth (1.00). The maximal score of the fifteenth question (38.00) is the highest, followed by the eleventh (33.00), the seventh (32.00) and the third (30.00).

The findings obtained in Critical Reflection (CR) are presented in Table 4 below:

Table 4. Descriptive Statistic of Critical Reflection (CR) of Reflective Thinking

Scale	Min	Max	Mean	SD
4. As a result of this course I have changed the way I look at myself	2.00	30.00	**4.29**	**0.99**
8. This course has challenged some of my firmly held ideas	1.00	28.00	**4.07**	**0.92**
12. As a result of this course I have changed my normal way of doing things	2.00	25.00	**4.11**	**1.08**
16. During this course I discovered faults in what I had previously believed to be right	1.00	35.00	**4.45**	**0.88**

Table 4 shows that among the comprising factors of critical reflection (CR), the sixteenth question (M=4.45. SD=0.88) received the highest mean followed by the fourth (M=4.29, SD=0.99), the twelfth (M=4.11, SD=1.08). While, the eighth (M=4.07, SD=0.92) receives the lowest mean score.

In line with the mean of critical reflection aspects, the minimal score of the fourth and twelfth questions (2.00) is the highest, followed by the eighteen and sixteenth (1.00). The maximal score of the sixteenth question is (35.00) the highest, followed by the fourth (30.00), the eighth (28.00), and the twelfth (25.00).

To sum up, the average mean of each of the four components was 3.81 for habitual action, 4.44 for understanding, 3.91 for reflection, and 4.23 for critical reflection.

Conclusion

This study aimed to investigate the four components of reflective thinking: understanding, reflection, critical reflection, and habitual action of preservice mathematics and science teachers who completed their teaching practice practicums and action research.

The results of the study show that understanding received the highest mean followed by critical reflection and reflection. On the other hand, habitual actions had the lowest average score. These results indicate that preservice teachers exhibited skills related to high-order thinking abilities like understanding, reflection, and critical reflection more than lower-order thinking abilities related to memorization and rote learning, i.e., habitual action. As expected after completing courses and practicums in which reflection is a main objective, preservice teachers showed mastery over two components, reflection and critical reflection, that ensure their deep learning approaches and the acquirement of the necessary skills to become qualified teachers who are responsible of their own progress and who reflect on their own accomplishments in the future.

These findings are compatible with Ghanizadeh and Jahedizadeh (2017) who studied undergraduate and graduate students and found out that reflection and critical reflection had higher mean scores than habitual action. These study's results are also parallel with those of Sargent's (2015) study among college students which revealed that habitual thinking had the lowest score whereas understanding score was the highest.

We consider that the results of this study highlighted the critical significance of reflective thinking skills for preservice teachers. Given that reflective thinking skills equip them with the capabilities needed to progress, teachers who engage in reflective practice are more equipped to behave critically, and become more conscious of the process of teaching (Farrell, 2014).

References

Boud, D. and Fales, A. (1983) Reflective learning: key to learning from experience. Journal of Humanistic Psychology, 23(2), 99-117.

Clara, M. (2015). What is reflection? Looking for clarity in an ambiguous notion. Journal of Teacher Education, 66(3) 261-271. http://dx.doi.org/10.1177/0022487114552028

Dewey, J. (1933). How we think: A restatement of the relation of reflective thinking to the educative process. Boston: Houghton Mifflin Company.

Fischer, K.W., & Pruyne, E. (2003). Reflective thinking in adulthood. In J. Demick & C. Andreoletti (Eds.), Handbook of adult development (pp. 169–198). New York: Kluwer Academic/Plenum.

Ghanizadeh, A. & Jahedizadeh, S. (2017). Validating the Persian Version of Reflective Thinking Questionnaire and Probing Iranian University Students' Reflective Thinking and Academic Achievement. International Journal of Instruction, 10(3), 209-226. https://doi.org/10.12973/iji.2017.10314a

Goodman, J. (1991). Using a methods course to promote reflection and inquiry among preservice teachers. In B. Tabachnick and K. Zeichner (Eds.), Issues and practices in inquiry-oriented teacher education (pp. 56-75). New York: Falmer Press.

Griffiths, V. (2000). The reflective dimension in teacher education. International Journal of Educational Research, 33, 539-555.

Kember, D., Jones, A., Loke, A.Y., McKay, J., Sinclair, K., Tse, H., et al. (1999). Determining the level of reflective thinking from students' written journals using a coding scheme based on the work of Mezirow. International Journal of Lifelong Education, 18(1), 18–30.

Kember, D., Leung, D.Y.P., Jones, A., Loke, A.Y., McKay, J., Sinclair, K., et al. (2000). Development of a questionnaire to measure the level of reflective thinking. Assessment & Evaluation in Higher Education, 25(4), 381–395.

Kember, D., McKay, J., Sinclair, K., & Wong, F.K.Y. (2008). A four-category scheme for coding and assessing the level of reflection in written work. Assessment & Evaluation in Higher Education, 33(4), 369–379

Kitchener, K.S., & King, P.M. (1981). Reflective judgment: Concepts of justification and their relationship to age and education. Journal of Applied Developmental Psychology, 2(2), 89–116

Lane, R., McMaster, H., Adnum, J. and Cavanagh, M. (20214). Quality reflective practice in teacher education: a journey towards shared understanding. Reflective Practice, 15(4), 481–494

Lindh, I. & Thorgren, S. (2016). Critical event recognition: An extended view of reflective learning. Management Learning, 47(5), 525–542. http://dx.doi.org/10.1177/1350507615618600

Mason, L., Boldrin, A., & Zurlo, G. (2006). Epistemological understanding in different judgment domains: Relationships with gender, grade level, and curriculum. International Journal of Educational Research, 45(1), 43–56.

Pascarella, E.T. (1999). The development of critical thinking: Does college make a difference? Journal of College Student Development, 40(5), 562–569

Sargent, C, S. (2015). Evidence of reflective thinking across the curriculum: college experience versus individual courses. Higher Education Research & Development, 34 (3), 624–640. DOI: 10.1080/07294360.2014.973375

2 – التنفيذ الفعلي لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة، من وجهة نظر المعلّمين والمشرفين التربويّين وذلك في سياق التطوّرات التكنولوجيّة الأخيرة

La mise en œuvre pratique de la supervision intégrée dans les écoles privées, du point de vue des enseignants et des superviseurs pédagogiques, dans le contexte des récents développements technologiques

بقلم الطالبة تيا ماريا البعيني

طالبة ماستر بحثي في اختصاص الإشراف التربوي/ الجامعة اللبنانيّة – كلية التربية

Tiamariatia261@gmai.com

تاريخ الاستلام17/ 6 / 2024 تاريخ القبول: 28/6/ 2024

ملخّص

تهدف هذه الدّراسة إلى فهم وتقييم استخدام الإشراف المدمج في المدارس، وتحديد التحديات التي تواجه المعلمين والمشرفين. تم استخدام منهج وصفي تحليلي واستبيانات إلكترونية لجمع البيانات. شملت العينة 43 معلمًا ومعلمة، و10 مشرفين تربويين.

أظهرت النتائج تقاربًا في تقييم المعلمين والمشرفين لواقع الإشراف المدمج، ولكن مع وجود بعض الفروق الطفيفة في النتائج. يرى المشرفون ضرورة «توفير فرص للتدريب والدعم للمعلمين» بنسبة 90.0%، و«توفير الموارد اللازمة لتنفيذ التحسينات» بنسبة 80.0%.

تشير هذه النتائج إلى أهمية تطوير برامج تدريبية مكثفة وتعزيز آليات التواصل وتوفير دعم مستدام يركز على التقنيات الحديثة لتحسين جودة الإشراف المدمج.

الكلمات المفتاحية: إشراف مدمج –تحديات–برامج تدريبية–التواصل–جودة التعليم– التقنيات الحديثة.

Résumé

Cette étude vise à comprendre et évaluer l'utilisation de la supervision intégrée dans les écoles, ainsi que à identifier les défis auxquels sont confrontés les enseignants et les superviseurs. Une méthode d'analyse descriptive a été utilisée, avec des questionnaires électroniques pour recueillir les données. L'échantillon comprenait 43 enseignants et 10 superviseurs pédagogiques.

Les résultats ont montré une convergence dans l'évaluation des enseignants et des superviseurs de la réalité de la supervision intégrée, bien que quelques différences mineures aient été observées dans les résultats. Les superviseurs estiment qu'il est nécessaire de «fournir des opportunités de formation et de soutien aux enseignants» à hauteur de 90,0 %, et de «fournir les ressources nécessaires pour mettre en œuvre les améliorations» à hauteur de 80,0 %.

Ces résultats soulignent l'importance du développement de programmes de formation intensifs, du renforcement des mécanismes de communication et de la fourniture d'un soutien durable axé sur les technologies modernes pour améliorer la qualité de la supervision intégrée.

Mots–clés : Supervision intégrée – Défis – Programmes de formation – Communication – Qualité de l'éducation – Technologies modernes.

1. الإطار العام للبحث

1.1. المقدّمة

في العصر الحديث، أثر التقدم العلمي والتكنولوجي على مختلف جوانب حياة الإنسان، وخاصةً في مجال التعليم. أصبحت التربية التكنولوجية جزءًا أساسيًا في التجديد التّربوي، خاصةً في المجتمعات النامية، حيث تسهم في تحسين العمليات التعليمية والإدارية والإشراقية عبر الإنترنت (سعادة والسرطاوي، 2007، ص 25). يبرز الإشراف التّربوي في تطوير العمليات التعليمية من خلال تحسين العوامل المؤثرة ومعالجة التحديات التي تواجهها (الحلاق، 2008، ص 8). يعتمد الإشراف التّربوي على التواصل والاتصال بين المشرف والمؤسسات التعليمية وإداراتها والمعلمين (عبيدات وأبو السميد، 2007، ص 22).

في ظل التطورات الحديثة، يُعَد الإشراف التّربوي الحديث عبر النموذج المدمج تحولًا نوعيًا في هياكل الإشراف التّربوي، وتسعى الدّراسة إلى استكشاف واقع استخدام الإشراف المدمج في المدارس الخاصة في جبل لبنان وتسليط الضوء على التحديات المحتملة واقتراح سبل لتطويره (الحفظي، 2012، ص 58). يشهد العالم المعاصر تحولات هائلة نحو التقدم التكنولوجي، وتظهر الحاجة الملحة لدمج النماذج التقليدية مع التكنولوجيا لتحقيق توازن مثلى (الحفظي، 2012، ص 58).

هذه الدّراسة تأتي في سياق الحاجة الملحة لتقييم أداء الإشراف المدمج في المدارس الخاصة، ويعتمد هدفها على تحليل فعالية استخدام الإشراف المدمج في جبل لبنان وتوفير اقتراحات لتطوير هذا النموذج مع مراعاة التوجيهات الحديثة وتطلعات مستقبل التعليم. تتميز الدّراسة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي لجمع البيانات من المشرفين التّربويين والمدرسين في المدارس الخاصة عبر الاستبيان، وتعتمد على إطار نظري يركز على دمج التكنولوجيا في الإشراف التّربوي ودور المشرف التّربوي في تعزيز التعلم والتعليم.

2.1. مشكلة البحث

يعاني الإشراف التربوي في لبنان من تحديات متعددة، حيث يظهر أن الاعتماد الحصري على الأساليب التقليدية دون دمجها مع الأساليب الإلكترونية يُعتبر مصدراً لعدة سلبيات، مثل صعوبة التنقل وزيادة أعداد المعلمين، وصعوبة الاتصال المباشر في الأزمات، بالإضافة إلى ضعف العلاقات الإنسانية بين المشرف والمعلم. ينبغي للمسؤولين التركيز على معالجة هذه القضايا بجدية، والتفكير بسبل تحسين وتطوير الإشراف التربوي بما يتناسب مع التحولات الحديثة والاحتياجات العاجلة في مجال التعليم في لبنان.

3.1 الدّراسة

تتكون أسئلة الدّراسة من السؤال الرئيس:

ما التنفيذ الفعلي لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التربويين وذلك في سياق التطورات التكنولوجية الأخيرة؟

وينبثق منه الأسئلة الفرعية الآتية:

السؤال الأول:

ما التنفيذ الفعلي لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التربويين وذلك في سياق التطورات التكنولوجية الأخيرة؟

السؤال الثاني:

ما هي مكونات تطوير الإشراف المدمج، من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التّربويين لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة وذلك في سياق التطورات التكنولوجية الأخيرة؟

السؤال الثالث:

ما هي الخطوات الإجرائية المطلوبة لتنفيذ التطوير المقترح للإشراف المدمج، من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التّربويين، وذلك في سياق التطورات التكنولوجية الأخيرة؟

السؤال الرابع:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين ردود فعل المشرفين التّربويين وردود فعل المدرسين تجاه استخدام الإشراف المدمج وتطويره في المدارس الخاصة في جبل لبنان، وهل يمكن تفسير هذه الفروق بناءً على متغيرات مثل الجنس، وسنوات الخبرة، والمؤهل العلمي؟

4.1 فرضيات الدّراسة

انطلاقا من إشكاليات الدّراسة وأسئلتها سيتم وضع عدد من الفرضيات التي تحدد خطوط السير والمعالجة في الدّراسة الميدانية وهي:

الفرضية الأولى:

يفترض أن هناك تنفيذًا فعليًا لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة، من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التّربويين، في سياق التطورات التكنولوجية الأخيرة.

الفرضية الثانية:

تفضي مكونات التطوير المقترحة للإشراف المدمج من وجهة المعلمين والمشرفين التّربويين إلى تحقيق فعالية أكبر في تنفيذ الإشراف المدمج، وذلك من خلال تقديم وجهة نظرهم في ضوء التطورات التكنولوجية الأخيرة.

الفرضية الثالثة:

هناك تأثير إيجابي لتنفيذ الخطوات المقترح للإشراف المدمج، الذي يشمل خطوات إجرائية محددة، من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التّربويين، وفقًا للتطورات التكنولوجية الأخيرة.

وللحصول على إجابة للسؤال الرابع تم وضع عدة فرضيات:

1. تظهر فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة المشرفين التّربويين والمعلمين تجاه واقع استخدام الإشراف المدمج في المدارس الخاصة في محافظة جبل لبنان، وذلك في ضوء التكنولوجيا الأخيرة، ويعزى ذلك إلى متغير الجنس(ذكر/أنثى).

2. تظهر فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة المشرفين التّربويين والمعلمين تجاه واقع استخدام الإشراف المدمج في المدارس الخاصة في محافظة جبل لبنان، وذلك في ضوء التكنولوجيا الأخيرة، ويعزى ذلك إلى متغير سنوات الخبرة: (أقل من سنة/ من سنة إلى 5 سنوات/ من6 سنوات إلى 10 سنوات/ من 11 سنوات إلى 15 سنة/ أكثر من 15 سنة) .
3. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة المشرفين التّربويين والمعلمين تجاه واقع استخدام الإشراف المدمج في المدارس الخاصة في محافظة جبل لبنان، وذلك في ضوء التكنولوجيا الأخيرة، ويعزى ذلك إلى متغير المؤهل العلمي (دبلوم/ بكالوريوس /بكالوريوس مع دبلوم تربية/ /ماجستير/ دكتوراه).

5.1 الدّراسة

الهدف الأول:

التعرف إلى التنفيذ الفعلي لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التربويين وذلك في سياق التطورات التكنولوجية الأخيرة.

الهدف الثاني:

التعرف إلى مكونات تطور الإشراف المدمج من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التّربويين لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة وذلك في سياق التطورات التكنولوجية الأخيرة.

الهدف الثالث:

التعرف إلى الخطوات الإجرائية لتطبيق التصور المقترح للإشراف المدمج من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التّربويين في ضوء التطورات التكنولوجية الأخيرة.

الهدف الرابع:

التعرف إلى الفروق ذات دلالة إحصائية بين ردود فعل المشرفين التّربويين وردود فعل المدرسين تجاه استخدام الإشراف المدمج وتطويره في المدارس الخاصة في جبل لبنان، وتفسير هذه الفروق بناءً على متغيرات مثل الجنس، وسنوات الخبرة، والمؤهل العلمي

للمشاركين في الدّراسة.

6.1 أهميّة البحث

يهدف البحث إلى تحسين جودة التعليم من خلال تطوير نماذج الإشراف المدمج باستخدام التقنيات المتقدمة، مما يعزز قدرات المشرفين التربويين ويحسن الأداء التعليمي. على مستوى المجتمع، يسهم البحث في خلق فرص عمل وتعزيز الاستقرار الاقتصادي، بينما يسهم على مستوى القطاع التربوي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وتطوير بنية التعليم. على المستوى الشخصي، يساعد البحث في تطوير مهارات الإشراف التربوي للأفراد وتعزيز دورهم في تطوير المدرسة وتحسين بيئة التعلم.

1.7 حدود الدّراسة ومحدداتها

تتمثل حدود الدّراسة الحالية في الآتي:

الحدود البشرية:

سيتم تطبيق هذه الدّراسة على المشرفين التّربويين والمعلمين في المدارس الخاصة في محافظة جبل لبنان.

الحدود المكاني:

ستطبق هذه الدّراسة في المدارس الخاصة في محافظة جبل لبنان–جبيل.

الحدود الزماني:

ستطبق هذه الدّراسة في العام الدراسي 2024–2023

1.8 التّعريفات الاصطلاحيّة والإجرائية

اشتملت الدّراسة على المصطلحات الأتية:

المشرف التّربوي: المشرف التّربوي يعد قائدًا تربويًا يتخذ دورًا حيويًا في تحسين أداء المعلمين وتطوير العملية التعليمية. يقوم بتوجيه ودعم المعلمين، ويشجع على التعلم المستمر وتبني أساليب تدريس مبتكرة. يسعى المشرف التّربوي إلى تعزيز بيئة تعليمية فعّالة وتحقيق أهداف التعليم (Glickman et al., 2014).

الإشراف التّربوي التقليدي:

الإشراف التّربوي التقليدي هو نهج يعتمد على المتابعة والإرشاد بشكل هرمي وإداري، حيث يتم تقييم الأداء ومتابعة العمليات التعليمية بطرق تقليدية مثل الزيارات الصفية المفاجئة وتقديم التوجيه استنادًا إلى النتائج الملموسة. يتسم هذا النهج بالصرامة في بعض الأحيان، وقد لا يشجع بشكل كافٍ على التطوير المهني والتجديد في الممارسات التعليمية (Sergipvanni, 2018).

الإشراف الإلكتروني:

الإشراف الإلكتروني هو نوع من الإشراف التّربوي يعتمد على التقنيات الرقمية ووسائل الاتصال عبر الإنترنت لمتابعة وتقييم العمليات التعليمية وتقديم الدعم للمعلمين والطلاب. يتضمن استخدام البريد الإلكتروني والدوريات عبر الإنترنت ومنصات التعلم الإلكتروني لمتابعة وتقييم الأداء التعليمي، مما يتيح فرصًا للتواصل المستمر وتبادل الملاحظات بين المشرفين التّربويين والمعلمين دون الحاجة للتواجد في نفس الموقع (حسن، 2019).

الإشراف المدمج:

الإشراف المدمج يمثل نهجًا حديثًا في مجال الإشراف التربوي، حيث يجمع بين الجوانب التقليدية والتكنولوجية، مما يسهم في تحسين الأداء التربوي وحل المشكلات التعليمية. يشمل هذا النمط استخدام الزيارات الصفية والحوارات بالإضافة إلى التقنيات الإلكترونية مثل شبكات الحاسوب ووسائط التواصل المتعددة. يعتبر هذا النهج مفيدًا خاصة في الأوضاع الطارئة والكوارث مثل جائحة كوفيد-19، حيث يسهم في إدارة العملية التربوية بفعالية دون التأثير الكبير على جودة التعليم والتدريس (العمري، 2020).

2. الإطار النظري والدراسات السابقة

2.1 النظري

الهدف من هذا الفصل هو الاستناد إلى الأدب النظري والأبحاث السابقة المتعلقة بالعوامل الرئيسية للدراسة، وتسليط الضوء على نتائج الدراسات السابقة واستخدامها في سياق الدّراسة الحالية، خاصة فيما يتعلق بالإشراف المدمج وطرق تطويره. سيتم في هذا الفصل استعراض الأدب النظري لتوضيح أهمية الإشراف المدمج وسبل تطويره

باستخدام تطبيقات الإشراف الإلكتروني، وذلك لدمج التوجهات التقليدية والتكنولوجيا الحديثة وتحسين جودة الإشراف التّربوي.

في سياق الإشراف المدمج، يتم دمج أساليب التفتيش التقليدية مع وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة. يعتبر الإشراف المدمج استجابة لتحديات العصر الرقمي ويسعى إلى تحقيق التوازن بين الروح التقليدية للإشراف وفوائد التكنولوجيا. يركز الإشراف المدمج على دمج المراقبة المباشرة والاتصال الإلكتروني لتحسين فعالية الإشراف (تركيبيني، 2020).

فيما يخص الإشراف الإلكتروني، يعتمد على استخدام التكنولوجيا للإشراف على العمليات التعليمية عن بُعد. يشمل ذلك استخدام الشبكة العنكبوتية ووسائل الاتصال الرقمية للمراقبة وتقديم التوجيه. يمكن أن يكون الإشراف الإلكتروني عبارة عن متابعة الدروس عبر الإنترنت، وتحليل البيانات التعليمية، وتوفير التوجيه عبر الوسائل الرقمية (بيكر، 2019)

3.1 الدراسات السابقة

دراسة «زامل» (2022) تهدف إلى تطوير تصور مقترح لتعزيز الإشراف التّربوي في المدارس الحكومية الفلسطينية، بناءً على آراء مديري المدارس والمشرفين التّربويين. النتائج أظهرت تحقيق درجات عالية في مجال الإدارة، بينما تفاوتت الدرجات في المجالات الأخرى مثل استخدام تطبيقات التواصل والبنية التحتية الرقمية.

دراسة العظامات (2020) استهدفت فهم مدى تفاعل مشرفي التربية في مديرية تربية الزرقاء الأولى مع ممارسات الإشراف المدمج. أظهرت النتائج تفاوتًا في مستوى تفاعل المشرفين مع ممارسات الإشراف المدمج. نصحت الدّراسة بتنظيم ورش تدريبية حول استخدام تقنيات الحاسوب في الإشراف التّربوي والاستفادة من الخدمات المتاحة عبر الإنترنت.

وسعى صافي (2020) في دراسته إلى تقديم تصور مقترح لتطبيق الإشراف التّربوي الإلكتروني في إطار رؤية عمان 2040، وأظهرت نتائج الدّراسة أن الكفايات المتعلقة بالإشراف الإلكتروني كانت ضعيفة في عينة الدّراسة. بناءً عليها، أوصت الدّراسة

بتطوير مهارات التعليم الإلكتروني وتكاملها مع الكفايات الرئيسية المطلوبة لتقييم المشرفين، وتكثيف البرامج التدريبية في مجال التقنيات الحاسوبية.

بينما استهدفت دراسة حسين (2019) وضع تصور مقترح لتطبيق نموذج الإشراف المدمج، وأظهرت نتائج الدّراسة تأييدًا عاليًا لأهداف البرنامج المقترح، مع توصية بتطوير كفايات المشرفين التّربويين بما يتلاءم مع متطلبات الإشراف المدمجTop of FormBottom of Form.

دراسة كومار وآخرون (2020) استكشفت تحديات الإشراف عبر الإنترنت في برامج الدكتوراه، واقترحت حلولًا للتعامل معها، مما يشمل دعم المشرفين والمرشحين عبر الإنترنت بواسطة دليل يحتوي على اقتراحات مدعومة بالمعلومات.

أما دراسة (AL-Qublan, 2018) فهدفت إلى تحديد مستوى ممارسات عناصر الإشراف التّربوي وكشف خصائص المعلم الفعّال، وأظهرت أن عناصر الإشراف قد قامت بممارسات مطلوبة بنسبة 97.64%، وكشفت أيضًا عن خصائص المعلم الفعّال المعتقدة من قبل المعلمين.

دراسة عبد اللطيف (2017) استهدفت فهم تفعيل الإشراف الإلكتروني في التعليم قبل الجامعي في مصر، وكشفت عن ضعف في بنية التحتية التكنولوجية في المدارس المصرية، مما دفع إلى الحاجة لخطة زمنية تستهدف تحسين البنية التحتية وتعزيز استخدام الإشراف الإلكتروني.

4.1 التعقيب على الدراسات السابقة

قمت باستخدام استمارات الاستبيان لجمع البيانات من المشرفين التّربويين والمعلمات، مستلهمًا من فعالية استخدام الاستبيان كأداة فعالة لجمع البيانات واستنادًا إلى التفاعل الإيجابي مع دراسة العظامات (2020) و AL-Qublan (2018) التي اتخذت نهجًا مماثلاً. في مجال التنوع البحثي، ركزت على فئة معينة من معلمات المدارس الخاصة، مما يميزه عن الدراسات السابقة التي استهدفت مستويات تعليمية متنوعة، مثل حسين (2019) وزامل (2021). يتسم بحثي بالتحليل الوصفي، مما يضيف جانبًا تحليليًا أكثر لفهم التدريس والإشراف في سياق التعليم الخاص. ويسلط الضوء على أهمية بنية

التحتية التكنولوجية لدعم الإشراف الإلكتروني في المدارس. عند مقارنة بحثي بالدراسات السابقة مثل دراسة حسين (2019) ودراسة كومار وآخرون (2020) ودراسة AL–Qublan (2018)، يظهر أنه يشترك معها في بعض النقاط مثل استخدام الأساليب البحثية المتعددة واستخدام الاستبيان كأداة رئيسية لجمع البيانات. وبالتالي، يعتبر بحثي إضافة قيمة لفهم أعمق لميدان الإشراف التّربوي في سياق المدارس الخاصة.

3. منهجية الدّراسة وإجراءات تنفيذها

1.3. منهجية الدّراسة

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة لفهم استخدام الإشراف المدمج في المدارس الخاصة وتحليل التوجهات الحديثة في مجال الإشراف التربوي من وجهة نظر المشرفين والمعلمين في محافظة جبل لبنان. يتيح هذا المنهج فهمًا شاملاً للتوجهات الحديثة في الإشراف التربوي وواقع استخدامه في المدارس الخاصة.

1.4. عينة الدّراسة

شملت عيّنة الدّراسة 43 معلّم ومعلّمة وعشرة مشرفين تربويّين شاركوا في المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدته الباحثة من خلال استبيان وزّعته على كلٍّ من الفئتَين يقوم على جمع المعلومات الشخصيّة الخاصّة بهم إضافةً إلى تقييمهم لمدى فاعليّة استخدام الإشراف المدمج في تحسين قدراتهم وكفاءاتهم العلميّة التعليميّة. ويعرض الرسمان التاليان الخصائص الديمغرافيّة للعيّنتَين تبعًا لمتغيِّرات الجنس، سنوات الخبرة والمؤهل العلمي.

1.5. أداة البحث

تم إعداد استبانتين لدراسة حول الإشراف التربوي المدمج، إحداهما موجهة للمشرفين التربويين والأخرى للمعلمين. يتكوّن الاستبيانان من أسئلة (مغلقة) حول استخدام الإشراف المدمج ومهارات التخطيط والتواصل، مع إدراج أسئلة مفتوحة. استند بناء الاستبانات إلى الدراسات السابقة المتعلقة بالإشراف التّربوي المدمج كل من دراسات العمري (2020)، القثامي (2019) والقاسم (2013).

لقد تمّ الاعتماد على مقياس «ليكرت الخماسي» لقياس إجابات المشاركين على الأسئلة المغلقة حيث يختار المُجيب احتمالًا واحدًا من أصل خمسة احتمالات محدّدة كما يلي: الدرجة (1): «غير موافق أبدًا"، الدرجة (2): «غير موافق"، الدرجة (3): «محايد»، الدرجة (4): «موافق" والدرجة (5): «موافق بشدّة"

1.6. صدق وثبات الأداة

تم تحقيق صدق وثبات أداة البحث من خلال عرض الاستبيان على أساتذة في الجامعة اللبنانية ذوي اختصاص وخبرة في المجال، واستقبال توجيهاتهم وتحكيمهم للأداة حتى وصلت إلى صورتها النهائية. وللتحقق من ثباتها، تم تطبيقها على عينة استطلاعية تتألف من ثمانية معلمين ومشرفين وقد تمّ الاعتماد على تحاليل كرونباخ ألفا «Reliability Test» حيث تراوحت قيم معامل الثبات كرونباخ ألفا بين 0.916 و0.977 وجميعها أكبر من 0.7 مما يشير إلى الاتّساق الداخلي بين فقرات الاستبيان وثباته.

1.7. الأساليب الإحصائية

تم جمع البيانات وتفريغها حاسوبياً باستخدام برنامج SPSS، ومن ثم قمنا بإجراء التحليلات والاختبارات الإحصائية المناسبة.

1.8. متغيرات الدّراسة

المتغيرات المستقلة:

الجنس: وله مستويان (ذكر/ أنثى).

سنوات الخبرة الإشرافية: (أقل من 5 سنوات، من 10–5 سنوات، أكثر من 10 سنوات).

المؤهل العلمي: وله ثلاث مستويات (بكالوريوس /ماجستير/ دراسات عليا).

المتغيرات التابعة:

واقع استخدام الإشراف المدمج في المدارس الخاصة في جبل لبنان من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التربويين.

1.9. حدود البحث ومحدداته

تتمثل حدود البحث في الآتي:

الحدود البشرية: اقتصرت هذه الدّراسة على المشرفين والمعلمين التّربويين.

الحدود المكانية: اقتصرت هذه الدّراسة على المدارس الخاصة في جبل لبنان.

حدود الزمنية: أجريت هذه الدّراسة في عام 2024.

4. نتائج الاستبيان: عرض وتحليل النتائج

للإجابة على فرضيّات الدِّراسة قمنا باحتساب متوسِّط إجابات كلّ من المعلّمين والمرشدين التربويّين حول استخدام الإشراف المدمج ومهارات التخطيط والتواصل كما قمنا بإجراء تحليل وصفي للإجابات على الأسئلة المفتوحة ومعرفة آراء كلّ من المعلّمين والمشرفين التربويّين حول السبل الواجب اتّباعها لتطوير الإشراف التربوي المدمج ليكون أكثر فاعلية ولتبيان دَور المشرفين في تعزيز جودة الإشراف التربوي المدمج والخطوات الدقيقة والمحدّدة التي ينبغي اتخاذها لتحقيق هذا الهدف.

1.1. تقييم المعلّمين والمشرفين التربويّين لمدى تطبيق الإشراف المُدمج في المدارس الخاصة

جدول رقم 1.

متوسِّط إجابات كلّ من المعلّمين والمشرفين التربويّين المتعلّقة بتقييمهم لمدى تطبيق الإشراف المُدمج في المدارس الخاصة

	العدد	المتوسِّط الحسابي	الانحراف المعياري
تقييم المعلّمين	43	3099	0,615
تقييم المشرفين التربويّين	10	3068	0,786
المتوسِّط العام للتقييم	53	3093	0,654

من خلال تحليل البيانات، يمكن استخلاص النقاط التالية:

رضا مرتفع بين المعلمين: يعكس المتوسط الحسابي المرتفع (3.99) رضا المعلمين الكبير عن تطبيق الإشراف المدمج في العملية التعليمية، مما يشير إلى أنه أداة فعالة لتحسين أدائهم وتطوير مهاراتهم وله تأثير إيجابي على العملية التعليمية كَونه يعزّز من دعم وتقييم المشرفين لأدائهم، ويساهم في مواكبة التطورات التكنولوجية، والتفاعل الإبداعي، والابتكار في أساليب التدريس، وتطوير مهاراتهم التعليمية والمعرفية.

رضا جيد بين المشرفين التربويين: المتوسط الحسابي (3.68) يدل على رضا جيد بين المشرفين، مما يعكس رؤيتهم الإيجابية تجاه تأثير الإشراف المدمج على تحسين البيئة التعليمية وتوطيد العلاقة بين المشرفين والمعلمين، وتحسين كفاءات المعلمين، وتطوير أدائهم.

التوافق العام: المتوسط العام (3.93) يشير إلى توافق عام بين المعلمين والمشرفين حول فعالية الإشراف المدمج، مما يعزز فكرة أنه أسلوب فعال في تحسين البيئة التعليمية وتطوير كفاءات المعلمين.

1.2. سبل تطوير الإشراف المدمج ودَور المشرفين في تعزيز جودة الإشراف التربوي والخطوات الواجب اتِّخاذها من وجهة نظر المعلّمين والمشرفين التربويّين

جدول رقم 2.

التحليل الوصفي لمقترحات المعلّمين حول سبل تطوير الإشراف التربوي المدمج ودَور المشرفين في تعزيز جودة الإشراف التربوي والخطوات الواجب اتِّخاذها

		عدد الإجابات	النسبة المئويّة	عدد المشاركين في الاقتراحات	النسبة المئويّة للحالات
سبل تطوير الإشراف التربوي المدمج	توفير التدريب المناسب	32	33,0	36	88,9
	تعزيز التواصل الفعّال	27	27,8		75,0
	إنشاء برامج دعم المعلمين	14	14,4		38,9
	تشجيع المشرفين والمعلمين على الاستمرار في تطوير أنفسهم واستخدام التقنيات الحديثة	24	24,7		66,7
الأساليب الواجب اعتمادها من قبل المشرف التربوي لتعزيز جودة الإشراف التربوي	تعزيز التفاعل الإيجابي بين المشرفين التربويين والمعلمين	40	33,9	41	79,6
	استخدام التقنيات الحديثة	39	33,1		95,1
	توفير التدريب المستمر	39	33,1		95,1
الخطوات الفعّالة الواجب اتِّخاذها لتنفيذ التطوير المقترح للإشراف المدمج	تحليل الوضع الحالي للإشراف المدمج في المؤسسة التعليمية	40	26,1	40	100,0
	وضع خطة عمل محددة	39	25,5		97,5
	توفير الموارد والمصادر اللازمة لتنفيذ التحسينات	37	24,2		92,5
	التقييم لتحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في التحسينات.	37	24,2		92,5

يعرض الجدول نسبة إجابات المعلمين حول ثلاثة محاور رئيسيّة تتعلق بتطوير الإشراف التربوي المدمج: سبل تطوير الإشراف، الأساليب لتعزيز جودة الإشراف، والخطوات الفعّالة لتنفيذ التطوير المقترح.

وفقًا لبيانات الجدول، أشار 88.9% من المعلمين إلى أن «توفير التدريب المناسب» يعدّ من أهم سبل تطوير الإشراف التربوي المدمج. كما أشار 75.0% منهم إلى أهمية «تعزيز التواصل الفعّال»، بينما كان تشجيع المشرفين والمعلمين على استخدام التقنيات الحديثة (66.7%) وكانت النسب المئوية لإنشاء برامج دعم المعلمين (38.9%) أقل نسبيًا.

وعند السؤال عن كيفية تعزيز جودة الإشراف التربوي المدمج، أظهرت النتائج أن «تعزيز التفاعل الإيجابي بين المشرفين التربويين والمعلمين» كان الأهم بنسبة 97.6%، يليه «استخدام التقنيات الحديثة» و«توفير التدريب المستمر» بنسبة 95.1% لكل منهما.

ولتحقيق هذه التحسينات، يرى المعلمون ضرورة «تحليل الوضع الحالي للإشراف المدمج في المؤسسة التعليمية» بنسبة 100%، ووضع «خطة عمل محددة» بنسبة 97.5%، بالإضافة إلى «توفير الموارد والمصادر اللازمة» و«التقييم المستمر» بنسبة 92.5% لكل منهما.

جدول رقم 3.

التحليل الوصفي لمقترحات المشرفين حول سبل تطوير الإشراف التربوي المدمج ودَور المشرفين في تعزيز جودة الإشراف التربوي والخطوات الواجب اتِّخاذها

		عدد لإجابات	النسبة المئويّة	عدد المشاركين في الاقتراحات	النسبة المئويّة للحالات
سبل تطوير الإشراف التربوي المدمج	توفير قنوات تواصل مفتوحة لتلقي ملاحظات المعلمين واقتراحاتهم.	5	27,8	10	50,0
	التركيز على التوجيه والدعم	6	33.3		60,0
	توفير دورات تدريبية وورش عمل منتظمة لتطوير مهارات الإشراف التربوي	4	22,2		40,0
	تعزيز التواصل والتفاعل بين المشرفين لتبادل الخبرات وتعزيز الشبكات الاجتماعية المهنية	3	16,7		30,0
الأساليب الواجب اعتمادها من قبل المشرف التربوي لتعزيز جودة الإشراف التربوي	توفير بيئة عمل إيجابية	5	27,8	10	50,0
	مشاركة نتائج الإشراف مع المعلمين	6	33,3		60,0
	تعزيز جودة الإشراف التربوي المدمج من خلال إجراء ملاحظات دورية ومتابعة مستمرة لأداء المعلمين	4	22,2		40,0
	تقديم الورش العمل والجلسات التدريبية التي تساعد المعلمين على تحسين ممارساتهم	3	16,7		30,0
الخطوات الواجب اتِّخاذها لتنفيذ المقترح للإشراف المدمج	تقييم ممارسات الإشراف الحالي	6	21.4	10	60,0
	توفير الموارد والمصادر اللازمة لتنفيذ التحسينات	8	28,6		80,0
	توفير فرص للتدريب والدعم للمعلمين	9	32,1		90,0
	إعادة التقييم لتحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في التحسينات.	3	10.7		30,0
	تعديل التحسينات بناءً على نتائج	2	7,1		20,0

يعرض الجدول نسبة إجابات المشرفين حول ثلاثة محاور رئيسيّة تتعلق بتطوير الإشراف التربوي المدمج: سبل تطوير الإشراف، الأساليب لتعزيز جودة الإشراف، والخطوات الفعّالة لتنفيذ التطوير المقترح.

وفقًا لبيانات الجدول، أشار 60.0% من المشرفين إلى أن «التركيز على التوجيه والدعم» يعدّ من أهم سبل تطوير الإشراف التربوي المدمج. كما أشار 50.0% منهم إلى أهمية « توفير قنوات تواصل مفتوحة لتلقي ملاحظات المعلمين واقتراحاتهم»، بينما كانت النسب المئوية لتوفير دورات تدريبية وورش عمل منتظمة لتطوير مهارات الإشراف التربوي (40.0%) وكانت النسب المئوية لتعزيز التواصل والتفاعل بين المشرفين لتبادل الخبرات وتعزيز الشبكات الاجتماعية المهنية (30.0%) أقل نسبيًا.

وعند السؤال عن كيفية تعزيز جودة الإشراف التربوي المدمج، أظهرت النتائج أن «مشاركة نتائج الإشراف مع المعلمين» كانت الأهم بنسبة 60%، يليها «توفير بيئة عمل إيجابية» بنسبة 50.0% وتعزيز جودة الإشراف التربوي المدمج من خلال إجراء ملاحظات دورية ومتابعة مستمرة لأداء المعلمين» بنسبة 40.0% فيما تقديم الورش العمل والجلسات التدريبية التي تساعد المعلمين على تحسين ممارساتهم» حاز على النسبة الأقل 30.0%.

ولتحقيق هذه التحسينات، يرى المشرفون ضرورة «توفير فرص للتدريب والدعم للمعلمين» بنسبة 90.0%، و«توفير الموارد والمصادر اللازمة لتنفيذ التحسينات» بنسبة 80.0%، بالإضافة إلى «تقييم ممارسات الإشراف الحالي» بنسبة 60.0%، «إعادة التقييم لتحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في التحسينات» بنسبة 30.0% و«تعديل التحسينات بناءً على نتائج» بنسبة 30.0%.

نستخلص مما سبق التقارب في مقترحات المعلّمين والمشرفين وتصوّراتهم لناحية سبل تطوير الإشراف التربوي المدمج نذكر البعض منها:

تصميم برامج تدريبية مكثفة ومتواصلة للمعلّمين.

تعزيز آليات التواصل الفعّال بين المشرفين والمعلمين.

تطوير برامج دعم مستدامة تركز على استخدام التقنيات الحديثة.

تبني استراتيجية واضحة لتحليل وتقييم وضع الإشراف المدمج ووضع خطط عمل محددة لتنفيذه بفعالية.

تقديم دعم وتوجيه مستمر للمعلّمين من خلال جلسات إرشادية منتظمة.

تعزيز قنوات التواصل المفتوحة بين المشرفين والمعلمين لتلقي الملاحظات والاقتراحات.

تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية لتطوير مهارات المشرفين والمعلمين.

1.3. تأثير متغيّرات الدِّراسة على مقياس واقع استخدام الإشراف المدمج

للإجابة على فرضيّات السؤال الرابع ومعرفة العلاقة بين متغيِّرات الدِّراسة ومقياس واقع استخدام الإشراف المدمج تم احتساب المتوسطات الحسابية للمحور تبعًا لمتغيرات الجنس، سنوات الخبرة والمؤهل العلمي للمشاركين، ويُظهر الرسم البياني التالي هذه النتائج:

رسم بياني 1.

متوسّط تقييم المشاركين لواقع استخدام الإشراف المدمج في العملية التعليمية تبعًا لمتغيِّرات الجنس، الخبرة التعليميّة والتحصيل العلمي

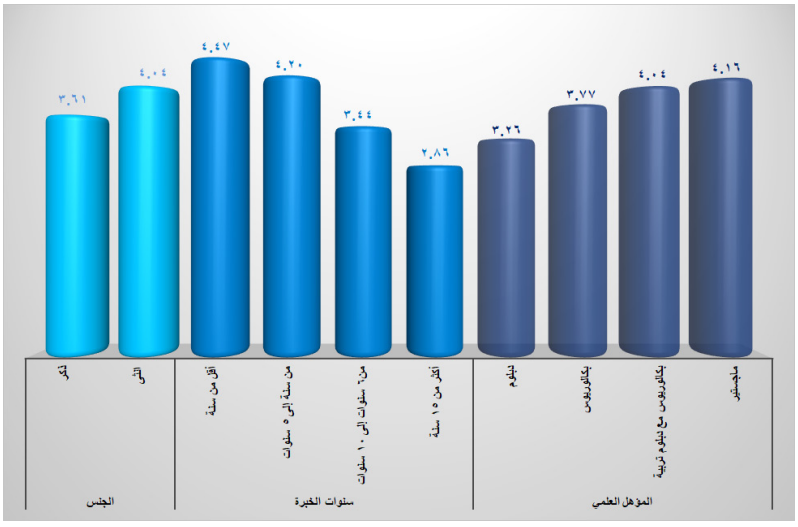

يتبيّن لنا من خلال الرسم البياني النتائج التالية:

- الجنس: يبدو أن هناك فارقًا في متوسط التقييم بين الإناث (M=4.04) والذكور (M=3.61) بنسبة 11.9% لصالح الإناث. هذا يشير إلى أن النساء قد يجدن الإشراف المدمج أكثر فعالية في دعمهن في العملية التعليمية
- سنوات الخبرة: يبدو أن الأشخاص الذين لديهم سنوات خبرة أقل من سنة يظهرون متوسطًا أعلى في مستوى التقييم (M=4.47) مقارنة بالأشخاص ذوي الخبرة الطويلة (أكثر من 15 سنة، M=2.86). تشير هذه النتائج إلى قبول المعلّمين والمشرفين التربويّين الجدد واستفادتهم من الأساليب الحديثة في الإشراف، بينما يظهر ذوو الخبرة الطويلة مقاومة أو ترددًا أكبر في تبني هذه الأساليب.
- المؤهل العلمي: يتضح أن حاملي شهادات الدراسات العليا (M=4.16) يظهرون متوسطًا أعلى من الحاصلين على شهادات البكالوريوس (M=4.04) أو دبلوم (M=3.26)، هذا قد يعكس تأثير التعليم الأكاديمي العالي والتدريب المتقدم الذي يتلقونه في عمليّة الإشراف وبالتالي ينعكس التعليم الأكاديمي العالي بشكل إيجابي على التقييم، مما يبرز أهمية التطوير المهني والتدريب المتقدم في تحسين جودة الإشراف المدمج.

ولتبيان ما إذا كانت الفروقات بين النتائج تبعًا للمتغيّرات هي ذات دلالة إحصائيّة، تمّ إجراء اختبارات (ت) لعيّنتَين مستقلّتَين لمتغيِّر الجنس إضافةً إلى إجراء تحليل التباين الأحادي ANOVA Test لمتغيّري سنوات الخدمة والمؤهّل العلمي وتبيّن الجداول التالية النتائج:

جدول 1.

نتائج اختبارات «ت» للفروقات بين متوسّط التقييم لواقع استخدام الإشراف المدمج في العملية التعليمية تبعًا لمتغيِّر الجنس

الجنس	العدد	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	القيمة الاحتماليّة	الدلالة الإحصائيّة
ذكر	14	3.61	0.751	−2.193	0.033	دالّ إحصائيًّا
أنثى	39	4.04	0.584			

يعرض الجدول نتائج اختبارات «ت» للفروقات بين متوسط تقييم المشاركين لواقع استخدام الإشراف المدمج في العملية التعليمية تبعًا لمتغير الجنس. تشير قيمة «ت» السالبة إلى أن هناك فرقًا ذا دلالة إحصائية بين متوسطات تقييم الذكور (3.61) والإناث (4.04) لصالح الإناث. القيمة الاحتمالية (0.033) أقل من 0.05، مما يدل على أن الفرق بين متوسطات تقييم الذكور والإناث دال إحصائيًّا **وبالتالي يوجد تأثير لمتغيّر الجنس على مستوى تقييم المعلّمين والمشرفين التربويّين لواقع استخدام الإشراف المُدمج في المدارس الخاصة.**

جدول 2.

نتائج اختبارات التباين الأحادي ANOVA لواقع استخدام الإشراف المدمج في العملية التعليمية تبعًا لمتغيِّرَي سنوات الخبرة والمؤهّل العلمي

المتغيِّر	تقييم واقع استخدام الإشراف المدمج	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	القيمة الاحتماليّة	الدلالة الإحصائيّة
سنوات الخبرة	أقل من سنة	4.47	0.426	21.014	<0.001	دال إحصائيًّا
	من سنة إلى 5 سنوات	4.20	0.349			
	من 6 سنوات إلى 10 سنوات	3.44	0.616			
	أكثر من 15 سنة	2.86	0.528			

المؤهّل العلمي	دبلوم	3.26	0.595	5.100	0.400	دال إحصائيًّا
	بكالوريوس	3.77	0.578			
	بكالوريوس مع دبلوم تربية	4.04	0.583			
	ماجستير	4.16	0.592			

جدول 3.

نتائج اختبارات المقارنات البعديّة Tukey HSD لواقع استخدام الإشراف المدمج في العملية التعليمية تبعًا لمتغيِّرَي سنوات الخبرة والمؤهّل العلمي

المتغيِّر	تقييم واقع استخدام الإشراف المدمج	الفرق في المتوسِّطات	القيمة الاحتماليّة	الدلالة الإحصائيّة
سنوات الخبرة	أقل من سنة -----من سنة إلى 5 سنوات	0.27	0.535	غير دال إحصائيًّا
	أقل من سنة -----من 6 سنوات إلى 10 سنوات	35.10	<0.001	دال إحصائيًّا
	أقل من سنة ----- أكثر من 15 سنة	1.61*	<0.001	دال إحصائيًّا
المؤهّل العلمي	بكالوريوس-----دبلوم	0.51	0.292	غير دال إحصائيًّا
	بكالوريوس مع دبلوم تربية----دبلوم	0.78*	0.027	دال إحصائيًّا
	ماجستير-----دبلوم	0.90*	0.200	دال إحصائيًّا

يوضح الجدول (رقم 2) نتائج تحاليل التباين أحادي الاتّجاه ومنه نستنتج وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في تقييم واقع استخدام الإشراف المدمج تبعًا لمتغيِّرَي سنوات الخبرة والمؤهّل العلمي للمشاركين حيث جاءت قيم (ف) 21.014 و5.100 بقيم احتماليّة أصغر من 0.001 و0.004 على التوالي وهي أصغر من 0.05. كما يوضح الجدول ارتفاع قيمة المتوسِّطات للمشاركين ذات الخبرة الأصغر حيث كانت أعلى الفئات في قيمة التقييم هي الفئة ذات سنوات خبرة أقل من سنة بقيمة متوسِّط 4.47 من أصل 5 درجات وكانت قيمة المتوسِّطات لحاملي شهادة الماجستير هي الأعلى بمتوسِّط 4.07

من أصل 5 درجات.

ويتّضح من الجدول (رقم 3) أن سبب الفروقات الدّال إحصائيًّا في تقييم واقع استخدام الإشراف المدمج تعود إلى الفرق بين تقييم الفئة ذات سنوات خبرة أقل من سنة مقارنةً بتقييم الفئات ذات خبرة بين 6 و10 سنوات بفارق 1.03 وبفارق 1.6 مقارنة بتقييم فئة الخبرة الأكثر من 15 سنة حيث جاءت القيمة الاحتماليّة (أصغر من 0.001) وهي أقل من 0.05، كما تعود الفروقات الدّالة إحصائيًّا أيضًا إلى نتيجة الفروقات بين مستوى تقييم حاملي شهادة الماجستير وحاملي بكالوريوس مع دبلوم تربية مقارنةً بنتائج الحاصلين على دبلوم البالغة 0.90 و0.78 وفارق معنوي 0.002 و0.027 على التوالي وهي أقل من 0.05 **وبالتالي يوجد تأثير لمتغيّرَي سنوات الخبرة والمؤهّل العلمي للمشاركين على مستوى تقييم المعلّمين والمشرفين التربويّين لواقع استخدام الإشراف المُدمج في المدارس الخاصة.**

5. التوصيات والمقترحات

1.10. التوصيات

1. توصية بإعداد خطة معالم ودليل إشرافي شامل لتسهيل تنفيذ الإشراف المدمج.
2. ينصح بإنشاء بنية تحتية إلكترونية تدعم العمل الإشرافي المدمج.
3. ضرورة تنظيم دورات تدريبية حول التواصل الإلكتروني وتقنيات الإشراف المدمج.
4. الحاجة لتوفير برامج وتطبيقات إلكترونية ملائمة لتنفيذ الإشراف المدمج.

1.11. المقترحات

1. تقييم فعالية استخدام التكنولوجيا في عمليات الإشراف التربوي.
2. تحليل تأثير الإشراف التربوي الرقمي على تحفيز الطلاب وتحسين أداء المعلمين.
3. استكشاف التحديات والفرص في تطبيق الإشراف التربوي عن بُعد.
4. تطوير نماذج جديدة للإشراف التربوي تعتمد على التكنولوجيا وتلبي احتياجات العصر الحديث.

الخاتمة

ختاماً، يُظهر البحث أهمية الإشراف المدمج في تحسين الأداء وتعزيز التطوير في مختلف المجالات. يُعتبر الإشراف المدمج جسراً بين الرؤية القيادية وتنفيذ الأفراد، ويعزز التفاهم والتواصل داخل الفرق العاملة. كما يعمل على تحفيز المشاركة وتعزيز روح الفريق، ويُظهر الفرص لتطوير النماذج واستخدام التكنولوجيا لتعزيز جودة الإشراف وتحسين العمليات الإدارية. من خلال التحديث المستمر والابتكار، يمكن أن يساهم الإشراف المدمج مع التكنولوجيا المتقدمة في خلق بيئات عمل أكثر إشراقًا وفعالية.

المراجع

المراجع العربية

بيكر، ج. (2019). «الإشراف الإلكتروني في التعليم: استعراض للأدب النظري والتجارب العملية.» مجلة التربية والتكنولوجيا الرقمية، 15(3).

تركيبيني، م. (2020). «الإشراف المدمج: دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التفتيش التّربوي.» مجلة التعليم الإلكتروني والتعلم عن بُعد، 18(2).

حسن، ع.، القحطاني، ر.، الغامدي، م.، وآل علي، ن. (2019). تكنولوجيا التعليم: مفاهيم وتطبيقات .الرياض: دار الفكر العربي.

حسين، بانقا، والقثامي، محمد. (2019). تصور مقترح لتطبيق نموذج الإشراف المدمج من وجهة نظر المعلمين والمشرفيين التّربويين في ضوء الاتجاهات الحديثة. مجلة العلوم النفسية والتّربوية، 8(1)، 232 –254.

زامل، م. ع، ورجبي، ي. خ. ع. (2022). تصور مقترح للإشراف التّربوي المدمج في المدارس الحكومية الفلسطينية من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التّربويين . مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التّربوية والنفسية.

صافي، فاتن فريد. (2020). تصور مقترح لتحسين كفاءة نظام الإشراف التّربوي في محافظات فلسطين الجنوبية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الأقصى. فلسطين: غزة.

عبد اللطيف، مروة. (2017). تفعيل الإشراف الإلكتروني بالتعليم قبل الجامعي في مصر على ضوء خبرة الولايات المتحدة الأمريكية. مجلة جامعة الفيوم للعلوم التّربوية والنفسية، 4(8)، 215 –236.

العظامات، محمد حامد. (2020) درجة ممارسة المشرفين التّربويين في مديرية تربية الزرقاء الأولى للإشراف الإلكتروني ومعوقاته ومتطلبات تطويره من وجهة نظرهم. المجلة العربية.

القثامي، ح. (2019). «دور الإشراف المدمج في تعزيز التعلم الفعّال: دراسة استطلاعية في

مدارس المملكة العربية السعودية». مجلة التربية والتعليم الإلكتروني، 16(2).

المراجع الأجنبية

Bush, T. (2016). Educational Leadership and Management: Theory, Policy, and Practice.

Glickman, C. D., Gordon, S. P., & Ross-Gordon, J. M. (2014). Supervision and instructional leadership: A developmental approach. Pearson.

Sergiovanni, T. J. (2018). Supervision: A Redefinition. Routledge.

باب التاريخ:

1 – طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط، دراسة في المصادر الجغرافية الإسلامية

The Levantine Hajj route and the ruins of the people of Lut: A study of the Islamic geographical sources

بقلم أ.د. وجدان فريق عناد

مركز إحياء التراث العلمي العربي – جامعة بغداد

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad

Revival of Arab Scientific Heritage Center

University of Baghdad

Wjdan.fareeq@gmail.com

الملخص

أنتجت الحضارة العربية الإسلامية مؤلفات في شتى الميادين العلمية ، ومنها الجغرافية فجاءت تلك المؤلفات لتبهر القارئ والدارس لها بضخامة المادة التاريخية الجغرافية وجمال عرضها ووصف معالمها، فضلاً عن منهجية عالية في تصنيف وتنظيم تلك المادة التي من خلالها يتطرق مؤلفها إلى أحداث سابقة لعصره، فكانت صورة تنطق بالإبداع والتطور الذي بلغته تلك الحضارة .

فتلك المصادر اعطت موقع مكة المكرمة مكانة مميزة في منهجيتها ، ولم تذكر ولو بالتلميح ان كعبة ابراهيم(ع) لها موقع غير مكة المكرمة . وهذا دليل على ان موقعها واحد لم يتغير ، فهذه المصادر موصوفة بالمصداقية في مادتها التاريخية. وان استبعادها من قبل الفريق الذي يشكك بموقع كعبة ابراهيم ، بحجة انها متأخرة لا يفسر الا بالابتعاد عن المنهج العلمي .

Abstract

The Arab-Islamic civilization produced works in various scientific fields, including geography. These works came to dazzle the reader and student with the magnitude of the geographical historical material and the beauty of its presentation and description of its features, as well as a high methodology in classifying and organizing that material through which its author addresses events that preceded his time. It was a picture that speaks volumes. With the creativity and development achieved by that civilization.

These sources gave the site of Mecca a distinguished position in their methodology, and did not mention that the Kaaba of the Prophet Abraham had a location other than Mecca. This is evidence that their location is the same and has not changed, as these sources are described as reliable in their historical material. Its exclusion by the team that doubts the location of the Kaaba of Abraham can only be explained by moving away from the scientific method.

المقدمة

انتجت الحضارة العربية الإسلامية مؤلفات في شتى الميادين العلمية ، ومنها الجغرافية فجاءت تلك المؤلفات لتبهر القارئ والدارس لها بضخامة المادة التاريخية الجغرافية وجمال عرضها ووصف معالمها، فضلاً عن منهجية عالية في تصنيف وتنظيم تلك المادة التي من خلالها يتطرق مؤلفها إلى أحداث سابقة لعصره، فكانت صورة تنطق بالإبداع والتطور الذي بلغته تلك الحضارة .ـ

لذلك من غير الانصاف استبعاد تلك المصادر وتحييدها، عندما لا تكون مادتها متفقة مع رأي الباحث، ويصدق هذا القول على الخط البحثي المشكك بموقع كعبة إبراهيم، وهذا النهج بعيد عن القواعد العلمية لمنهج البحث التاريخي .

لذلك قررنا الكتابة في موضوع **(طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط – دراسة في المصادر الجغرافية)** ومن الأسباب التي كانت وراء اختيار هذا العنوان أنه يقع ضمن دائرة اهتمامنا في متابعة طرق الحج التي هي طرق التجارة ذاتها، لذلك كان لنا اطلاع ومعرفة بالمصادر الجغرافية التي بينت منازل تلك الطرق ووصفت معالمها وحددت مسافاتها بدقة عالية وفقا لمنهجية تعكس الخبرة والدراية بتاريخ وجغرافية تلك الطرق.

أهمية الدراسة:– تتمثل أهمية الدراسة في كونها تتناول منازل الطريق الشامي إلى مكة المكرمة، والغرض الأساس هو البحث في بطون المصادر التاريخية والجغرافية عن وصف تلك المنازل من أجل إيجاد إجابة لسؤال هو التالي: هل توجد اشارة في تلك المصادر عن موقع آخر للكعبة المقدسة عند المسلمين غير موقعها الحالي مكة المكرمة ؟

مشكلة الدراسة :– ظهر في الوسط البحثي التاريخي خط يتبنى التشكيك بموقع مكة المكرمة، ويتخذ من سورة الصافات قال تعالى :– وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134)إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138) .

كأحد الادلة ، والتشكيك هو «لكي يشاهد اهل مكة هذه الخرائب في الصباح وفي المساء فلابد لمكة ان تكون قريبة منها جداً .

وسنحاول من خلال المصادر التاريخية تناول هذا الموضوع ؟

منهج البحث :– سيعتمد البحث منهج البحث التاريخي في استقصاء المادة العلمية من بطون المصادر التاريخية بالجمع والتحليل والاستنتاج .

فرضية الدراسة :– تقوم الدراسة على فرضية أن لا دليل معتبرا يسند الرأي البحثي الذي يجعل كعبة المسلمين في مكان غير المتعارف عليه على الرغم من اتخاذهم الآية القرآنية في سورة الصافات (138–133) كأحد الأدلة ؟

حدود الدراسة :– ستكون حدود الدراسة طريق الحج الشامي الذي يربط بين الشام ومكة المكرمة، وحدود الدراسة الزمانية تكون في المدة الزمنية التي تمتد من قبل الإسلام وصولاً إلى الخلافة الأموية .

الدراسات السابقة :- هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت طريق الحج الشامي بالدراسة، ولكن معظمها اقتصر الجانب التاريخي والآثاري بشكل عام ولعل أبرزها وأهمها.

1 – درادكة، صالح موسى . طريق الحج الشامي في العهد الاموي، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العهد الاموي)، (عمان، 1996).

2 – موسل، أ. شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني (الاسكندرية، 1952).

3 – وهناك دراسات باللغة الانكليزية تناولت طريق الشام – مكة المكرمة ايضا ، ومنها :

To Mecca on Pilgrimage on Foot and Camel-back: The Jordanian Darb al-Hajj (Published online 22 Dec 2015):

https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1179/1752726015Z.00000000029

ولاحظنا فيها الارتباك في تتبع مراحل الطريق وتطوره وفقا للتطور الزمني، فقد أشارت الدراسة إلى أن الرحالة ابن بطوطة (ت 779هـ) هو أقدم من ذكر منازل ذلك الطريق في رحلته المعروفة باسمه (رحلة ابن بطوطة) ، وهذا الرأي بعيد عن الحقيقة التاريخية، لأننا اعتمدنا في دراستنا هذه على مصادر جغرافية أقدم من ابن بطوطة زمنياً.

هيكلية الدراسة: الدراسة مقسمة إلى:

مقدمة

- لمحة عن تاريخ الطريق وأهميته التاريخية
- منازل طريق الحج الشامي الذي يمتد من دمشق الى المدينة المنورة
- طريق المدينة المنورة – مكة المكرمة . وفيه تكملة لطريق الحج الشامي الذي في العادة يتجه نحو المدينة المنورة ومن ثم تكمل القافلة طريقها إلى مكة الكرمة عبر منازل ذلك الطريق.

- نظرة على المصادر الجغرافية الاسلامية.
- خاتمة تتضمن أبرز نتائج الدراسة.
- ملحق وفيه منازل الطريق الحج الشامي في المصادر الجغرافية.

لمحة عن تاريخ الطريق وأهميته التاريخية

موضوع طرق الحج من الموضوعات المهمة في الدراسات التاريخية، كونها السبيل الذي يسلكه المسلمون لأداء فريضة الحج، وتتبين أهميته من عناية الخلفاء في مختلف الحقب التاريخية بطرق الحج ومنازلها.

إن هذه الدراسة تقتصر على طريق الحج من دمشق إلى مكة المكرمة وهو الطريق المعروف بطريق الحج الشامي، مشيرين إلى منازل الطريق ومحطاته الرئيسة.

وعند دراسة إمارة الحج في عصر الخلافة الأموية وجدنا أن الخليفة الأموي كان غالباً ما يعهد بالإمارة على الحج إلى أمير الحجاز، فيسلك طريق المدينة– مكة للقيام بمهام تلك الإمارة فيكون هو الطريق الرسمي لقافلة أمير الحج، بيد أنه في بعض السنوات شهدت إمارة الحج أن يكون الخليفة أو ولي العهد، أو أحد أفراد البيت الأموي أمراء لتلك المواسم ، ولما كانت حاضرة الخلافة الأموية دمشق، فمنها كان ينطلق أمير الموسم إلى مكة فيسلك منازل الطريق الشامي فيكون في تلك الاعوام هو الطريق الرسمي لأمير إمارة الحج .

ويعود تاريخ الطرق الموصلة بين الشام والحجاز إلى عصر ما قبل الإسلام، فالروابط بين المنطقتين لم تنقطع عبر الحقب التاريخية المتعاقبة بل ازدادت وتطورت بحكم الاتصال الجغرافي، إذ كان لهذه المنطقة دور بارز في المواصلات العالمية منذ أقدم العصور التاريخية، ولوجود المصالح المتبادلة بينهما المتمثلة بالقيام بدور الوسيط في التجارة العالمية.

كانت العلاقة بين الشام ومكة وثيقة منذ عصر ما قبل الإسلام، فقد ارتبط التجار القريشيون مع الشام بالإيلاف، وكان لهذه العلاقة أثرها بعد الإسلام، فالطريق إلى الشام معروف مما سهل حركة الجيش العربي الإسلامي إليها من أجل التحرير. كما أن ظهور الإسلام أضاف للعلاقة بين مكة والشام رابطاً آخر، يمكننا أن نعدّه في مقدمة تلك

الروابط، ألا وهو الحج، فالحجاز يضم أقدس مدينتين عند المسلمين، وهما مكة والمدينة، والحج إلى مكة أحد أركان الإسلام، وقد استوجب هذا العامل تطور المواصلات، ذلك أن الخلفاء المسلمين اعتنوا بطرق الحج، ابتداءً من حفر الآبار، وبناء القصور، ووضع العلامات.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك ذكرا لأسماء بعض الطرق التي تربط بين مكة والشام، وهي الطريق المعتدلة، وطريق المعرفة (الساحل) ، فضلاً عن ذكر أسماء بعض المناطق الواقعة على الطرق التجارية بين مكة والشام .

وكانت عناية الخلفاء الأمويين بطريق الحج الشامي كبيرة، لأنه طريقهم إلى الحجاز وإلى القصور التي أكثروا من إنشائها في بادية الشام ، وعلى طوال ذلك الطريق.

طريق دمشق – مكة المكرمة: لقد ذكرت المصادر الجغرافية ذلك الطريق الذي يبدأ

من دمشق عاصمة الخلافة ومنها إلى موضع الصنمين[1]، وهي قرية عامرة بالسكان[2]، بعدها إلى أذرعات[3]، وتدعى درعا[4]، وهي بلد على أطراف الشام مجاورة لأرض البلقاء

1- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم بن بشير (ت 285 هـ). المناسك وأماكن وطرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، (الرياض، 1969)، ص 653؛ مؤلف مجهول ، كتاب في تاريخ مكة والمدينة منازل مكة ، مخطوطة محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب – جامعة بغداد ، برقم (1587)،ورقة 114 ب؛ بينما سميت بعض المصادر الموضع الأول «منزل» ينظر: ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290 هـ). الأعلاق النفيسة، (ليدن، 1891) ، ص 183؛ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ). المسالك والممالك، مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، ص 150؛ أما بعض المصادر فقد ذكرت اسم الموضع الأول بعد مغادرة دمشق باسم «الكسوة»، ينظر: العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749 هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (فرانكفورت، د.ت).،ص 334؛ الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 977 هـ) . درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية، (القاهرة، 1964).، ص 453؛ موسل، أ. شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني (الاسكندرية، 1952)، ص 156؛ وقد ذكر الأخير أن الكسوة هو اسم المنزل عند ابن رسته وابن خرداذبة. والكسوة قرية صغيرة على نهر الاعرج الذي يقسمها وتقع جنوب دمشق 18 كم وجاء اسمها من الكسوة التي أخذها بنو غسان من رسل ملك الروم الذين جاءوا لأخذ الجزية منهم . ينظر: الزمخشري، محمد بن عمر (ت 578 هـ) . الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، (بغداد ، د.ت) ، ص 198؛ الدمشقي، محمد بن عيسى بن كنعان الصالحي (ت1153هـ). المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل، القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، 1993)، هامش ص 352؛ بكر، سيد عبد المجيد. الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، دار تهامة (جدة، 1981) ص 182؛ أما قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت 337 هـ). الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1981).فقد ذكر أول اسم (المنازل) بعد دمشق. لمزيد من التفاصيل ينظر : الملحق رقم(1).

2- ذكرها الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت ، 1955). تحت اسم (الصنيان) وتبعد عن دمشق مرحلتان، وهي ضمن أعمال دمشق في أوائل حوران، واعتقد البعض أن الصنيين هي المنزل الثاني في طريق الحج الشامي بعد الكسوة، وإنها الموضع الذي أشار إليه ابن رسته وابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ العمري، مسالك الأبصار 2/334؛ الجزيري، درر الفوائد، ص 453؛ مالكي، سليمان عبد الغني. طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري، مجلة الدارة، السنة العاشرة، العدد الأول، يونيه- 1984، ص 9. لمزيد من التفاصيل ينظر: الملحق رقم (1).

3- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، ورقة 114 ب؛ واعتقد موسل أن اذرعات التي يفصلها عن دمشق 150 كم جنوباً هي اسم المنزل الثالث الذي أشار إليه ابن رسته وابن خرداذبة باسم «ذات المنازل» وحسب ترتيب قدامة فإن ذات المنازل هي المنزل الثاني عنده ينظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ موسل، شمال الحجاز، ص 156؛ وقد ذكر اليعقوبي أن جند الشام مقسم إلى كور والبثينة إحدى كوره ومدينتها أذرعات ينظر: البلدان، ص 83-82؛ أما المقدسي فقد قسم إقليم الشام إلى كور، أحدهما سماها الاردن وجعل أذرعات إحدى مدنه وحدد المسافة بين دمشق وأذرعات مرحلتين، ينظر: المقدسي البشاري، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 380 هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2 (ليدن، 1906).، ص 154، 192؛ وقد ذكر درادكة، إن اسم ذات المنازل إشارة إلى أهمية موضعها بالنسبة للطريق، ينظر: درادكة، طريق الحج الشامي، ص 441؛ الملحق رقم (1).

4- درادكة، طريق الحج الشامي، ص 441؛ العارضي، وجدان فريق عناد. طرق أمراء الحج في الدولة العربية الإسلامية، دار النهضة العربية، بيوت، 2021، ص 30.

وعمان[1]، يتجه الطريق جنوباً ليصل إلى الزرقاء[2]، وهي قرية عامرة بالسكان تقع على وادي الزرقاء [3]، وبعدها سرغ[4]، وهي أول الحجاز وآخر الشام[5]، وفيها عدد من الآبار التي توفر الماء للحجاج[6].

بعد مغادرة سرغ يصل الطريق إلى تبوك [7]، وفيها بئر ماء، ومسجد النبي (صلى الله

1- الحموي، معجم البلدان، 1/130؛ وقد ذكرت بعض المصادر أن بينها وبين دمشق مسير أربعة أيام ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص 49؛ ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي (من رجال القرن الرابع الهجري) . المسالك والممالك ، (د.م، د.ت)، ص 171.

2- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، 114 ب، وتبعد الزرقاء عن دمشق حوالي 203 كم جنوباً، وعن المدينة المنورة 110 كم شمالاً. ينظر: الدمشقي، المواكب الإسلامية، ق 2، هامش ص 353؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص 186.

3- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487 هـ) . جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، المطبعة العصرية، (الكويت،1977). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1945)، 2/696؛ الحموي، معجم البلدان، 3/137.

4- ذكرت بعض المصادر أن سرغ هي المنزل التالي لأذرعات (درعاً حالياً) ينظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 483؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ موسل، شمال الحجاز، ص 156، وسرغ عند ياقوت تقع بين المغيثة وتبوك وهي من منازل الحج الشامي، ينظر: الحموي، معجم البلدان، 3/212، كذلك: الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمذاني الشافعي (ت 584 هـ). ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان المشتبه في الخط، مخطوطة محفوظة في مركز إحياء التراث العلمي العربي برقم 53 والمصورة عن نسخة مكتبة السليمانية مخطوطة لا له لي برقم 2140، ورقة 218، وحالياً سرغ هي مدينة المدورة الأردنية وتبعد عن أذرعات بما يزيد على 300 كم ومن الصعب أن تستمر القافلة بالسير دون توقف كل هذه المسافة؛ وقد ذكرت المصادر أسماء سبعة منازل من أذرعات إلى سرغ، ينظر: الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ويبدو أن هذه المنازل تتناسب مع المسافة، كما أن بعض تلك المنازل لا تزال محتفظة بآثار من عصر الخلافة الأموية، وربما يمكننا تحليل عدم ذكرها عند بعض المؤرخين من باب الخلاف بينهم حول مواصفات المنزل لكي يعد منزلاً من حيث اعتبارات الماء والعشب والسوق وإلى التغير في الطرق بفعل عوامل مختلفة، ينظر: درادكة، طريق الحج الشامي، ص 443-441. ينظر: الملحق رقم (1).

5- الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 218؛ الحموي، معجم البلدان، 3/212.

6- البكري، معجم ما استعجم، 3/735؛ وسرغ تبعد عن دمشق حوالي 572 كم، ينظر: بكر، الملامح الجغرافية، ص 193.

7- ابن سعد، الطبقات، 2/165-168؛ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي (ت القرن الرابع الهجري). الأقاليم، (كوته، د.ت)، ص 10؛ البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت 322 هـ). صور الأقاليم، مخطوطة محفوظة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب- جامعة بغداد برقم 329، ورقة 20.

عليه وآله وسلم) [1]، وتبوك في منتصف المسافة بين دمشق ومكة[2]

بعد تبوك تدخل قافلة الحاج إلى منزل الجنينة[3]، ويقع ضمن ديار بني أسد[4]، ومنها إلى المحدثة[5]، وهي التي تغير أسمها فيما بعد إلى بركة المعظم [6]، وفيها جبل يسمى عمود المحدثة[7].

تستمر قافلة الحاج في طريقهم حتى يدخلوا الأقرع [8]، ولا يزال هذا الموضع محتفظ باسمه[9]، وهو جبل بين مكة والمدينة[10]، وبعدها تصل القافلة إلى إحدى القرى القديمة وهي الِحجر[11]، وهي قرية من منازل ثمود، تعتمد على الابار للحصول على الماء، وفيها مسجد وسوق، ولا يزال اسم الحِجر معروف ومأهول[12].

1- الاصطخري، بو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي (ت القرن الرابع الهجري) ،المسالك والممالك، (د.م ، د.ت) ، ص 24؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 39؛ المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، ص 179؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 76؛ الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 900 هـ). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط 2، مطابع هيدلبرغ، (بيروت، 1984) ، ص 130؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمد (ت 732 هـ) . تقويم البلدان، (باريس، 1840) ، ص 87؛ الدمشقي، المواكب الإسلامية، ق 2، هامش ص 354.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص 24؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 39؛ الدمشقي، المواكب الإسلامية، ق 2، هامش ص 354.

3- عند الاطلاع على الملحق رقم (1) نجد أن الجنينة تأتي بعد المحدثة، والأقرع، ينظر: الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ إلا أن موسل استنتج من بحثه في المنطقة أن الجنينة قبل المحدثة والأقرع، ينظر: شمال الحجاز، ص 156.

4- البكري، معجم ما استعجم، 2/399.

5- الحربي، المناسك، ص 653؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ العارضي، طرق أمراء الحج، ص 32.

6- موسل، شمال الحجاز، ص156؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار 2/336؛ الجزيري، درر الفوائد، ص 458.

7- الزمخشري، الأمكنة والمياه ، ص 65؛ الحموي، معجم البلدان، 5/60.

8- الحربي، المناسك، ص 53؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85.

9- ويبعد هذا الموضع عن تبوك حوالي 200 كم في الجنوب الشرقي من تبوك، ينظر: موسل، شمال الحجاز، ص 156.

10- الحموي، معجم البلدان 1/ 236.

11- الحربي، المناسك، ص 656؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ الحازمي ما اتفق لفظه، ورقة 134.

12 - الحميري، الروض المعطار، ص 189؛ العمري، مسالك الابصار، 1/231 ؛ ينظر: الاصطخري، الأقاليم، ص 10؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 39؛ الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال ، ص 72؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 89؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 33؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص 206-204.

وبعد مغادرتها تدخل القافلة إلى وادي القرى[1]، وهو واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، وفيه منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلي[2].

من وادي القرى تدخل القافلة إلى السقيا[3]، والمقصود بها سقيا الجزل، والجزل واد كبير يقع ضمن بلاد عذرة، على مقربة من وادي القرى[4]. وبعد أن يتمتع الحاج بزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تكمل القافلة طريقها إلى مكة عبر طريق المدينة – مكة [5]، لقد اختلف الجغرافيون في تحديد المسافة بين دمشق والمدينة، ويعود ذلك لاختلاف وحدة القياس المستعملة عند كل منهم[6].

طريق المدينة – مكة المكرمة

كانت قافلة الحج الشامية تخرج من المدينة متبعة أثر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، سالكة طريق الشجرة إلى ذي الحليفة التي تبعد عن المدينة (5.5) ميل تقريباً [7].

ويستمر الطريق حتى تصل القافلة بعد مسافة (6) ميل إلى الحفير، وهو موضع يمتاز

1- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ لغدة الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (310 هـ). بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح أحمد العلي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (الرياض، 1968) ، ص 397؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85.

2- الحموي، معجم البلدان، 4/338؛ الحميري، الروض المعطار، ص 602.

3- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب.

4- لغدة الاصفهاني، بلاد العرب، ص 396؛ البكري، معجم ما استعجم، 3/743؛ الحموي معجم البلدان، 3/228.

5- عند الاطلاع على الملحق رقم (2)، نجد أن ابن رسته وابن خرداذبة قد أشارا إلى اسماء منازل أخرى بعد وادي القرى، ينظر: الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ بينما توقف الحربي عند السقيا، وربما يعود ذلك إلى اختلاف المؤرخين والجغرافيين في المواصفات التي يجب توفرها بالمكان حتى يعد منزلاً.

6- قدر البعض منهم المسافة بـ (20 مرحلة) ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص 29؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 6؛ أما الإدريسي فقدرها بـ (30 مرحلة) ينظر: شوكت، جزيرة العرب، ص 30؛ أما العمري فالمسافة عنده 728 ميلاً، أو ما يعادل مائتان واثنان وأربعون فرسخاً، وثلث الفرسخ، ينظر: مسالك الابصار 2/299؛ أما مقدار المسافة بين دمشق والمدينة فقدرها العمري بـ 580 ميلاً أو ما يعادل ثلاث وتسعون فرسخاً وثلث الفرسخ، ينظر: مسالك الأبصار، 2/317.

7- الحربي، المناسك، ص427؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 42 أ؛ وقد اختلفت الأصول الجغرافية في تحديد مقدار المسافة بين المدينة وذي الحليفة، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، 2/464؛ الحموي، معجم البلدان، 2/295؛ الحميري، الروض المعطار، ص196؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/293؛ بينما حددت دراسة حديثة المسافة بينهما بـ (9) كم ينظر: الكاندهلوي، حجة الوداع، ص 9.

بكثرة المياه[1]. وهناك عدة مواضع بهذا الاسم، إلا أن المقصود منها هنا الذي بين المدينة ومكة[2]، والحفير منازل بني فهر من قريش[3] . وبعد مغادرته بمسافة (6) ميل تصل القافلة إلى وادي ملل[4]. وبعدها بمسافة (7) ميل تصل إلى السيالة [5] وهي قرية جامعة[6]، وفيها سوق، ومنطقة زراعية مشهورة بالنخيل، ومصدر ماءها الآبار[7]، وبعد أن تترك القافلة السيالة تتجه إلى الروحاء بعد أن تقطع مسافة (11) ميل[8]. وهي منازل لمزينة[9]، ومنها إلى الرويثة بعد مسير (13) ميل[10]، وهي قرية جامعة[11]، تعتمد على منهل وبرك في حصولها على الماء، وفيها ماء يسمى الاحساء[12]، وتستمر القافلة لتصل إلى العرج بعد (14) ميل[13]، وهي منازل مزينة[14] .

1- الحربي، المناسك، ص 440؛ ينظر : مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 46 ب؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 145.

2- البكري، معجم ما استعجم، 2/ 459-458؛ الحموي، معجم البلدان، 2/ 277.

3- اليعقوبي، البلدان، ص 73.

4- الحربي، المناسك، ص 441؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 46 ب.

5- الحربي، المناسك، ص 443؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 46 ب؛ البكري، معجم ما استعجم، 4/1256؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/ 166.

6- الحموي، معجم البلدان، 3/ 292؛ الحميري، الروض المعطار، ص 333.

7- ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 130؛ الحميري، الروض المعطار، ص 333؛ شوكت، جزيرة العرب ، ص 23.

8- الحربي، المناسك، ص 443؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/166؛ وقد اختلف المؤرخون فيما بينهم في تحديد المسافة بين الروحاء والمدينة، ينظر: الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال ، ص 114؛ الحميري، الروض المعطار، ص22، السمهودي، وفاء الوفا، 2/314. وقد بينت دراسة حديثة ان المنطقة لا تزال تحمل الاسم نفسه، ولكنها لم تعد بمنزل للحاج وتبعد عن المدينة 74كم، ينظر: الكاندهلوي، محمد زكريا ،حجة الوداع وعمرات النبي صلى الله عليه وسلم ، مطبعة ندوة العلماء ، (الهند، د.ت)، ص 30.

9- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 292 هـ). البلدان، ط3، المطبعة الحيدرية (النجف، 1957)، ص 73؛ البكري، معجم ما استعجم، 2/ 681.

10- الحربي، المناسك، ص 445؛ ينظر : مؤلف مجهول، منازل مكة ورقة 48 أ، البكري، معجم ما استعجم، 2/ 686.

11- البكري، معجم ما استعجم، 2/686؛ الحميري، الروض المعطار، ص 277.

12- مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 48 أ ؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والمملك، ص 130؛ الحميري، الروض المعطار، ص 277؛ السمهوري، وفاء الوفا، 2/ 169؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 23.

13- الحربي، المناسك، ص 447؛ ينظر : البكري، معجم ما استعجم، 3/ 903؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 275.

14- مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 48 ب؛ اليعقوبي، البلدان، ص 77.

بعد العرج بمسافة (17) ميل تدخل القافلة إلى السقيا[1]، وهي قرية عظيمة، قريبة من البحر الذي يبعد عنها مسيرة يوم وليلة[2]، فضلاً عن إنها منطقة زراعية كثيرة النخل والماء، فيها عدد كبير من الآبار والعيون التي تزرع حولها الخضر[3]، وفيها نهر جار أيضاً[4]، وهي منازل بني كنانة[5]، وقيل سميت السقايا لما سقوا من الماء العذب[6].

تستمر القافلة في طريقها لتصل بعد (17) ميل إلى الأبواء [7]، وسكانها خليط من العرب[8]، وبعد مغادرتها تاتي الجحفة بعد مسافة (23) ميل[9]، «وإنما سميت جحفة لأن السيول قد جحفتها»[10]، وهي قرية جامعة على مقربة من البحر، وتعتمد الآبار في التزود بالماء[11]، وأشهر المواضع القريبة منه غدير خم[12]، وهي منازل قوم من بني سليم[13].

بعد الجحفة بمسافة (24) ميلاً تكون القافلة قد وصلت إلى قديد[14]، وهي قرية عامرة بسكانها، فيها عدد من الآبار والعيون، وتعد منطقة خصبة كثيرة البساتين وفيها منازل لخزاعة[15]، وسميت قديد «لتقدد السيول بها»[16]، وبعد مغادرتها تسير القافلة (23) ميلًا

1- الحربي، المناسك، ص448؛ ينظر : مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 49 آ؛ معجم ما استعجم، 3/742، 931؛ الحميري، الروض المعطار، ص 327.
2- الحموي، معجم البلدان، 3/ 228؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/323.
3- الحربي، المناسك، ص 451- 452؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 49 ب؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ الحموي، معجم البلدان، 3/228؛ الحميري، الروض المعطار، ص 327.
4- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 130؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 80، شوكت، جزيرة العرب، ص 23.
5- اليعقوبي، البلدان، ص 73.
6- الحربي، المناسك، ص 450.
7- الحربي، المناسك، ص 451؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة ورقة 49 ب.
8- البكري، معجم ما استعجم، 1/102.
9- الحربي، المناسك، ص 454؛ ينظر: أبي داود، سنن أبي داود، 2/147؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/172.
10- الحربي، المناسك، ص 457؛ ينظر : البكري، معجم ما استعجم، 2/ 368؛ الحميري، الروض المعطار، ص 156.
11- الحربي، المناسك، ص 457؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 131؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 81؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 23.
12- البكري، معجم ما استعجم، 2/368؛ الحميري، الروض المعطار، ص 156؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/367؛ العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص 263.
13- اليعقوبي، البلدان، ص 73.
14- الحربي، المناسك، ص 457؛ ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص 454.
15- الحربي، المناسك، ص 457، 460؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 178؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 81؛ البكري، معجم ما استعجم، 3/1054.
16- الحربي، المناسك، ص 459.

لتصل إلى عسفان [1]، وهي منازل بني المصطلق من بني خزاعة[2] .

تصل القافلة بعد (23) ميلاً إلى آخر منازل طريق المدينة مكة، بطن مر، وهي قرية عامرة بالسكان، فيها عدد من العيون والآبار تكفي مياهها لممارسة سكانها الزراعة، ويكثر فيها النخيل[3]، وتسمى أيضاً مر الظهران فمر هي القرية، والظهران اسم الوادي[4]، وسميت مر لمرارة مياهها، وقيل «إنما سميت مر لأن في جبل في بطن الوادي، بين مر ونخلة، كتاباً بعرق أبيض: مر، إلا أن الراء غير موصولة بالميم» [5] ، ومن بطن مر تستعد القافلة الشامية لدخول مكة بعد (13) ميل [6].

أطلق المؤرخون والجغرافيون على هذا الطريق اسم طريق الجادة[7]، أما ابن خرداذبة فسماه طريق الجاد[8]. وقدرت المسافة بين المدينة ومكة بـ (200) ميل تقريباً [9].

1- الحربي، المناسك، ص 459؛ الحميري، الروض المعطار، ص 421.

2- الحربي، المناسك، ص 463؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 52 ب؛ البكري، معجم ما استعجم، 3/942 ؛ أما الإدريسي فيجعلها منازل قوم من بني جهينة، ينظر: شوكت، جزيرة العرب، ص 23.

3- الحربي، المناسك، ص 465؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 131؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 81؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 354؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 23.

4- لغدة الأصفهاني، بلاد العرب، هامش ص 24؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 354 ؛ الحموي، معجم البلدان، 5/ 104؛ ابن حجر، فتح الباري، 1/750؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/174.

5- الحربي، المناسك، ص 465؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 53 آ؛ البكري، معجم ما استعجم، 4/1212، 1257.

6- الحربي، المناسك، ص 465؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 53 آ؛ البكري، معجم ما استعجم، 4/ 1212؛ الحموي، معجم البلدان، 5/ 104؛ الحميري، الروض المعطار، ص 93، وتبعد عن مكة مسافة (25) كم، ينظر: الكاندهلوي، حجة الوداع، ص 40.

7- مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 16آ – 16 ب؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي ، صورة الارض، ص 46؛ شوكت العرب، ص 23.

8- المسالك والممالك، ص 130.

9- الحربي، المناسك، ص 468؛ وقد اختلف الجغرافيون في تحديد المسافة بين المدينة ومكة، لاختلاف وحدة القياس المستعملة عندهم، فالبعض قدرها (10مراحل)، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص 73؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 46؛ الاصطخري، . المسالك والممالك، ، ص 28 ؛ أما الإدريسي فمقدار المسافة عنده (250) ميلاً ينظر: شوكت، جزيرة العرب، ص 24؛ بينما قدر ابن فضل الله العمري المسافة «ماية ميل واثنا عشر ميلاً، وهي سبعة وثلاثون فرسخاً وثلث فرسخ» ينظر: العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749 هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج 2، (فرانكفورت، د.ت)،ص 299 ؛ الجزيري،. درر الفوائد ، ص442؛ مع العلم أن المرحلة تساوي ثمانية فراسخ والفرسخ يساوي 6 كم، والميل يساوي 2 كم.
ينظر: اليعقوبي، البلدان، هامش ص 75؛ ابن الرافعة، أبو العباس نجم الدين الأنصاري (ت 710 هـ). الإيضاح والتباين في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد إسماعيل الخاروف، دار الفكر (دمشق، 1980) ، ص 77- 78؛ هنتس، فالتر. المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشوات الجامعة الأردنية (د.م، د.ت)، ص 94- 95.

- **نظرة على المصادر الجغرافية العربية الاسلامية**

لفد تتبعت الدراسة المادة التاريخية من مصادرها الأساس من كتب التاريخ العام والمصادر الجغرافية التي وصفت مراحل الطريق وأعطت وصف عن منازله، ومنها كتاب المناسك للحربي (285هـ/ 898م)، وبعده تأتي مخطوطة منازل مكة لمؤلف مجهول، فضلاً عن بقية المصادر المشار إليها في هوامش المقال والتي أفادتني في الحصول على معلومات مهمة عن منازل الطريق والتغيرات التي طرأت عليها، وأهم هذه المصادر: الأعلاق النفيسة لابن رسته (290هـ/ 902م)، والمسالك والممالك لابن خرداذبه (300هـ/ 912م)، ومعجم ما استعجم للبكري (487هـ/ 1075م)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (626هـ/ 1225م).

ولم نجد إشارة ولو بالتلميح إلى موقع آخر لمكة المكرمة. فكل المصادر التاريخية تجمع على موقعها الحالي وتعطي وصفا واضحا لمعالمها التي لا تزال موجودة في أماكنها ذاتها محتفظة أكثرها بأسمائها التاريخية ، كما أن ذلك الوصف ينطبق تماماً على بيئة وجغرافية المكان، فلا يوجد ما كان يمنع المؤرخين والمفسرين من الإشارة إن كان هناك موقع آخر لكعبة مكة ، ولا سيما أنهم أشاروا إلى وجود كعبات أخرى في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وأكدوا أن لكعبة مكة المكرمة التي حددوا موقعها بوضوح ودون أي التباس القدسية والمكانة العلية ، كما أنهم أشاروا إلى حج القبائل العربية قبل الإسلام إلى كعبة مكة المكرمة.

وتأتي كتب التاريخ العام وكتب تواريخ المدن والتفاسير القرآنية لتؤكيد أن موقعها التاريخي هو ذاته المعروف حالياً، وعند الرجوع إلى التفاسير القرآنية للآيات (133– 138) في سورة الصافات [1]، نجد أنها أجمعت على أنها جاءت بمعنى التذكير بعاقبة المكذبين برسالة الأنبياء، وهي تخاطب كل من يسلك هذا الطريق أياً كنت غايته من ذلك السفر وهي خطاب عام لكل العرب، فليس المقصود منه أهل قريش حصراً، ويبدو لنا من الليل والنهار هو تقدير لوقت وصول القافلة إلى تلك الخرائب، كما أن طريق

1 – الطبري ،جامع البيان عن تاويل آي القرآن ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، د. ت ، ج21،ص 105؛ القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق احمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1964، ج 15، ص120؛ سيد قطب ، في ظلال القرآن، ط6 ، دار الشروق، بيروت ، 1978، المجلد 5، ص2998.

الشام يعد طريقاً مسلوكاً دائما بقوافل العرب، ومعنى الليل والنهار الاستمرارية في المرور المتكرر لتلك القوافل على تلك الخرائب ، وهذا الأسلوب في التعبير المجازي لا يزال دارجا في كلام العرب، لأن القرآن الكريم عرض مادة الزمن بأسلوب بلاغي راق، فلا يمكن إدراك معانيها إلا بهذا الأسلوب [1].

لذلك تنصح تلك الآيات العرب عامة ومنهم كفار قريش بأنه من الأجدر أن تتعظوا وانتم ترون ما حل بالمكذبين برسالة الأنبياء قبلكم، وهذا مصير كل من ينحى منحاهم، وتنتهي الآية 138 بكلمة (أفلا تعقلون) وهي دعوة لاستعمال العقل الذي لابد أن يستمع لما تنطق به تلك الخرائب من قدرة الله .

كما أن الروايات التاريخية وفي حديثها عن مكة المكرمة قبل الإسلام أشارت إلى حوادث تاريخية حدثت في موقع مكة المعروف للجميع ولعل من أبرزها بئر زمزم التي لا تزال مياها تتدفق، والروايات تجمع على موقعه الحالي.

وبالتالي فإننا تتبعنا بهذه الدراسة طريق الشام في بطون المصادر الجغرافية والتاريخية المتوفرة لدينا ولم نعثر على دليل يمكن أن يقدم ليثبت صحة الخط البحثي المشكك بوجود الكعبة في مكة المكرمة في موقعها المعروف.

ويبدو لنا أن سبب التشكيك جاء من القصور في الاطلاع والإحاطة بالروايات التاريخية المعتمدة ، وتحميل النص التاريخي بما لا يحتمل من الاستنتاج .

لذلك لا نجد مبرراً لدى من يتبنى الخط البحثي المشكك بموقع مكة الحالي في إهمال المصادر الجغرافية الإسلامية التي لم يرد فيها ما يثبت تشكيكهم إلا بالابتعاد عن منهج البحث التاريخي العلمي الذي يوجب على الباحث أن يتجرد من انتمائه وأفكاره السابقة ، كما يتوجب عدم إهمال تلك المصادر الموصوفة من قبل الباحثين في الدراسات التاريخية والجغرافية، ومن غير المسلمين تحديداً لأنها على درجة عالية من

1 – محمد بن موسى بابا عمي، مفهوم الزمن في القرآن الكريم ، دار وحي القلم ، دمشق ، 2008،ص 65

الدقة والمصداقية ومنهم كراتشوفيسكي[1] والمستشرق الفرنسي رينو[2].

فتلك المؤلفات الجغرافية والرحلات تحتل مكان الصدارة من بين مصادر دراسة تاريخ أي منطقة أو إقليم، فلا بد من العودة الى تلك المؤلفات التي تعد كنز بما حوت من معلومات أصيلة وشاملة فلا يمكن نكران الإصالة في معلومات الحربي، اليعقوبي، البكري، ابن حوقل، وابو الفداء على سبيل المثال لا الحصر .

فهي وفرت فضلاً عن المعلومات الجغرافية معلومات أخرى عن التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعقائدية ، فكانت معينا للباحثين في رسم وصف عام عن تلك المناطق.

فهذه المؤلفات من أدوات المؤرخ التي لا غنى عنها لأنها تمد الباحث بقدرة على التفكير المكاني المتطور للوصول للمعرفة التاريخية وانتزاع المعلومات من بين الروايات التاريخية فهي مكنتنا من وضع خرائط وإن كانت بسيطة عن الطرق والمسالك فيما يعرف الآن بمصطلح تنقيب البيانات (dada mining) فالمعلومات الجغرافية في هذا المؤلفات لا تقدر بثمن.

باختصار يمكن القول إن تلك المؤلفات كانت تتبع الظاهرة التاريخية من ناحية جغرافية، فهي وإن كانت متأخرة قدمت معلومات جغرافية تاريخية سابقة لزمن تأليفها عن المناطق، وأثبتت الدراسات الحديثة أنها كانت على درجة كبيرة من الثقة في ذلك، فتلك المصادر تذكر أولاً الموقع الجغرافي وتحديده وأهميته للإقليم وبعض المعلومات

---

1 – نظر كراتشوفيسكي الى مؤلفات علماء الحضارة الاسلامية نظرة احترام وتقدر ويخص بالذكر المصادر الجغرافية فيقول :– « ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الأدب التاريخي والجغرافي العربي الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد بأنه المصدر الأساسي والموثوق به في دراسة ماضي العالم الإسلامي. إذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ والجغرافي فحسب. بل أيضا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين وللغويين وعلماء الطبيعة ولا يقتصر محيط الأدب الجغرافي العربي على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها. وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام.. وقد يحدث أحيانا أن تمثل المادة الجغرافية العربية أما المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لقطر ما.». ينظر : كراتشوفيسكي ، اغناطيوس يوليا نوقش ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1963، القسم الاول ، ص 3

2 – لقد وصف المستشرق الفرنسي رينو كتاب ابي الفدا تقويم البلدان فقال : « ان العصور الوسطى الاوربية لم تعرف كتابا يمكن مقارنته به « . ينظر : كراتشوفيسكي ، المرجع السابق، 1/389؛ محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي الاسلامي ، دار العلوم ، الرياض ، 1999، ص193.

المناخية والطوبوغرافية عنه ثم تذكر ما حدث فيه من أحداث سابقة لعصر المؤلف أو معاصره له، وتذكر ايضاً أهم الشخصيات التي اشتهرت في كل بلد .

فإن كان هناك أي شك بموقع مكة المكرمة الحالي لكانت أشارت بوضوح إلى ذلك، أو لمحت بطريقة وأخرى إلى وجوده، ولأنها لم تشر إلى ذلك فهذا دليل على خطأ الاتجاه البحثي المشكك في موقعها ، والذي يبدو أن وراءه أهداف أخرى غير البحث العلمي الرصين.

ولابد من الإشارة إلى الدكتورة آمال الروبي التي ردت على المستشرقة بتريشيا كرون والتي فندت كل الأدلة التي ذكرتها المستشرقة للتشكيك بموقع مكة [1]. كما ان نولدكه في تعليق له على رواية مؤلف حولية خوزستان السريانية التي اكتشف مخطوطها المستشرق الإيطالي إغناطيوس غويدي وترجمه إلى اللاتينية، وترجمه نولدكه إلى الألماني. وتلك الحولية هي تاريخ سرياني كتبه أحد النصارى الشرقيين في القرن السابع الميلادي جاء فيه ذكر لقبة ابراهيم وفي تعليقه يرى أن رواية مؤلف الحولية مؤيدة لقصة ابراهيم الإسلامية وأن القبة المذكورة هي الكعبة في مكة [2] .

الخاتمة

توصل البحث المعنون (طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط – دراسة في المصادر الجغرافية الإسلامية) الى عدد من النتائج من ابرزها ما يلي:

إن المصادر الجغرافية العربية الاسلامية اعطت موقع مكة المكرمة مكانة مميزة في منهجيتها ، ولم تذكر ولو بالتلميح الى ان كعبة ابراهيم (ع) لها موقع غير مكة المكرمة . وهذا دليل على ان موقعها واحد لم يتغير، فهذه المصادر موصوفة بالمصداقية في مادتها التاريخية. وان استبعادها من قبل الفريق الذي يشكك بموقع كعبة ابراهيم ، بحجة انها متأخرة. لا يفسر الا بالابتعاد عن المنهج العلمي . الذي يلزم الباحث ان لا يهمل المصادر التي لا تؤيد رأيه .

فليس من الامانة العلمية الكيل بمكيالين في التعامل مع تلك المصادر التي يعتمدون

1 – امال محمد الروابي ، الرد على تجارة مكة وظهور الاسلام ، ط2 ، القاهرة ، 2013 ، ص 30–26

2 – رابط النسخة الألمانية:
https://menadoc.bibliothek.uni-halle.de/.../pageview/865296

عليها في دراساتهم الاخرى كون سمة المصداقة والدقة متوفرة فيها في حين اهملت وشككت بمصداقيتها حين لم يجدوا فيها ضالتهم.

ملحق رقم «1» طريق دمشق– المدينة [1]

الحربي (ت 285هـ)	ابن رسته (ت 290هـ)	اليعقوبي (ت 292هـ)	ابن خرداذبة (ت 300هـ)	قدامة بن جعفر (ت 337هـ)	المقدسي البشاري (ت 380هـ)	الإدريسي (ت 560هـ)
دمشق	دمشق	دمشق	دمشق	دمشق	تيماء	لم يشر الى هذا الطريق
الصنمين	منزل	ايله	منزل	المنازل	الحجر	
اذرعات	منزل	مدين	منزل	ذات المنازل	وادي القرى	
الزرقاء	ذات المنازل		ذات المنازل	سرغ	السقيا	
القسطل	سرغ		سرغ	تبوك		
قبال	تبوك		تبوك	المحدثة		
بالعه	المحدثة		المحدثة	الأقرع		
الحفير	الأقرع		الأقرع	الجنينة		
معان	الجنينة		الجنينة	الحجر		
ذات المثار	الحجر		الحجر	وادي القرى		
المغيثة	وادي القرى		وادي القرى	المدينة		
سرغ	الرحبة		الرحبة			
تبوك	ذي المروة					
المحدثة	المر		المر			
الأقرع	السويداء		السويداء			
الجنينة	ذي خشب		ذي خشب			
الحجر	المدينة		المدينة			
وادي القرى						
السقيا						

1 – ينظر: محمود، نزار عزيز حبيب. خدمات الحجيج في العصر العباسي 334–132 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة البصرة، 1990، ملحق رقم (1) .

ملحق رقم «2» طريق المدينة– مكة [1]

الحربي (ت 285هـ)	ابن رسته (ت 290هـ)	اليعقوبي (ت 292هـ)	ابن خرداذبة (ت 300هـ)	قدامة بن جعفر (ت 337هـ)	المقدسي البشاري (ت 380هـ)	الإدريسي (ت 560هـ)
ذي الحليفة– الشجرة (5.5 ميل)	الشجرة (6 ميل)	ذي الحليفة (4ميل)	الشجرة (6ميل)	الشجرة (6 ميل)	يثرب	الشجرة (6 ميل)
الحفير (6 ميل)	السيالة (31 ميل)	الحفيرة	ملل (12 ميل)	ملل (12 ميل)	الرويثة مرحلة	ملل (12 ميل)
ملل (6ميل)	الرويثة (34 ميل)	ملل	السيالة (19 ميل)	السيالة (19 ميل)	الروحاء مرحلة	السيالة (17 ميل)
السيالة (7 ميل)	العرج (14 ميل)	السيالة	الرويثة (34 ميل)	الرويثة (34 ميل)	العرج مرحلة	الرويثة (34 ميل)
الروحاء (11 ميل)	السقيا (36 ميل)	الروحاء	السقيا (36 ميل)	السقيا (36 ميل)	سقيا بني غفار مرحلة	السقيا (36 ميل)
الرويثة (13 ميل)	الابواء (19 ميل)	الرويثة	الأبواء (29 ميل)	الأبواء (29 ميل)	الأبواء مرحلة	الأبواء (27 ميل)
العرج (14 ميل)	الجحفة (27 ميل)	العرج	الجحفة (27 ميل)	الجحفة (27 ميل)	الجحفة مرحلة	الجحفة (27 ميل)
السقيا (17 ميل)	قديد (29 ميل)	سقيا بني غفار	قديد (27 ميل)	قديد (26 ميل)	الخيم مرحلة	قديد (26 ميل)
الأبواء (17 ميل)	عسفان (24 ميل)	الأبواء	عسفان (24 ميل)	عسفان (24 ميل)	خليص وامج مرحلة	عسفان (24 ميل)
الجحفة (23 ميل)	بطن مر (34 ميل)	الجحفة	بطن مر (33 ميل)	بطن مر (16 ميل)	عسفان مرحلة	بطن مر (33 ميل)
قديد (24 ميل)	مكة (16 ميل)	قديد	مكة (16 ميل)	مكة (16 ميل)	بطن مر مرحلة	مكة (16 ميل)
عسفان (23 ميل)		عسفان			مكة مرحلة	
بطن مر (23 ميل)		مر الظهران				
مكة (13 ميل)		مكة				

1– ينظر: المرجع نفسه ، ملحق رقم (2) .

2 – علماء الشيعة في لبنان: بناء الهويّة والدور والامتداد الإسلاميّ والعربيّ (السيد موسى الصدر والسيد محمد حسين فضل الله نموذجًا)

The Shiite Scholars in Lebanon: Shaping Identity, Role, and Islamic and Arab Influence (Sayyid Musa al-Sadr and Sayyid Muhammad Hussein Fadlallah as Examples)

اعداد: بلال يوسف شمص

Prepared by: Bilal Youssef shamas

طالب دكتوراه في جامعة بيروت العربية، قسم التاريخ

PhD candidate in the Department of History at Beirut Arab University.

تاريخ الاستلام1/ 8 / 2024 تاريخ القبول: 21/8/ 2024

ملخص

تناول هذا البحث دور علماء الدين الشيعة في لبنان، وبشكل خاص السيد موسى الصدر والسيد محمد حسين فضل الله، في بناء الهويّة الشيعيّة والدور الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ للطائفة، حيث استعرض اسهام هؤلاء العلماء في تشكيل الاجتماع السياسيّ الشيعيّ اللبناني وإعادة إنتاجه وفق رؤية تعتمد على الانفتاح والدمج بين الدين والسياسة. يتناول البحث تأثير السيد موسى الصدر في تطوير العلاقة بين إيران وشيعة لبنان وتأسيسه لعدد من المؤسّسات التي أسهمت في تعزيز موقع الطائفة، كما تم التطرّق لتجربة السيد محمد حسين فضل الله ودوره في تطوير الفكر الشيعي والانفتاح على

مختلف الفئات، مما أسهم في تعزيز مكانته وتأثيره في المجتمع اللبناني. يركّز البحث على التأثير العميق لهؤلاء العلماء في تفعيل وتجديد العلاقة بين شيعة لبنان وإيران، خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانيّة.

الكلمات المفتاحية: الهوية الشيعيّة، السيد موسى الصدر، السيد محمد حسين فضل الله، الثورة الإسلامية الإيرانية، الاجتماع السياسي، الدين والسياسة.

Summary

This research examines the role of Shiite religious scholars in Lebanon, particularly Sayyid Musa al-Sadr and Sayyid Muhammad Husayn Fadlallah, in shaping Shiite identity and the religious, political, and social roles of the sect. The study explores how these scholars contributed to the formation and reformation of the Lebanese Shiite political community based on a vision that integrates religion and politics. It highlights Sayyid Musa al-Sadr's impact on strengthening the relationship between Iran and Lebanese Shiites, as well as his establishment of various institutions that enhanced the sect's position. The study also discusses Sayyid Muhammad Husayn Fadlallah's contributions to Shiite thought and his role in broadening inclusivity within the community, which reinforced his influence in Lebanese society. The research underscores the profound impact of these scholars on renewing and reinforcing the relationship between Lebanese Shiites and Iran, particularly following the Iranian Islamic Revolution.

Keywords: Shiite Identity, Sayyid Musa al-Sadr, Sayyid Muhammad Husayn Fadlallah, Iranian Islamic Revolution, Political Community, Religion and Politic.

مقدّمة

أفضت النهضة العلميّة وحركة التجديد في العلوم الدينيّة –في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين– إلى توسيع حقل الاجتهاد وولوجه المسرح السياسيّ، وتنظيم موحّد للتعليم والشعائر، وتطوير الأصول والقواعد الفقهية على أساس عقلاني منضبط لا سيما بعد أن حسم الصراع بين التيارين الأصولي والإخباري بترجيح فتح باب الاجتهاد وتمييزه عن القياس والعمل بالرأي، وإحياء الفقه السياسيّ.

قبل ذلك، كان زين الدين العاملي، المعروف بالشهيد الثاني (ت–1557) [1]، قد وضّح مفهومًا يتعلّق بنيابة المجتهدين عن الإمام الغائب _الإمام الثاني عشر عند الإماميّة_ وبمنحهم سلطات كامنة تجيز لهم جمع الصدقات وتوزيع أموالها، وإدارة أموال الوقف، وفيما كانت هذه النظريّة تتبلور في جبل عامل، عيّن الشاه الصفويّ طهماسب الفقيه المحقق الكركي (ت–1534)، نائبًا للإمام. لذا إن جبل عامل ودوره أعمق من إسناده فقط إلى العلاقة المتأخرة بإيران والثورة، بل تعود إلى صلات تاريخيّة وعلميّة راسخة في حركة التشيّع وعلاقة المقلِّد بالمقلَّد.

بينما صاغ أحمد النراقي (ت–1830) في أوائل القرن التاسع عشر مبدأ الولاية صياغة جديدة بجعل سلطات المجتهدين تتمثّل بهم على وجه العموم بنيابة الإمام. وأجاز جعفر آل كاشف الغطاء (ت–1812) لفتح علي شاه إعلان الحرب على الروس، مؤيّدًا بذلك حكومته.

تعاظمت سلطة المجتهد القائمة على الشرع، وأكسبت مركزية السّلطة وتعميم مفهوم المرجعيّة كنظام تمأسس على ضرورة التقليد والتراتب داخل جماعة العلماء قوّة جديدةً هي القدرة على الحركة السريعة بردة فعل موحّدة، وسمحت مرونة هذا النظام للمرجعيّات الصغرى المحليّة أن تنمو على مساحات قد تكبر وتصغر خاضعة لنفوذ وسلطة المجتهدين، مشكّلة «إقطاعة روحية»[2](ميرفان،2003 ، ص153–143).

1– الشهيد الثاني هو زين الدين بن نور الدين العاملي (911 ـ 965 هـ) من أحفاد العلّامة الحلّي ومن أبرز علماء وفقهاء الإماميّة في القرن العاشر الهجري وله مصنفات كثيرة أشهرها شرح اللمعة الدمشقية في الفقه الإسلامي.

2– ينعم «المرجع» بأوسع جمهور وبأثبت سلطة فيه، ويتلقّى الأموال من بقاع التمركز والانتشار الشيعيّ في العالم. ولنسبة المقلِّدين المؤمنين وعلو الكعب في المعرفة أثران حاسمان للوصول الى الرياسة الدينيّة. يعزّز ذلك الاستقلال الاقتصاديّ عن الدولة إلا بالقليل محدود الأثر.

أسهم كل هذا في تشكيل الطائفة الشيعيّة على صورة أكثر تنظيمًا في الداخل، وأكثر تماسكًا ومناعة في مواجهة الخارج وتغلغله في المجتمعات المحليّة –لا سيما في العراق– مما كانت عليه في الماضي.

كانت الصراعات السياسيّة في بداية القرن الرابع عشر الميلادي المحتدمة في إيران، تثير عاصفة وتترك تأثيراتها على النجف التي عاشت السياسة مبكّرًا بألفاظ تقارب التكفير من البعض ضد البعض الآخر، ومعظم الطلاب فيها من الإيرانيّين. وكانت المرجعيّة في النجف تمارس دورًا ضاغطًا على الاستعمار في إيران. مثل فتوى «المرجع السيد محمد حسن الشيرازي»[1] بتحريم التنباك وزراعته «المشروطة والمستبدة»[2].

لم تسع الإمبراطوريّة العثمانية تكييف نفسها وتهدئة الأكثرية الشيعيّة عندما فرضت سيطرتها على مناطق جغرافيّة في العراق مع تنوّعه[3]. «علاقات العقيدة، التجارة والعائلة ربطت النجف وكربلاء مع المراكز الدينيّة الفارسيّة على طول امتداد الحدود. النجف وكربلاء، تطلّعتا نحو قم ومشهد أكثر من تطلعها نحو بغداد والبصرة». (سلاغليت، 1976، ص 301).

انهارت الإمبراطوريّة العثمانية في الحرب العالمية الأولى[4]، وبعد نهاية الحرب وقع العراق تحت السيطرة البريطانيّة التي وصلت في تشرين الأول 1914 إلى مدخل الخليج الفارسي لحماية مصالحها في حقول النفط جنوبيّ إيران، والاهتمام بأمن الإمبراطوريّة

1– قاد حركة تمرد في إيران خلال سنتي 1891_1892م، لأن الحكومة الإيرانيّة أعطت امتياز استثمار التنباك في إيران إلى شركة بريطانيّة.

2– تولى بعض العلماء المشروطة أي النظام الديموقراطي بدءاً من العام 1906، يقوده الشيخ محمد كاظم الخرساني (ت 1911)، وتبنى آخرون اتجاهًا مناهضًا للمشروطة يقوده السيد محمد كاظم اليزدي وتبنى المستبدة بمعنى أن يحكم الملك ولكن مع مستشارين.

3 –ضاعفت بريطانيّا من اعتمادها على وجهاء السنّة وعلى الطبقة السياسيّة العثمانية السابقة، وتم تزويد نظام الحكم العراقي الجديد، بملك (الأمير فيصل، إبن حليف بريطانيّا في الحرب العالمية الأولى، الشريف حسين) من مكة خارج العراق، أراده البريطانيّون ملكًا يتولى السلطة ولا يحكم. بعدما أعلن حق المطالبة بسوريا وأقام فيها مملكة قصيرة العمر، إلا أن الفرنسيّون كانت لديهم مشاريع أخرى لسوريا. وصل إلى العراق في أواخر سنة 1921م، كغريب يعتمد على قوّة وحسن نية أسياده البريطانيّين. أرض تضم المسلمين السنة والشيعة، عرب وأكراد، ومجموعات صغيرة من المسيحيّين واليهود. وتمَّ استبعاد الشيعة عن المناصب الحكومية. لكن سُمح للمدن الشيعيّة الدينيّة المقدسة (النجف وكربلاء) بمقدار من حريّة العمل والتعليم والمحاكم والاستقلال الذاتي والمحافظة على التقاليد.

4 – بعدما كانت أساليب الحكم في العراق مبنية على التوازن بين السلطة الإمبراطوريّة وبين قوّة زعماء ووجهاء البلد المحليّين وعاداتهم.

في الهند وأمن الطرق التجارية والمواصلات[1]. عملت بريطانيّا على تحطيم قوّة «علماء الدين الشيعة الرجعيين» وإرغام العلماء الأكثر تمرّدًا من بينهم على عبور الحدود إلى إيران (عجمي، 1987، ص 35 و39–37). دخلت مدينة النجف سنة 1920 الصراع ضد الاستعمار البريطانيّ لمصلحة الأتراك الذين كانوا يضطهدون الشيعة آنذاك، أصدرت الفتاوى بالجهاد[2] (فياض، 1963، ص 168). وانطلقت العشائر والعلماء والطلّاب لمحاربة الإنكليز. والثورة التي استمرت بعنف طوال صيف سنة 1920، تم قهرها في خريف تلك السنة، حصيلتها كان ابتعاد شيعيّ أعمق عن البريطانيّين[3]. كانت الطبقة السياسيّة الجديدة مصمّمة على تقويض وتحطيم عالم المجتهدين وحضارتهم في المدن الشيعيّة المقدسة –المؤلّفة من الحضارتين الفارسيّة والعربيّة– بشكل متزايد[4].

دخل بعض المعمّمين من العلماء والفضلاء الحياة السياسيّة مثل السيد محمد الصدر الذي وصل إلى رئاسة الوزارة بعد سقوط صالح جبر، والشيخ علي الشرقي الذي شغل منصب وزير، وغيرهما. بعدها جاء الانقلاب العسكريّ الذي قام به عبد الكريم قاسم فدخلت الحوزة النجفيّة قلب السياسة (نعوم، 2014، ص 20 و21).

1– منح قرار سان ريمو 1920 انتداب بلاد الشرق الأدنى، نوعًا من موافقة شرعيّة للدخول البريطانيّ الى العراق. شرع البريطانيّون في تشكيل حكومة عراقية جديدة. وكانوا مقتنعين بأن ابتعاد الشيعة عن العثمانيين سوف يجعل الشيعة يقبلون بالحكم البريطانيّ، لكن المدن المقدّسة الشيعيّة لم ترضخ، نتيجة معارضة المجتهدين الشيعة في النجف وكربلاء للحكم البريطانيّ والحكومة التي جاء بها.

2– (منها للسيد محسن الحكيم، والسيد محمد سعيد الحبوبي)، «وأعطى المرجع محمد تقي شيرازي «موافقة دينيّة» على الثورة، عندما أصدر فتوى مفادها أنه «لا أحد غير المسلمين له الحق أن يحكم المسلمين»

3– واكبه عدة وجهاء عراقيين، ومن بينهم السيد محمد الصدر ابن المجتهد الكبير حسن الصدر، الذي أمل من الحكم الجديد وملكه أن يمدان أيديهما للشيعة. إستمر المجتهدون بالمطالبة بالاستقلال العراقي من البريطانيّين، وكان من الصعوبة معرفة أين انتهت معارضة العلماء للحكم البريطانيّ وأين بدأت معارضة السيطرة السنيّة. ندّد المرجع الديني المؤثر مهدي الخالصي بالملك الهاشمي، في شهر تشرين الأول سنة 1922م، متخليًا عن تعهده بالطاعة للملك فيصل. ثم صدرت فتوى من قبل عدة مجتهدين بارزين ضد انتخابات مقترحة، أراد من خلالها الحكم الملكي والبريطانيّون المصادقة على معاهدة عراقية_إنكليزية وإرساء قبول واحترام أكبر للوجود البريطانيّ داخل الحياة السياسيّة في العراق. وبعد أن أصدر العلماء الثلاثة (مهدي الخالصي وحسن الصدر ومحمد مهدي الصدر) قرارًا قويًا بشكل خاص ضد الانتخابات، أصدرت الحكومة العراقية والسلطات البريطانيّة أمرًا بطرد الخالصي، وعبر عدد من المجتهدين الآخرين الحدود إلى إيران تضامنًا معه. فاستنزفت المجموعة الدينيّة الشيعيّة في العراق بين الإبعاد القسري والنزوح الطوعي إلى إيران، ومن العابرين الشيخ عبد الكريم اليزدي (ت 1935)، وآية الله صدر الدين الصدر (والد السيد موسى الصدر).

4– ولا يغيب النظام التربوي الذي فرض مبادئه ساطع الحصري (1880_1968)، الإيديولوجيّ القوميّ العربيّ الأكثر تأثيرًا، واعتبر أن المجتمع الشيعيّ في العراق وطبقته الدينيّة يشكل عوائق في طريق حضارة عضوية متجانسة، وأعاد كتابة التاريخ الإسلاميّ عازيًا مفخرة المكان لجوهره العربيّ، نابذًا أو مشوهًا مساهمات الحضارة السامية للإسلام الفارسي في القرون الوسطى(عجمي، 1987، ص 45–41).

أخذت المدارس الدينيّة الشيعيّة في إيران زخمًا كبيرًا من الأحداث في العراق، لكن في إيران أيضًا، كانت فترة صعبة لرجال الدين الشيعة. أعلن رضا خان سنة 1925 نفسه ملكًا، وكان مصمِّمًا على استبدال الإسلام كقوّة لتلاحم المجتمع بالولاء للدولة الإقليميّة[1]. وضعت دولة الحاكم الأوتوقراطي العصري رجال الدين في موقع الدفاع، فكانت المساعدة لرجال الدين من البازار[2] (عجمي، 1987، ص 46).

كانت المرجعيّة الدينيّة تخضع لموازين معيّنة في النجف[3]، وكانت المرجعيّة للإيرانيّين[4]، لما يملكون من الامتداد الشيعيّ الواسع في إيران، ويمدّون طلاب العلم في النجف بالمال نتيجة صلتهم بالتجار المتواجدين في بلدهم، فيرسلون لهم حقوقهم الشرعيّة لتوزيعها على الطلاب.

وفّر علماء الدين الشيعة للطائفة ضمانات استمرار الهويّة بمضامينها العقائديّة والفقهيّة والقيميّة، بعد أن منحوا للأعمال الجهاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة شرعيّتها اللائقة بها. برزت الإسهامات المؤثّرة لعلماء يشكّلون «روح السلطة» و«القوّة الناعمة» في إرساء عوامل الوحدة والتماسك الاجتماعيّ–السياسيّ، وفي صوغ المواقف والعلاقات مع مختلف الفاعلين في مدارات السياسة والاجتماع. مع الإلتفات، إلى فرضية ترى أن «العلماء في لبنان كانوا حلفاء الزعماء، ولم يكونوا الحَكَمَ في الصراعات، بل كانوا يلتزمون جانب أحد الأعيان إما علنًا أو في الخفاء، ويشاركون، كلٌّ بأسلوبه، في نزاعات المدنيّين، فترتد خصومات ونزاعات داخل جماعات العلماء. كان البكوات يظهرون التقدير للعلماء والمجتهدين ويصلونهم بالعطايا ويخضعون لإرادتهم وفي هذا حث للناس على الرضى عن صورة العلماء «السامية» ؛ وفي المقابل كان العلماء يمتدحون البكوات أمام طلابهم وعند رعيتهم وفي كتاباتهم. وفي الوقت عينه، كان عليهم أن يحافظوا على بعدهم عن الزعماء؛ فسلطة هؤلاء، أكانت سياسيّة أم اقتصاديّة، سلطة جائرة (بمقتضى المنظار الشيعيّ السائد). وهنا ينشأ الالتباس في العلاقات بين العلماء والزعماء. كان

1– سنة 1929 صدر مرسوم يسمح باللباس العصري للرجال الإيرانيّين، وفي سنة 1935_1936 شنّ صراع رمزي للتخلص من حجاب النساء.

2– ما جعل الاعتماد على الرأي العام وتبرعات البازار الماليّة في موقع التأثير على الأوصياء على المؤسّسة الدينيّة.

3– منها أن يكون الشخص قد وصل إلى مرحلة ممتدّة من أربعين إلى خمسين سنة في الدراسة، مع وجود جهات تموّله ولو بالحقوق الشرعيّة.

4– حوربت مرجعيّة السيد محسن الحكيم، لكن ظروفًا معيّنة ساعدته مع وزنه العلميّ، للامتداد في المرجعيّة.

العلماء في جبل عامل متجذّرين في أوطانهم[1]، قادرين على تأليف الكتب من مستوياتهم الاجتماعيّة والعلميّة المتفاوتة[2] مقابل عدم كفاية التعليم للزعماء، يؤدون للمجتمع العاملي الخدمات ويتلقون أجورًا منه لقاءها، وقد أنيطت بهم مهامهم الرئيسيّة في الإرشاد والتعليم والقضاء. يشتغلون غالبًا في التجارة، إن لم يملكوا قطعة أرض صغيرة[3]. وكان المؤمنون يختارون مجتهدًا يؤثّرونه على الآخرين باختيارهم الأعلم والأعدل. وكان بين جماعة العلماء سلّم تراتب خاص بهم. لم تكن هيبة رجال الدين قائمة على قدسية مكانتهم فحسب، بل على علوّ كعبهم واشتهارهم بالعلم بصورة خاصّة، ووجهة اكتسابها إن كانت مدارس محليّة أم في حوزات النجف(ميرفان، 2003، ص61–59 و–72 77و81 و86 و108 و113).

تنوّعت العلاقات بين العلماء، من صلات تسودها الصداقة والاحترام بل المحبة والتضامن[4]، إلى علاقات قائمة على التنافس في المكانة والدور والصراع على استقطاب أموال الصدقات، سواء على نطاق المنطقة بكاملها (جبل عامل)، أم على نطاق مناطق نفوذ أضيق، وذلك بين كبار المجتهدين على نحو مخصوص (ميرفان، 2003، ص 125).

وفي هذا المجال، سيتم التركيز على أربع شخصيّات علمائيّة، تعدّ الأبرز انخراطًا في الموقف السياسيّ وقد تعرضت جميعًا لعمليّات اغتيال أو استهداف ما يؤشر إلى حساسية الدور المؤثّر والفاعل الذي نهضت به.

تعتبر هذه الشخصيّات الأوسع امتدادًا وتأثيرًا وبروزًا واتصالاً سياقياً نافذاً، رسم أرضية العلاقة بين إيران والشيعة في لبنان من نواتها إلى توتّراتها قياسًا بالآخرين، وعند الحديث عن كل شخصيّة بشكل مستقلّ، سيتم إبراز أهم ما أرسته من منهجية وديناميّة العمل الديني–السياسيّ وتحدّياته، وتظهير موقعها في التجاذب أو اللحمة الشيعيّة اللبنانيّة،

1– بعض الأسر كانت معروفة بأصولها خارجه، إلا أنها كانت متعلقة به: آل فضل الله، تركوا مكة في أواخر القرن السادس عشر، وآل الأمين أصلهم من ضواحي الحلّة، استقروا في قرية شقراء في القرن السابع عشر، ثم تفرّعوا الى الصوّانة.

2– يشتركون بالامتيازات نفسها كالحقوق الشرعيّة، ويؤمنون تكاثرهم وتماسكهم واستمرارهم إجمالًا بزواج القرابة، يتحدّرون في الغالب من أسرة دينيّة.

3– كانت فرصة اكتفاء المجتهدين منهم الماديّة متاحة بفضل الهبات التي كان الأعيان يقدّمونها إليهم، وفرائض الزكاة والخمس.

4– كأن يقوم رجل دين بالدفاع عن زميله إن هوجم في الخارج (وهو حكم شرعيّ وأخلاقي يصد عن الغيبة).

واستخلاص مجموعة من الاستنتاجات المقارنة، رغم اختلاف الظروف والرؤى وحيثيات التأثير في المشهد السياسيّ العام. وسيتم التركيز على الشخصيتين:

1. السيد موسى الصدر
2. السيد محمد حسين فضل الله

1 – الإمام موسى الصدر: الرؤية في النهوض وديناميّة الفعل السياسيّ

تعود جذور العلاقة التي جلبت السيد موسى الصدر (1928م–1978م «اختفاء») بين إيران وشيعة لبنان إلى القرن السادس عشر، حين فرضت السلالة الصفوية المذهب الشيعي كدين للدولة في إيران، مستعينة بعلماء من جبل عامل والبقاع، مما جعل إيران المركز الشيعي الثاني بعد العراق. وصل الإمام الصدر إلى لبنان وهو يتحدث بلهجة فارسية ولم يحمل الجنسية اللبنانية. ينتمي الصدر إلى عائلة مشهورة بعلماء الدين في العالم الشيعي، حيث كان والده آية الله صدر الدين الصدر، وجده من أمه آية الله حسين القمي (توفي عام 1945م)، وينحدر من سلالة صالح شرف الدين الذي غادر جبل عامل في بداية سنة 1780. وفي تحرك عكسي عن المعتاد بين إيران ولبنان، جاء الإمام الصدر من المركز الشيعي الكبير في إيران إلى لبنان الذي كان يُعتبر موقعًا معزولًا (عجمي، 1987).

1–2 – الامام الصدر: دواعي مجيئه إلى لبنان واستقدامه التجربة الإيرانيّة

بعد وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين في 31 كانون الأول 1957، كانت هناك حاجة ملحة لملء موقعه ودوره الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي. ظهرت عدة مقاربات تكشف عن دواعي مجيء السيد موسى الصدر إلى لبنان.

المقاربة الأولى: كانت الروابط العائلية الوثيقة بين أسرتي شرف الدين والصدر عاملًا رئيسيًا. السيد عبد الحسين شرف الدين، الذي أمضى حياته بين الصدريين في العراق، لفت انتباهه إلى السيد موسى الصدر في إحدى رحلاته إلى إيران في أواسط الثلاثينات، وظل يتتبع أخباره. في عام 1955، أرسلت دعوة للسيد موسى الصدر لزيارة عائلة شرف الدين، وكذلك في العام 1957. بعد وفاة الإمام شرف الدين، كتب ابنه السيد جعفر رسالة إلى السيد موسى الصدر يدعوه فيها للمجيء إلى لبنان. أشار السيد آية الله حسين

البروجردي والسيد محسن الحكيم، المرجع الذي كان يمارس نفوذًا على شيعة لبنان، على السيد موسى الصدر بضرورة تلبية الدعوة. استجاب السيد موسى الصدر لهذه الدعوة وقدم إلى لبنان في أواخر سنة 1959 للاطلاع والتعرف، ثم جاء للإقامة سنة 1960، وأقام في مدينة صور، في منزل الإمام شرف الدين (نعوم، 2014؛ عجمي، 1996؛ حركة أمل؛ شرف الدين، 1996).

المقاربة الثانية: اختار السيد موسى الصدر الذهاب إلى لبنان نتيجة علاقاته الجيدة آنذاك مع الدولة الإيرانية، ولوجود توصية رسمية به، ولحاجة الشيعة في لبنان لكونهم طائفة مضطهدة. يشير البعض إلى أن السيد عبد الحسين شرف الدين لم ينصبه أو يرشحه ليكون مكانه، وأن هذه الفكرة هي من حكايات ومدائح الناس العادية (كوراني، مقابلة، 2020).

المقاربة الثالثة: طلب أهل صور من الشيخ حبيب المهاجر المقيم في بلدة حناوي ملء الفراغ بعد وفاة السيد شرف الدين. زار الشيخ حبيب صور وقام بجولة دراسة، وكان يؤم الناس مكان السيد شرف الدين، لكنه لم يلائم مصلحة آل شرف الدين، مما دفعهم إلى حث السيد موسى الصدر على المجيء. السيد موسى الصدر كان قد زار السيد شرف الدين في حياته وأعجب به، مما شجعه على تلبية هذه الدعوة (المهاجر، مقابلة، 2020).

السيد موسى الصدر، الوافد من إيران الكبيرة وتياراتها الفكرية بمساحتها الواسعة، جاء إلى لبنان بعد تاريخ طويل من التغيرات السياسية الكبيرة في إيران. في شبابه، شهد محاولات جده من أمه كبح حملة رضا شاه ضد رجال الدين، وفي العشرينات من عمره، شهد انفجارًا قوميًّا انتهى بفوز محمد مصدق ونفي الشاه، لكن تجربة مصدق تحطمت عام 1953 بمحاولة أمريكية، ليعود الشاه محمد رضا لإعادة تشكيل إيران بدعم أمريكي ونفط وفقدان ثقة رجال الدين.

مع تزايد التمدن والتثقيف في إيران بأساليب غربية، غادر السيد موسى الصدر إلى لبنان، بلد صغير بمساحة 4105 أميال مربعة، حيث كانت المؤسسة الدينية فيه أقل تبلورًا، مما جعل تدميرها وتحديها أسهل. كان الانتقال إلى لبنان حافزًا للإبداع بعيدًا عن القيود المهنية التي كانت ستقيده في إيران، مما أتاح له استقدام وتنفيذ خبراته ومعارفه

بذكاء وبراغماتية.

وصل السيد موسى الصدر، الإيراني الجنسية والفارسي اللغة، إلى لبنان حيث كانت الطائفة الشيعية هامشية في وقت كانت العروبة تسيطر بشكل حاد في أواخر الخمسينات وبداية الستينات. على الرغم من أنه لم يكن مجتهدًا كبيرًا، إلا أن مواهبه كانت في الحقل السياسي وقيادة الرجال بإرغام الأخصام والأصدقاء على توقيره. جسّد الصدر التاريخ الشيعي من خلال عمامته السوداء واستدعى قوته التاريخية.

في لبنان، شعر الناس بتحسن في حياتهم بفضل المال الشيعي الجديد، خاصة من إفريقيا الغربية، الذي شق طريقه إلى المجتمع اللبناني. لم يجد ذوو المال المجني في الاغتراب مكانًا مريحًا في السياسات القديمة، فكانوا شركاء مثاليين للسيد موسى الصدر في البحث عن مكانة في البلد. جاء في وقت حكم سياسي جديد برئاسة فؤاد شهاب، الذي كان منفتحًا نسبيًا وملتزمًا ببعض الإصلاحات، ويبحث عن رجال جدد للعمل معهم للحد من نفوذ الزعماء الإقطاعيين.

1-1- المحطّات الأربع الرئيسيّة في تجربة السيد موسى الصدر

في عام 1960، قرر السيد موسى الصدر الاستقرار في لبنان. في هذه المرحلة التأسيسية لم تكن شخصيته السياسية العامة قد برزت بعد (الصدر، مقابلة، 10 آب 2020). كان الوضع آنذاك يتسم بسيطرة العائلات السياسية على الطوائف اللبنانية، بينما كانت الطائفة الشيعية تعاني من التهميش والإهمال، إلى جانب تداعيات النكبة الفلسطينية على قرى الحدود، ودور القوى العلمانية والقومية واليسارية المنافسة للعائلات السياسية الشيعية في الجنوب والبقاع. هذا دفع الأسر الشيعية للنزوح إلى بيروت والإقامة في ضواحيها التي كانت تتفاعل مع أجواء الناصرية والقومية العربية وقيادة مصر للمجموعة العربية.

انصبّت اهتماماته على الصعيد الاجتماعي والتعليمي، وتطوير جمعية «البر والإحسان الخيرية» التي أسسها السيد شرف الدين عام 1948 لمساعدة الأيتام والمساكين والمحتاجين. عمل على إعادة تنظيم هيكلها الإداري وتعديل نظامها الداخلي، وأدخل المرأة إلى ميدانها، وكانت رباب الصدر (شقيقة الإمام) عضواً في مجلس الإدارة. قرر

إقامة مدرسة لمحو الأمية العلمية وتعليم الخياطة وإدارة الشؤون المنزلية، وأسس مؤسسة جبل عامل المهنية، وأسند إدارتها إلى الدكتور مصطفى شمران، وكان من خريجيها عدد من المقاومين الأوائل الذين تصدوا للاعتداءات الإسرائيلية. كما أسس مدارس للبنات والصبيان، وعمل على إيجاد نهضة دينية ثقافية للمجتمع النسائي والشبابي (الصدر، مقابلة، 10 آب 2020).

في عام 1967، نجح السيد موسى الصدر في تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في 15–12 أيار، قبيل هزيمة حزيران 1967 وبدء تراجع «الناصرية»، وبروز المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل والأحزاب الشيوعية، وسط شريحة واسعة من النخبة الشيعية المتعلمة والصاعدة (جمال الدين، 2002، ص 112–107). أثار وجود هذا المجلس، وبرئاسته، موجة من الاعتداد بالنفس والرضا عند الأكثرية من الشيعة، خاصة لدى طبقة التجار، وإن عارضه بشدة بعض العلماء والساسة. كان مشروعه تأسيس هيئة معنوية مستقلة للكيان الشيعي الذي كان حتى ذلك الوقت ملحقًا بدار الفتوى (السنية). إلا أن ذلك لم يكن دون عقبات ومتاعب، حيث بدأت الحملة على السيد موسى الصدر مبكراً، وكانت المعارضة قوية في الوسط العلمائي الشيعي بزعامة الشيخ محمد جواد مغنية، وكذلك في الوسط السياسي ولدى بعض الزعماء الشيعة الذين اعتبروا أن فكرة المجلس الشيعي تعمق النظام الطائفي (فحص، 2008، ص 321–319).

في ظل تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية على قرى وبلدات الجنوب، أسس السيد موسى الصدر هيئة نصرة الجنوب، التي كانت تضغط على الدولة لتعويض الجنوبيين عن خسائرهم، وأسفر ذلك عن تأسيس مجلس الجنوب عام 1970 بموازنة سنوية لدعم صمود الجنوب. كان «مجلس الجنوب» خطوة مهمة في حركة السيد موسى الصدر، حيث انتقلت حركته من الخاص إلى العام (النويهض، مقابلة، 3 نيسان 2020).

مع تأسيس حركة المحرومين وأفواج المقاومة اللبنانية (أمل) في عام 1974 برئاسة حسين الحسيني، وتولي مصطفى شمران مسؤولية الجهاز العسكري في عام 1975، أخذ نجم الإمام الصدر يصعد، وتتمظهر أبعاده السياسية ويحتل مواقعه كقوة منافسة للعائلات الشيعية والأحزاب اليسارية (النويهض، مقابلة، 3 نيسان 2020).

بعد اندلاع الحرب اللبنانية في عام ١٩٧٥، تغيرت الأمور بشكل كبير؛ أصبحت الطائفية والمناطقية والمذهبية من الأمور المقبولة والمبررة بالدفاع والحماية، مما أعطى حركة الإمام الصدر حيوية في ظل تقطيع أوصال الدولة وتراجع دورها. بدأت الأحزاب اليسارية تدرك أهمية حركة الصدر التي لم تعد محصورة في الشأن الشيعي، بل بدأت تنشط في الساحة السياسية المحلية والإقليمية (ناصيف، 2017، ص 167-145).

2-1- موقع ودور الإمام الصدر في الاجتماع السياسيّ اللبنانيّ

لم يشأ الإمام موسى الصدر أن يكون جزءًا من السائد الموجود كحزب الدعوة (الخرسان، 2019)، لأنه يستطيع أن يضم تحت عباءته المتدين وغير المتدين من الزعامات السياسية وغيرها. وكان بعض ناشطي حزب الدعوة في لبنان يشوبهم الشك تجاهه، مما يؤكد الالتباس الحاصل حول موقع ودور السيد موسى الصدر في الأوساط الشيعية اللبنانية وتشعباتها الفكرية والسياسية، من دواعي مجيئه إلى استراتيجيته وعلاقاته.

لم يستند السيد موسى الصدر إلى جهة خارجية، إنما كان اشتغاله على موضوع القلق الشيعي نتيجة فشل القيادات الشيعية في إحراز المطلوب. إلا أن تصوره أنه بإمكانه إقامة علاقات مع جميع الأنظمة العربية جعله يقع في تناقضاتها، إذ يصعب إرضاء كل الرؤساء والملوك في ظل علاقات متناقضة بينهم (كوراني، مقابلة، 16 نيسان 2020).

كان للسيد موسى الصدر دوره الأساسي ومشروعه الذي خرج به عن المألوف واستطاع إيجاد التحول من تكريس الانفتاح على الخط الوحدوي الإسلامي والتعايش مع الطوائف الأخرى، والتوسع في دائرة نشاطاته الوطنية اللبنانية. بعد تعرفه إلى المجتمع اللبناني وطوائفه ومشاكله الحياتية، وضع برنامج عمل لكل لبنان، لكنه وجد أن الفئة الأكثر حرمانًا من ناحية التنظيم والحقوق المدنية والمواطنة هم الشيعة، فأخذ يركز على الطائفة الشيعية، مع سلوكه سبيل التكامل الإسلامي-المسيحي. أدرك أنه لن يكتب له النجاح إلا إذا بنى علاقاته الطيبة مع السلطة السياسية والمشاركة في الندوة اللبنانية، والقيام بالخطوات التي تعزز تلك العلاقة، متخذًا من الحازمية مكانًا للمجلس الشيعي، ومنحه الرئيس شارل الحلو الجنسية اللبنانية بمرسوم.

مد جسور العلاقة مع رئاسات وملوك دول خارجية، وصمم على معارضة الحركات السياسية التي كانت تستغل الشباب الشيعي اللبناني كوقود لها في نزاعاتها. عمل على تعزيز المأسسة في الطائفة الشيعية واسترداد حقوقها، وتركيز وتحسين وضعها في النظام اللبناني، بذهنيّة إصلاحية لا ثورية، وواجه الإقطاع السياسي لاستئثاره السلطة في الطائفة الشيعية. بدأ يقيم لقاءات مع حركة فتح لتشكيل حركة مقاومة بالتحالف مع المقاومة الفلسطينية تمويلًا وتسليحًا، عُرفت لاحقًا بأفواج المقاومة اللبنانية /أمل، ما أعطاه عنصر قوة، إذ لم تكن إيران الثورة موجودة لتدعمه في حينه (صلاح صلاح، مقابلة، 7 نيسان 2020؛ ناصيف، 2017).

كانت طريقة عمله ونشاطه قدوة في الاجتماع الشيعي قياسًا إلى العلماء التقليديين (المهاجر، مقابلة، 13 آب 2020). كان ديناميًا في حركته، وزار أماكن حدودية في الجنوب متضامنًا مع المعتدى عليهم من طائفة السنة، مصليًا في مسجد كفرشوبا المدمر، أواخر العام 1974، على أثر العدوان الإسرائيلي (حمود، مقابلة، 13–10 آذار 2020؛ فحص، 2008).

أبرم مواقفه القاطعة بأن «التعامل مع إسرائيل حرام»، ولم يكن هناك تناقض بما قام به والإنجازات الكبرى التي حصلت نتيجة الثورة (خامه يار، مقابلة، 15 حزيران 2020). لم يكن الإمام الصدر تقليديًا في انفتاحه على الإسلام، وكانت علاقته بالسيد محمد باقر الصدر رائد الحركة الإسلامية في العراق عميقة. كان إسلاميًا في فكره، ولم يتبن أسلمة الحياة بشكل صارم لأنه رأى ذلك غير منسجم مع التنوع الطائفي في لبنان، لكنه تفهمه.

تحرك خصومه في الشارع الشيعي يقودهم علماء كبار للتشكيك في مواجهته للخط السياسي الناصري أو اليساري أو القومي. أثارت الطائفة السنية الشكوك حول انفتاحه وتأييده الزعماء المسيحيين، خصوصًا عندما انتمى إلى «الندوة اللبنانية» التي يترأسها ميشال الأسمر، وزار الفاتيكان وتحدث عن البابا بما لم يكن مألوفًا. كانت الحملة عليه موجهة من القوميين العرب وبعض الدول العربية، ومن الطبيعي أن يفكر في مشكلة مستقبلية مع إسرائيل التي أنشأ حركة أمل من أجل مقاتلتها (سيّد، 2014).

احتضن الإيرانيين الذين وفدوا إلى لبنان من أنصار الإمام الخميني وسهّل لهم الكثير من المواقع والإمكانات التدريبية مع حركة فتح (شفيق، 2021). أثار الجو السياسي

الإسلامي بشكل عام ضد النظام العراقي وراسل الرئيس جمال عبد الناصر ومختلف الزعماء العرب. تجاوز الخطوط الحمراء عربيًا وإيرانيًا، مما جعله عرضة للاستهداف من مختلف الجهات، ظنًا منهم أن قطع رأسه ينهي مسيرته.

في الخلاصة، شكّل موقع ودور الإمام الصدر تحولًا في الرؤية ومنهجية العمل وإعادة إنتاج موقع ودور الاجتماع السياسي الشيعي اللبناني، على زخم ديناميته وما أرساه من أطر ومؤسسات ومنهجية تفكير. كانت الأرضية اللبنانية الشيعية جاهزة لاستقبال واحتواء انتصار الثورة في إيران وشعاراتها، واستمرت حركة أمل في نشاطها السياسي والعسكري، ما أتاح لها توسيع علاقاتها مع دمشق بحكم الوجود السوري الذي ازداد نفوذه بعد دخول قوات الردع بطلب من الدولة اللبنانية عام 1976. يمكن القول إن محصلة حركة الصدر كانت فاعلة في تغيير المعادلات الاجتماعية والسياسية قبل أن يظهر دور طهران الإقليمي (النويهض، مقابلة، 29 نيسان 2020).

بعد أن عزّز موقع الطائفة الشيعية وأعاد ثقتها بنفسها، ونقل الشيعة من مكان إلى آخر، يمكن القول إن السيد موسى الصدر جعل من الشيعة قوة فاعلة (بقرادوني، مقابلة، 29 أيلول 2020).

2 – العلامة السيد محمد حسين فضل الله: الذهنية الحركية والدور الديني–السياسيّ.

في الأربعينات والخمسينات، لم يكن للحوزة العلمية في النجف أي نشاطات سياسية بمستوى الأحداث التي تلت. كان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أكثر العلماء انفتاحًا، يشارك في المؤتمرات الإسلامية ويمثل وسيطًا بين الحكومة العراقية والمعارضة. كانت المرجعية الكبرى للعلماء تتجسد في شخصيات مثل السيد محسن الحكيم، الذي كان الناس يتوجهون إليه في ذلك الوقت. في تلك الفترة، بدأ السيد محمد حسين فضل الله يتفاعل مع الشيوعيين والديمقراطيين والقوميين، ويشارك في المناسبات الدينية والاجتماعية (نعوم، 2014).

حتى سنة 1952، كان الشيعة في العراق يشعرون بالغبن دون أن يتحول هذا الإحساس إلى تيار أو حركة سياسية. كانت للسيد فضل الله علاقة متينة بآل الصدر

في العراق، وعندما جاء السيد موسى الصدر إلى النجف، التقاه وشارك في تأبين والده. حمل السيد موسى الصدر تقديرًا كبيرًا للسيد فضل الله، مشيرًا إليه كأفضل العامليين في النجف (نعوم، 2014).

لم تكن لدى السيد فضل الله فكرة معمقة عن الوضع السياسي في لبنان قبل مجيئه إليه مع والدته في عام 1952. انفتح على الواقع اللبناني من خلال جلسات مع الشيوعيين والقوميين والبعثيين، ونظم قصائد سياسية نُشرت في «العرفان». عاد إلى النجف ليستأنف دراسته ويلتقي بشخصيات مثل حسين مروة وعبد اللطيف شرارة، ثم عاد إلى لبنان مرة أخرى.

جاء السيد فضل الله من النجف بذهنيّة حركية تؤمن بأسلمة العالم، لكنه لم يرتبط تنظيميًا بأي جهة، محافظًا على حريته. كانت علاقته بالسيد موسى الصدر وآل الصدر وثيقة، تتخللها التشاور في بعض القضايا. كان السيد فضل الله وعلماء آخرون أقرب إلى الخطوط العربية والإسلامية منه إلى الخط اللبناني، وكانوا يعارضون الأيديولوجية القومية العربية.

لم يكن السيد فضل الله يؤمن بأسلوب المجالس الملّية ولم يشارك فيها، ولم يتخذ موقفًا مضادًا. رغم أنه كان من الممكن أن يكون نائبًا لرئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، إلا أنه أعلن «لن أنتخب ولن أُنتخب». لم يكن منسجمًا مع الخط الفكري أو السياسي لحركة أمل ولم يرتح لإعلان تأسيسها، وكان يسجل ملاحظات على خطاب السيد موسى الصدر في تأسيس أمل.

أسس السيد فضل الله المعهد الشرعي الإسلامي الذي خرّج العديد من العلماء ودرّس البحث الخارج والدروس العالية في الفقه والأصول. في تلك الفترة، كان السيد موسى الصدر واجهة مسيطرة على الجو الشيعي، مما قلل من اهتمام الإعلام بحركة السيد فضل الله. تعاون السيد فضل الله مع السيد موسى الصدر ضد ممارسات البعث العراقي وضد محاولات الاغتيال التي استهدفته.

امتلك السيد فضل الله امتدادًا شعبيًا في المجتمعات المثقفة والمؤمنة، وكان يغلب الطابع الأيديولوجي في صراعه مع اليساريين العرب. لم يكن ينسجم مع عبد الناصر

في طرح القومية العربية، خصوصًا بعد حملته على الإخوان المسلمين..

1-2- تجربة السيد فضل الله: الإنفتاح والقرار المستقلّ.

تُعتبر تجربة السيد محمد حسين فضل الله فريدة من نوعها في لبنان. بدأ نشاطه في منطقة النبعة في بيروت الشرقية، حيث بنى علاقات متواضعة مع العائلات الفقيرة، مقدماً لهم الدعم المعيشي والطبي والتعليمي. على الرغم من أن النبعة لم تكن منطقة بارزة، إلا أن السيد فضل الله حاول التحرك بشكل هادئ، وقام بجولات في الجنوب، وعقد الجلسات الحوارية، وأعطى الدروس للشباب المثقف في مناطق متعددة.

استمر السيد فضل الله في عمله كوكيل للإمام الخوئي حتى تم حصار النبعة من قبل الميليشيات المسيحية، مما أدى إلى تهجير سكانها. بعد الانتقال إلى الضاحية الجنوبية في بيروت، توسعت دائرة علاقاته وأصبح معروفًا أكثر، وتواصل بشكل دائم مع قطاع الصحافة والإعلام. حافظ على تواضعه وصمته، مواصلاً مهمة تعليم الطلبة وإشرافه على تخريج دفعات من الطلاب بمنهجية تربوية منفتحة.

بفضل شخصيته المنفتحة وغير المتعصبة، تحول السيد فضل الله إلى واجهة التلاقي بين مختلف الفئات، حيث جذب العديد من الأسر والعائلات من مختلف الطوائف والمذاهب، واستشارته في مسائل خاصة. أسهمت سياسته التي توحي بالثقة في جذب العديد من الأسر، حتى أن شرائح متنوعة من الطوائف والمذاهب كانت تستشيره في موضوعات زوجية وخلافات، مما أعطى مرجعيته صدقية لمختلف التوجهات بما في ذلك تلك التي تميل إلى العلمانية.

قبل الانفتاح على الثورة الإسلامية، كانت قاعدة حزب الله منتمية إلى حزب الدعوة، الحزب الإسلامي الشيعي الوحيد في العالم العربي يومها. أطلق السيد فضل الله الكلمة الثورية من خلال مسجد الإمام الرضا في بئر العبد، وشجع على العمليات الجهادية، مؤكداً على أهمية المقاومة. تعاون الشباب المقاوم مع الفلسطينيين، وكانت لهم قيادتهم الخاصة كمجموعة جهادية ضد العدو الإسرائيلي.

كان التعاون بين الشباب المؤمن المتحرك وحركة أمل طبيعيًا، واستمر مجلس السيد فضل الله كمركز للتواصل والتفكر والبحث في الموضوعات السياسية. بعد الثورة في

إيران، قام بزيارات إلى طهران واتصل بالقادة هناك، معلناً دعمه ضد الاستبداد. اجتهد في تأمين أمكنة لعقد ندوات وجلسات حوارية بدون تعصب لوجهة نظر معينة، مما أعطى مرجعيته نقطة قوة.

اعتمد السيد فضل الله في تحليلاته على منهجية تبدأ من العام إلى الخاص، مما جعله موثوقًا حتى لمن لا يتفقون معه. أسهمت شخصيته المتسامحة في توسيع دائرة البيكار، وجعلت معظم التوجهات تتفق أو تتناغم مع سلوكه، مما وفر غطاءً شرعيًا لتصرفاتهم.

2-2- السيد فضل الله وتجاذباته الموقف مع إيران وحزب الله

انطلقت الثورة الإيرانية بصفتها الإسلامية الثورية، واستطاعت بسرعة أن تركز الكثير من القواعد الشيعية وتجذب العديد من الأشخاص الذين أصبحوا قيادات لحركة «حزب الله». كان المسؤولون الإيرانيون في السفارة الإيرّة في بيروت ودمشق يعيشون مع الجماهير ويتواصلون معهم، حيث دعوا الشخصيات المختلفة لزيارة إيران ونظموا بعضها.

عملت الثورة الإيرانية على محاربة حزب الدعوة وبدأت تخطط لإلغائه في لبنان. شعر السيد فضل الله أن لا مصلحة إسلامية وشيعية بوجود حزبين، فحث أصدقاءه في حزب الدعوة على الانسحاب من لبنان كحزب. جمّد الحزب نشاطه واندفع العديد من شبابه للانفتاح على الثورة الإسلامية الإيرانية، خاصة بعدما أطلق الإمام الخميني شعار اللاحزبية (نعوم، 2014).

كان حزب الله بديلاً عن حزب الدعوة، وانتهج خط الإمام الخميني على أساس «ولاية الفقيه». حضر السيد فضل الله أول اجتماع لحزب الله في البقاع، لكنه لم يكن جزءًا من التنظيم وكان موقفه استشاريًا فقط. نسب إليه دور المرشد الروحي لحزب الله نتيجة علاقاته الواسعة واجتماعاته في مسجد بئر العبد، مركز المقاومة والثورة الإسلامية (النويهض، 2020).

كان السيد فضل الله مغامرًا في دعمه لمواقف حزب الله، حيث دعا للمقاومة المسلحة مقابل المقاومة المدنية الشاملة. تعرض السيد فضل الله لمحاولات اغتيال واتهامات عديدة، بما في ذلك الاتهامات بالضلوع في تفجيرات وأعمال خطف، نتيجة عدم فهم مزاياه ومنهجيته المتسامحة والمنفتحة (حمود، 2020؛ فحص، 2008). استمر في

دوره التوحيدي حتى وفاة الإمام الخميني، ومن ثم وفاة السيد الخوئي وتولي السيد السيستاني المرجعية (خامه يار، 2020).

أسفر غياب السيد الخوئي عن خلافات فقهية وتجاذبات سياسية حول المرجعية الشيعية. كان الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله يفضلان أن تبقى المرجعية الشيعية في الدائرة العربية، فيما أعلن السيد فضل الله نفسه مرجعًا شيعيًا مستقلًا في لبنان لتجنب التبعية والتنافس بين قم والنجف (نعوم، 2014).

اتسمت منهجية السيد فضل الله بالتوحيدية وعدم الاستفزاز، ما أعطاه صدقية في جانب وأضعفه في جانب آخر، بسبب تعقيدات العلاقة في ساحته اللبنانية ومحيطه الإقليمي. استمر السيد فضل الله في نشاطاته حتى بعد عدوان تموز 2006 وتدمير العديد من مؤسساته، وحرص على ترميمها وإعادة تنشيطها حتى وفاته (شفيق، 2021).

خلاصة

يشكل هذا البحث تكثيفًا موجزًا للعالمين البارزين في تاريخ الاجتماع السياسي الشيعي اللبناني، وهما السيد موسى الصدر والسيد محمد حسين فضل الله، الذين حجزا مواقعهما في النسق السياسي الثلاثي الذي يجمعهم إلى زعماء العائلات السياسية والأحزاب التي نشطت في المجتمع الشيعي اللبناني.

تأتي أهمية هذه المطالعة للحالات العلمائية في تكثيف الظروف التي أحاطت بهما، باعتبارهما مؤثرين في بلورة ملامح الفعل الديني–السياسي البارز في تاريخ الاجتماع السياسي الشيعي اللبناني. العلاقة بين الاجتماع الشيعي وإيران استمدت منها زادًا وديناميكية تفاعل وتباين، تباينت حينًا وتقاطعت حينًا آخر، ويمكن التفكيك بين درجة اتصال هذه الحالات ببنية العلاقة ووظائفها بين مرحلة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية وما بعدها.

لقد أعاد السيد موسى الصدر إنتاج الاجتماع السياسي الشيعي اللبناني وفق رؤية ومشروع شكلا منعطفًا في وعي الطائفة لذاتها وحقوقها ودورها. نشط في نسج العلاقة الإيرانية–الفلسطينية وتوظيف علاقاته في إيران لخدمة مشروعه، قبيل انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

أما السيد محمد حسين فضل الله كان عقدة الوصل بين زمن ما قبل انتصار الثورة الإيرانية وما بعدها، وحاضر بقوة في تاريخ الاجتماع السياسي الشيعي اللبناني. تفاعلاته مع الجمهورية الإسلامية في إيران وحزب الله في لبنان، وتجاذب مسألة المرجعية وولاية الفقيه العامة، أثرت على العلاقة بين العلماء أنفسهم ومع إيران.

المصادر والمراجع

- ميرفان، صابرينا .(2003) .حركة الاصلاح الشيعي (ترجمة هيثم الأمين). دار النهار.
- سلاغليت، بيتر .(1976) .بريطانيا في العراق .دار نشر إيثاكا، لندن.
- عجمي، فؤاد .(1987) .الامام المغيّب موسى الصدر وشيعة لبنان .دار الأندلس، بيروت.
- فياض، عبدالله .(1963) .الثورة العراقية الكبرى .دار نشر الإرشاد، بغداد.
- نعوم، سركيس .(2014) .بوح...ولكن! (1997–1986) السيد محمد حسين فضل الله .الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- فحص، هاني .(2008) .الإمامان الصدر وشمس الدين ذاكرة لغدنا .دار المدى/بيروت، المركز اللبناني للدراسات والحوار والتقريب، سورية.
- ناصيف، نقولا .(2017) .جيوش لبنان انقسامات وولاءات .الطبعة الأولى، الطباعة.RAIDY
- الخرسان، صلاح .(2019) .حزب الدعوة الإسلامية، المرحلة السياسية (2019–1979م). بيروت، المصطفى للإخراج والنشر.
- السيّد، رضوان .(2015) .الجماعة والمجتمع والدولة: سلطة الأيديولوجيا في المجال السياسي العربي الاسلامي .جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى.
- جمال الدين، نجيب .(2002) .الشيعة على المفترق أو موسى الصدر .دار البلاغة، بيروت.
- كوراني، علي. (2020، 17–16 نيسان). مقابلة أجراها الباحث.
- المهاجر، جعفر. (2020، 13–11 آب). مقابلة أجراها الباحث.
- الصدر، رباب. (2020، 10 آب). مقابلة أجراها الباحث.
- النويهض، وليد. (2020، 3 نيسان). مقابلة أجراها الباحث.
- صلاح، صلاح. (2020، 7 نيسان). مقابلة أجراها الباحث.
- بقرادوني، كريم. (2020، 29 أيلول). مقابلة أجراها الباحث.
- حمود، ماهر. (2020، 13–12–10 آذار). مقابلة أجراها الباحث.
- خام يار، عباس. (2020، 1 تموز). مقابلة أجراها الباحث.

3-حركات التحرر الكوردية في العراق1914-1980

Kurdish liberation movements in Iraq1914-1980

بقلم الطالب : أحمد عبد القادر عثمان

طالب دكتوراه في جامعة بيروت العربية/ كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ
AhmadOthman4090@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024 /8/16 تاريخ القبول: 2024 /9/4

ملخص البحث:

من عقود طويلة والشعب الكوردي يناضل بصيغ شتى من اجل التمتع بحقوقه المشروعة وحريتة وكرامته على أرضه ،ورغم تصاعد أصوات الحركة الكوردية في فترات مختلفة إلا انها كانت تنتهي بالفشل بسبب الصراعات الداخلية بين العشائر او بسبب سلطات الاحتلال. كانت السياسية العراقية تجاه الاكراد مختلفة كلياً، عن باقي اجزاء كوردستان حيث خاض الكورد نضالا عنيفاً وطويلا من اجل حقوقهم العادلة والمشروعة وتم الإقرار بالوجود الكوردية مع بداية تاسيس الدولة العراقية المعاصرة التي اعطت عام ١٩٣٢ تعهدا مكتوباً لعصبة الامم باحترام الاختلاف الكوردي والسماح باستخدام اللغة الكوردية في المجالات التعليمية والقضائية في المناطق التي يشكل فيها الكورد أغلبية السكان ونتيجة لذلك اخذت الحركة الكوردية تتطور في العراق بشكل مغاير عما كان جارياً في تركيا وايران .

الكلمات المفتاحية : كوردستان، كوردستان الجنوبية، محمود الحفيد ، عشيرة البارزاني، طريقه النقشبندية

Summary:

For decades, the Kurdish people have struggled with various means to achieve their legitimate rights and liberties. Despite the fact that the voices of the Kurdish movement were at times raised and at other times subdued due to internal conflicts or because of the authorities' oppression or negligence, Kurdish life in Iraq remained stable and its identity fully preserved. The Kurds specifically have fought tirelessly to secure their rights and secure acknowledgment of the Kurdish presence in the nascent Iraqi state, especially after 1932 when Iraq gained independence. However, the continued denial of Kurdish rights in official institutions and the absence of meaningful participation in political life led to Kurdish uprisings. Most Kurds were part of these conflicts, and as a result, the Kurdish movement in Iraq evolved considerably, particularly due to pressures from neighboring Turkey and Iran

Keywords: Kurdistan, Southern Kurdistan, Mahmoud Al-Hafid, Barzani clan, Naqshbandi order

أولًا: مساحة كوردستان العراق

إقليم كوردستان العراق، أو ما يعرف بكوردستان الجنوبية هو ذلك الجزء من كوردستان الواقع في حدود دولة العراق الذي تكّون بعد الحرب العالمية الأولى. هو إقليم جبلّي تسكنه أغلبية كوردية، ولكنه متعدد القوميات والأديان، وهو ما يميزه عن باقي مناطق العراق.

تمتاز كوردستان العراق بأهمية موقعها الجغرافي، تحتضن جبالها سهولاً خصبة وترويها أنهار عديدة أهمها دجلة والفرات، وتكثر فيها العيون والأنهار الصغيرة والجداول.

من الناحية القانونية والإدارية، تم انتخاب برلمان كوردستان العراق بمشاركة مختلف المكونات القومية والدينية (كورد، تركمان، عرب، أرمن، أشور، كلدان، الايزيدية، الكاكايين، المسيحية والإسلام)

أ – تعداد الكورد في العراق

يقدّر قاموس أثر المعارف الإسلامية **(جواد ع.، 1313)** حسب أحصاء سنة 1341_ 1342 هـ 1923 _1924 م، التعدد العام للأكراد في ولاية الموصل القديمة بـ 494.007 نسمة فقط. والحالة الاثنوجرافية لهؤلاء الكورد موضحة في التقرير الذي وضعته لجنة الاستفتاء الموفدة من قبل عصبة الأمم إلى ألعراق في سنة 1925 م في الخريطتين (رقم 6 _ 8) المرفقتين به، كما أن كيفية توزيع السكان الكورد في هذه الولاية التي هي عبارة عن الألوية الأربعة الشمالية الملحقة بالعراق حسب توقعات هذه اللجنة كما يلي:

في داخل لواء الموصل 83.000 نسمة.

في داخل لواء أربيل 170.650 نسمة.

في داخل لواء كركوك 47.500 نسمة.

في داخل لواء السليمانية 189.900 نسمة.

فيكون المجموع 496.050 كورد‌ياً «تقرير اللجنة (95–93)»

وقد قدر الموظف الرسمي البريطاني سيرجون إدموندس، وهو أحد الخبراء البارزين في المسألة الكوردية في خمسينيات القرن الماضي، عدد سكان الكورد في العراق على نحو دقيق ومفصل. وقدم تحليلاً حسب النواحي والأقضية والألوية للبلاد برمتها على أساس التعداد العام للسكان في عام 1947، وقد بين أن عدد الكورد في العراق يمكن تقديره بدقة، بمليون ومئة ألف، وهم يشكلون من خمس إلى سدد عدد السكان الإجمالي في البلد.

وتضم كوردستان الجنوبية محافظات العراق الشمالية (السليمانية وكركوك وأربيل والموصل وجزء من محافظة ديالى يضم بدرة ومندلي).

وقد ورد في كتاب (مفصل جغرافية العراق) للفريق الأول طه الهاشمي (1888_ 1961) رئيس أركان الجيش العراقي ورئيس الوزراء العراقي الأسبق والأخ للزعيم السياسي ياسين الهاشمي « أن ولاية الموصل كانت تنقسم قبيل الحرب الكبرى إلى

ثلاث متصرفيات:

1. متصرفية الموصل.
2. متصرفية شهرزور مركزها كركوك، وأقضيتها ستة وهي كركوك وأربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري.
3. متصرفية السليمانية. **(الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936، 1960، صفحة 94)**.

أما جلال الطالباني فذكر نقلاً عن فائق السامرائي بحثًا أيام التجائه إلى القاهرة في عهد عبد الكريم قاسم [1] أكد فيه حقيقة إن حدود كوردستان جنوبية هي جبل حمرين الواقع جنوب كركوك بعشرات الأميال. فقد كتب الأستاذ السامرائي عن حدود كوردستان يقول «أن كوردستان تعني بأوسع معانيها البلاد التي يسكنها الأكراد كمجموعة موحدة متجانسة من الناس. وتنقسم هذه البلاد ما بين العراق وتركيا وايران مع بعض الامتداد في الاتحاد السوفياتي وسوريا فمن الشمال تسير حدوده بصورة تقريبية خلال بريفان وارضروم وازربيجان أي بقوس تدخل ضمنه مرعش حتى حلب، ومن الجنوب الغربي تسير بمحاذاة سفوح التلال حتى نهر دجلة ثم بعد ذلك شرقي هذا النهر إلى الأسفل ومن بعد ذلك يعرج شمالًا مع خط جبل حمرين حتى مندلي على الحدود العراقية الإيرانية، ويبين الأستاذ السامرائي أيضًا أن التركمان والنسطوريين يعيشون أيضًا في كوردستان ويشير إلى وجود التركمان في كركوك وطوزو كفري وأربيل وتلعفر **(الطالباني، 2022، صفحة 35)**.

أما المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسيني: فيقول عن حدود كوردستان الجنوبية كما يلي «يقطن الأكراد مدنًا وقرى تبتدئ من الحدود الإيرانية العراقية على خط مستقيم يمتد

1 – عبد الكريم قاسم (1914–1963) رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع في العراق في 14 تموز 1958 ولغاية 9 شباط/فبراير 1963 حيث أصبح أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي. كان عضوا في تنظيم الضباط الأحرار. ساهم في التخطيط لحركة 14تموز التي نفذها زميله عبد السلام محمد عارف والتي أنهت الحكم الملكي. وهو –قاسم– عسكري عراقي عرف بوطنيته وحبه للطبقات الفقيرة التي كانت ينتمي لها. شارك في حرب فلسطين واستمر حكمه لمدة (4) سنوات و(6) أشهر و(15) يومًا. تم إعدامه من خلال محاكمة صورية يوم 9 شباطافبراير 1963. نزيه ومستقيم في حياته، ولم يشيد قاسم القصور له ولذويه. وكانت المحاكمات لمنافسة علنية وعبر التلفزيون العراقي، اتهم بعد فسح المجال للإسهام معه بالحكم والتفرد بالسلطة حيث كان يسميه المقربون (الزعيم الأوحد) **(جبران، 2008، الصفحات 363–362)**

من جبل حمرين حتى جبل سنجار حتى تتصل بالحدود العراقية السورية» **(الحسيني، 2013، صفحة 37)**.

وبعكس الافتقار إلى الثروة المعدنية، تمتلك كوردستان الجنوبية إحدى أغنى حقول النفط في العالم، ففي تخومها الجنوبية تشمل هذه الحقول مدينة كركوك وهناك حقول أخرى في الشمال عين زالة وبطمة وأبار عديدة في مناطق أخرى. ولكن حقول كركوك أغناها وهي المحافظة التي بناها الأكراد وكانت المنطقة موطن الكوتيين الذين سكنوها قبل نزوح العرب إلى جنوب العراق. وقد رسم المؤرخ الكوردي أمين زكي بك خريطة المناطق التي تسكنها أغلبية كوردية مطلقة نشرها في كتاب تاريخ الكورد وكوردستان.

ب – مساحة كوردستان العراق جغرافيًا

في العراق لا توجد اختلافات كبيرة بين تقديرات الكورد أنفسهم، وتقديرات الحكومة، لأن العراق بلد متعدد القوميات والأديان بالإضافة إلى القومية الرئيسية لسكانه هي القومية العربية. وتليها القومية الكوردية تمثل الاولى يمثل 80% من السكان، بينما تمثل الثانية حوالي 16% من السكان **(عيسى، 1991، صفحة 6)**.

وبحسب تعداد عام 1957 م كان التوزيع القومي لسكان العراق كالآتي:

النوع	1957	النسبة
العرب	5,040,000	80%
الكورد	1,060,000	17%
أخرون	337,000	3%

وفي عام 1965 م بلغ عدد سكان العراق حوالي 8,320,709 نسمة **(republic of iraq ministry of planning, 1965, p. 20)**

أما في إحصاءات عام 1980 فقد بلغ عدد العراق حوالي 12,330,000 نسمة وبلغ مجموع السكان الكورد منهم حوالي 2,091,000 نسمة وذلك حسب نظر الإحصاءات الرسمية العراقية، كما أن هذا التقدير يقترب من تقدير ماك لورين، الذي قدر عدد كورد العراق بحوالي 20% من سكان العراق، ليصبح عددهم بناء على ذلك في عام 1980 حوالي 2.466.000 نسمة.

وقديمًا جاء في كتاب شرفنامه الفارسي أن عدد الأكراد يبلغ سبعة ملايين منهم 500.000 في العراق.

أما الإحصاء الذي ورد في كتاب «المسألة الكوردية تجاه الترك» فيؤكد أن عدد الأكراد قبل الحرب العالمية العظمى (الأولى) قد بلغ أكثر من خمسة ملايين نسمة منهم 749,380 نسمة في العراق.

وجاء في كتاب كوردستان أمة مقسمة في الشرق الأوسط بقلم س.س جافان والذي راجعه وقدم له الأمير كميران عالي بدر خان أحد أمراء الأكراد، أن عدد الأكراد في العراق في إحصاء سنة 1957 1.500.000 نسمة وفي إحصاء آخر كانت قد نشرته مجلة Sovietskaia Einografia التي تصدر في موسكو بقلم س.ا. بروك، قدرت المجلة عدد الأكراد بخمسة ملايين نسمة حسب إحصاء 1952 منهم 900,000 نسمة في العراق (**Einografia, 1955**).

ثانيًا: الحركة الكوردية في كوردستان الجنوبية في القرن العشرين:

ساهمت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي كان يعيشها الكورد، في تحفيز وإثارة مشاعرهم القومية، وقد وصلت هذه المشاعر قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى حد مطالبتهم في النشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية بالاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، أو الحصول على نوع من الحكم الذاتي ولم تستطع الإجراءات التي تبنتها الحكومة العثمانية أن تقف في وجه التململ والعناد الكوردي المتزايد. حيث اندلع الصراع العنيف بين الحكومة العثمانية التي أرادت إحكام طوق العبودية، وشد قيود الاحتلال في أعناق وأيادي الشعب الكوردي بقوة الحديد والنار، وبين القوى الكوردية التي أرادت التحرر (**الطالباني، 2022، صفحة 73**). فكانت الشرارة الأولى للثورة الوطنية الكوردية في بداية القرن العشرين وكان الاضطهاد القومي سببًا أيضًا في إيقاظ الشعور القومي في نفوسهم. ويتحدث الطالباني نقلًا عن أرشاك سافرا ستيان في كتابه الأكراد وكوردستان عن ان الإصلاحات التي أراد السلطان إدخالها على الإدارة وفرض المركزية على مناطق كوردستان حددت مصالح الأمراء والمتنفذين الأكراد، كما يشير إلى رغبة الأكراد في عدم دفع الضرائب ورغبتهم في حكم مناطقهم حسب هواهم وإرادتهم (**الطالباني، 2022، صفحة 75**). على سبيل المثال، حاولت الحكومة العثمانية

في نهاية عام 1910 جمع الضرائب من عشيرة لجاف[1]، القبيلة الأقوى في جنوبي كوردستان، التي لم تدفعها منذ بدء حركة تركيا الفتاة. ودعي الزعيم البارز محمود باشا إلى الموصل، واحتجز هناك قرابة العام، ثم أطلق سراحه في النهاية، إلا أن المسألة لم تُسوّ على نحو مرضٍ، وفقًا للونكريك انه في أثناء فترة ولاية ناظم باشا على بغداد، انتقل محمود باشا إلى بغداد حيث استقبل بالحفاوة والتكريم **(لونكريك، 1953، صفحة 57)**.

وفي عام 1912 احتجز مصطفى باشا وهو زعيم كورو باجلان في منطقة خانقين في بغداد، وذلك إثر الارتياب في قبوله المساندة من البريطانيين بوصفه مشتبهًا به سياسيًا، ولم يكن محتملًا أن تتغاضى

روسيا، جارة تركيا، وعدوتها، عن تململ الكورد وزيادة اغترابهم، فإنه منذ مطلع القرن العشرين والروس يتابعون ويسعون منذ عدة أعوام إلى كسب الكورد إلى جانبهم مع درجات نجاح متباينة[2].

والجدير بالذكر أن الحركة الوطنية الكوردية في بداية القرن العشرين دخلت مرحلة جديدة هي مرحلة نشر الوعي التقدمي عن طريق الصحافة والتنظيمات السياسية والثقافية، وبرزت المحاولات لكسب ومساندة وجاف الروس. ففي ربيع 1914 أشيع أن قبائل هماند وجاف وذرة بي، على الرغم من حصولهم على الإصلاحات من الحكومة العثمانية فقد كانت مستعدة لطلب المساعدة من الروس. كذلك فإنه الروس قاموا بدور بارزٍ في ثورة عبد السلام شيخ قبيلة بارزان.

وفي هذا الخصوص يذكر الأمير الكوردي عبد الرزاق بدرخان (الذي أعدمه الجيش التركي في عام 1918) في مذكراته أنه أسس بالتعاون مع روسيا في مدينة (خوى) في أقصى شمال غربي إيران مدرسة ضمت ثلاثين طالبًا كورديًا، مشيرًا إلى أنه كان على اتصال عن طريق الرسائل مع شيخ بارزان» **(جليل، 2000، صفحة 24)**.

---

1 – عشيرة كوردية كثيرة العدد، وهي من أكبر القبائل الكوردية بكوردستان الجنوبية والشرقية وأكثرها بطونًا وفروعًا، ويظهر أنها لم تكن معروفة باسمها هذا خلال العهود التي سبقت ضم هذه البلاد إلى الدولة العثمانية (المصدر: كتاب ودراسات وثائقية في تاريخ الكورد الحديث وحضارتهم عماد عبد السلام رؤوف، ص 2.

2 – ووفقًا للونكريك أيضًا، دعا وجهاء الكورد إلى روسيا، حيث استقبلوا استقبالًا حسنًا انظر لونكريك، العراق، 1900–1950، ص 58.

1 - انتفاضة عبد السلام بارزان (1914-1909)

لعل أبرز زعيم كوردي كان على الحكومة العثمانية أن تتعامل معه أثناء هذه الفترة هو الشيخ عبد السلام الثاني زعيم قبيلة بارزان. كان صراع الشيخ عبد السلام مع حركة تركيا الفتاة تتويجًا للصراع بين شيوخ بارزان والسلطات العثمانية.

كذلك عدت حركة الشيخ عبد السلام البارزاني تحديًا كبيرًا لسلطة الاتحاديين في كوردستان، لأنها اتخذت الإسلام والجهاد وسيلة في مقارعة السلطة المركزية العثمانية، التي كانت لا تزال تستمد شرعيتها من الإسلام.

وكان لا بد أن تقاوم الحكومة بحزم محاولات شيوخ بارزان المتسمة بالتصميم على فرض هيمنتهم على منطقة بارزان- زيبار في وقت نجح فيه الترك عمومًا في قمع الإمارات الكوردية القوية **(جويدة، 2013، الصفحات 273-272)**

يرى الباحثون أسبابًا مختلفة للصراع بين الشيخ عبد السلام وبين الحكومة العثمانية «ويعزو الدملوجي الصراع إلى دسائس آغوات قبيلة زيبار، الأعداء التقليديين لشيوخ بارزان، بعد أن تكلف آغوات زيبار سلسلة هزائم ساحقة على أيدي البارزانين، التزام آغوات زيبار بتحريض الحكومة ضد خصومهم الأقوياء. (الدملوجي، 1952، صفحة 80). واستنادًا إلى الدملوجي فإنه بمساعدة الموظفين المحليين العثمانيين، استطاعوا في ختام المطاف تحريض الحكومة ضد شيوخ بارزان. كما أنه يذكر عاملين آخرين ساعدا في تصعيد الصراع، هما: كره التطرف الديني البارزاني ونمو النزعة القومية. ولا ريب أن هذه النزعة قد شددت موقف عبد السلام حيال حركة تركيا الفتاة وأقنعت نظام تركيا الفتاة باتخاذ إجراءات صارمة ضده **(جويدة، 2013، صفحة 274)**

ويرى جياووك بأن سبب صراع عبد السلام مع الحكومة كان محاولتها إجراء تعداد شامل للسكان والمواشي في منطقة بارزان لذلك عمل الشيخ وشعبه جاهدين في معارضة هذه الإجراءات، التي أدت في النهاية إلى صراع مسلح مع الحكومة **(جياووك، 1954، الصفحات 56-55)**.

ولا شك أن أيًا من كل هذه العوامل، ساعدت بلا شك في نشوب الأعمال العدائية بين الحكومة وبين الشيخ عبد السلام كذلك كان العداء المستحكم المزمن بين أغوات

زيبار وشيوخ بارزان حقيقة تاريخية استمرت حتى الوقت الحاضر في تسميم العلاقة بين الأسرتين **(البريفكاني، 1953، صفحة 7)**.

كانت الحصيلة المفجعة لهذا الصراع، مهما كانت أسبابه، التأثير في سير الأحداث في منطقة بارزان فترة أطول بعد توقف الترك عن السيطرة هناك.

حيث نزع البارزانيين إلى مزج دعوتهم الدينية الصوفية بأفكار التحرر القومي والاجتماعي. فتحولت بارزان في بداية القرن العشرين، في خضم هذه التفاعلات، إلى ثورة ناشطة للحركة الكوردية.

أ – النشاط العسكري والسياسي للشيخ عبد السلام البارزاني:

تسلم الشيخ عبد السلام بارزاني (1882–1914) المشيخة الصوفية النقشبندية في بارزان في عام 1903 بعد وفاة والده الشيخ محمد.

يرى باحثون مختصون في الشأن الكوردي أن الشيخ عبد السلام هو الباني الحقيقي لدور عشيرة بارزان على صعيد الزعامة السياسية ويشير هؤلاء عند حديثهم عن شخصية البارزاني إلى أنه تمتع بذكاء حاد وأفق سياسي واسع واهتمام لافت بنشر العلم وفتح المدراس **(اسماعيل، 1998، صفحة 15)**.

بدأ الشيخ عبد السلام نشاطه السياسي مدافعًا عن الحقوق الوطنية الكوردية في عام 1907 حين حضر مؤتمرًا لشيوخ الكورد ورؤسائهم بقيادة الشيخ محمد نور القادري في مدينة دهوك، وكان الشيخ وراء صياغة الوثيقة التاريخية التي صدرت عن ذلك المؤتمر.

كذلك يذكر كريم أحمد السكرتير العام للحزب الشيوعي الكوردستاني الذي كتب عن تلك الفترة فيشير إلى أن الشيخ عبد السلام أقام علاقة سياسية مع الفرع الكوردي لمنظمة تعالي وترقي وجمعية هيفي الكورديتين **(شورش، 2001، صفحة 38)**.

كذلك لم يقتصر في نشاطاته على قوة عشيرته المعروف بطاعتهم البالغة لشيوخهم واستعدادهم الدائم للعمل وتنفيذ الأوامر **(شورش، 2001، صفحة 38)**. بل الأرجح أنه بحث عن وسائل أخرى تمكنه من توسيع دائرة حركته لتشمل عشائر ومناطق كوردية أخرى وربما يرجع السبب لذلك بسبب اتساع الحملات التركية ضد الأكراد ومن جانب أخر وجدت السلطة العثمانية التي كانت تعمل على تطويع الأكراد في تحركات الشيخ

البارزاني إشارة إلى تصاعد دوره السياسي وتعاظم نفوذه بين العشائر من جهة، ومن جهة أخرى خروجه عن الطاعة العثمانية. لهذا سارعت إلى تبني الخيار العسكري والتي توجت بإرسال قوة عسكرية كبيرة بقيادة الفريق محمد فاضل الداغستاني لمهاجمة بارزان.

يعطي الأستاذ (بي ره ش) تفاصيل دقيقة عن العمليات العسكرية التي وقعت في منطقة بارزان في الفترة (1914–1908). فهناك عدة محطات مهمة في هذه المواجهات، منها معركة بيرس الأولى في خريف عام 1908. وقعت هذه المعركة بعد أن استدعى الفريق محمد باشا الداغستاني، الشيخ عبد السلام إلى الموصل للتحقيق معه فرفض هذا الأخير ذلك، فأعلنت الحكومة الحرب عليه متهمة إياه بشق عصا الطاعة، واتصاله بدولة أجنبية (قد تكون روسيا) للقيام بحركة انفصالية، حشد القائد التركي فاضل باشا فوجين من القوات النظامية والأسلحة الرشاشة والمدافع وساعدت الحكومة قوات المرتزقة من الزيباريين ريكان، ومامش، ومنكور، خوشناو، ونيروى، وهورماري كتروي، وبيرة سني، وهركي، وكان هناك نفير عام في كوردستان، بشن هجوم من عدة محاور ضد اتباع الشيخ عبد السلام **(علي، 2011، صفحة 257)**.

بعد مقاومة قام بها الشيخ واتباعه كبدت قوات فاضل باشا الكثير من الاضرار، اضطر الشيخ إلى الاختفاء في المناطق الجبلية الوعرة وطلب من قواته عدم المقاومة والعودة إلى بيوتهم، وتعد معركة (سه رى باز) في ربيع 1909 المحطة الأخيرة المهمة في الصراع، خرج الشيخ من مخبئه، وبدا يجمع أعوانه من جديد للتصدي للحكومة، وكان هذه المرة هناك خلاف بين العقيد صفوت – القائد العسكري، في الموصل الراغب يحل المسألة بطريقة سلمية– وبين الوالي فاضل باشا الداغستاني المصر على الحل العسكري وقعت القوات الحكومية هنا في فخ كبير حيث قتل الكثير من الجنود والضباط وغنم البارزانيون ثلاثة مدافع وكمية كبيرة من السلاح والعتاد. كان من نتائج هذه المعركة أن ذاع صيت الشيخ في الأجواء الرسمية والشعبية وأرادت الحكومة أن تعقد صلحًا معه، ويقال أيضًا أن الحكومة برأت ذمة الشيخ عبد السلام من التهم الموجه إليه من الأغوات. فعاد الشيخ عبد السلام إلى بارزان والإمارة البارزانية أكثر قوة وأعطى الشيخ عبد السلام وسام الدولة العثمانية من الدرجة الثالثة. **(علي، 2011، الصفحات 258–257)**

في عام 1914 أصبح سليمان نظيف واليًا على الموصل، وذلك بعد انقلاب الثالث للاتحاديين وسيطرتهم على الحكم من جديد في عام 1913، ويبدو أن الوالي الجديد، الذي كان من أعضاء حركة تركيا الفتاة المتحمسين، وكان مصممًا على القضاء على كل من عارض أفكار النظام الجديد وسياساته.

ولا شك أن وجود رجل مثل الشيخ لا مكان له في مخطط الأشياء الجديدة لذلك أراد القضاء على مشيخة بارزان وإمارتها، وطلب من الشيخ عبد السلام المثول أمامه في الموصل، وحيث رفض الشيخ طلبه، جهز جيشًا كبيرًا ضده، مع قوات المجنديين القبليين للقبض عليه وبعد مقاومة عنيفة في معركة «بله» أدرك الشيخ أن القوات الحكومية، والعشائر الموالية لها تحاصر قواته، فقرر الشيخ عبد السلام الانسحاب إلى المناطق الحدودية مع إيران، وبعد وصوله إلى إيران، سافر الشيخ عبد السلام إلى تفليس أذربيجان.

ويبدو أن هذا الانتقال إلى الجانب الإيراني من الحدود لم يأتي هربًا من العثمانيين فحسب، إنما مثل محاولة جديدة للشيخ لاستغلال وجوده في مناطق قريبة من الحدود الروسية للاتصال بالسلطات الروسية برفقة حليفه سمكو آغا. وبالفعل استطاع الشيخ مقابلة القيصر الروسي وبحث معه إمكانية دعم الأكراد في نضالهم القومي.

وربما كانت هذه الاتصالات في حقيقتها هي أولى المحاولات الجدية في تاريخ النضال القومي الكوردي لإخراج الحركة الكوردية من إطارها المحلي: إلى الدعم الدولي ورغم تجنب الروس تقديم دعم ملموس للشيخ وذلك بسبب تطلعها لإقامة حلف عسكري معها ضد دول الحلفاء.

إلا أن هذه الزيارة أثارت مخاوف الاتراك لذلك قررت التخلص من الشيخ وإنهاء إمارة بارزان ويذكر زبير بلال إسماعيل أن المخابرات التركية كانت ترصد حركات الشيخ عبد السلام، وعلمت برحلته إلى تفليس ومقابلته بعض المسؤولين الروس، لأن المنطقة التي استقر فيها الشيخ مع أنصاره، لم تكن بعيدة عن الحدود التركية **(اسماعيل، 1998، صفحة 62)**.

ب – القبض على الشيخ عبد السلام وإعدامه

في أوائل عام 1914، بينما كان الشيخ عبد السلام يسافر في جوار الحدود التركية–الروسية في طريقه لزيارة سمكوا آغا، تربعت به عصابة من رجال قبائل شكاك وأسرته وسلمته إلى والي «وان» على أمل أن تستلم الثمن الذي أعلنته السلطات العثمانية لرأسه. أنظر **(نيكتين، 1964، صفحة 154)**

جلب الشيخ إلى الموصل إذ حكمت عليه محكمة عرفية عسكرية بتوصية من الوالي سليمان نظيف بإعدامه، وجرى حكم الإعدام قبل إصدار موافقة السلطات على القرار. وقام سليمان نظيف بتبرير فوضى داخل الموصل واتهم اتباع الشيخ عبد السلام بكونهم وراء الأحداث، وذلك لتسويغ إعدامه له خلافًا للقانون.

يعد إعدام الشيخ عبد السلام دخلت الحركة القومية الكوردية في مرحلة بالغة التعقيد والحساسية، ويرجع ذلك التعقيد إلى غيوم حرب عالمية كانت تظهر في الأفق في ذلك العام والتي لم يمض وقت طويل حتى اندلعت في 28 تموز 1914 والتي كانت منطقة الشرق الأوسط وكوردستان إحدى أهم ساحاتها وأشدها سخونة.

ثالثًا: كوردستان الجنوبية خلال الحرب العالمية الأولى (1918–1914)

احتلت بريطانيا العراق وكوردستان بفضل موقعها الاستراتيجي، وثرواتها الطبيعية باهتمام متزايد من جانب الأطراف المتحاربة، حيث كانت بلاد ما بين النهرين منطقة مصالح هامة للبريطانيين، فمنذ عام 1913، صرح ونستون تشرشل، بمناسبة تشكيل لجنة ملكية للتدقيق في مصادر النفط قائلًا: (يجب أن نصبح مالكين أو على الأقل مسيطرين على ما نحتاجه من نفط» **(حكمت، 1958، صفحة 756)**.

ومن الواضح إن بريطانيا كان تسمى إلى السيطرة على ولاية الموصل بأي ثمن سوءًا من خلال إنشاء دولة كوردية مستقلة أو بضم ولاية الموصل مع بغداد والبصرة وإنشاء دولة ذات قوميتين تحت سيطرة عربية أو كوردية، المهم أن يكون النفط تحت السيطرة البريطانية ويبدو ذلك واضحًا أيضًا في مقولة كيرزون الشهيرة (أن حدود الهند تقع على الفرات) **(حسين، 1955، الصفحات 311–310)**

في الخامس من تشرين الثاني\ نوفمبر عام 1914 أعلنت بريطانيا الحرب على تركيا وفي اليوم الثالث نزلت القوات البريطانية بنجاح في الفاو بعد مقاومة تركية ضعيفة، ومنها تقدمت حيث احتلت البصرة في 22 نوفمبر عام 1914. **(Atiyyah, 1973, p. 124).**

بذل الكورد في بداية الحرب جهودًا هائلة إلى جانب الدولة العثمانية ضد القوات البريطانية في العراق، حيث قام فرسان كل القبائل الكوردية والعربية بمواجهة القوات البريطانية قبل وصولها إلى الكوفة، وتصدت القوات البريطانية في الشعيبة وكان يقود القوات الكوردية الشيخ محمود البرزنجي على رأس ألف فارس كوردي وقد قتل في معركة الشعيبة كثير من الكورد المشهورين منهم رشيد باشا من أهالي السليمانية والذي كان فيما سبق متصرفًا للواء المنتفك. وبعد أن سقطت بغداد وبدل الإنجليز بدأوا الزحف نحو الشمال في مارس 1917 م أرسل البريطانيون الميجور (سون) الخبير بالشؤون الكوردية إلى خانقين لإجراء اتصالات مع زعماء الكورد **(متولي، 2001، الصفحات 75-74).**

بدأت ملامح الضعف والانهيار تظهر على الدولة العثمانية، الأمر الذي أثار القلق والاضطراب في صفوف الأكراد، كذلك ساءت العلاقة بين الشيخ محمود والعثمانيين على أثر اتهام العسكريون العثمانيون زعماء العشائرية الكوردية بالسلب والنهب الأمر الذي دفعه إلى ترك ميدان القتال والانسحاب بقواته إلى حدود لواء السليمانية. ولقد أرتاب الأتراك في أمره ولكن ظروفهم العسكرية السيئة لم تساعدهم على فتح باب يؤدي إلى إثارة المشاكل لهم **(حلمي، 1975، صفحة 54).**

حاولت القيادة التركية التي تولت مهمة القتال في منطقة الشعيبة- جنوب غربي البصرة- أن تكسب المعركة القادمة في محاولة لاستعادة ولاية البصرة قبل أن تتمدد القوات البريطانية شمالًا وكانت حينها بقيادة سليمان بك الذي انتحر على أثر خسارته لمعركة الشعيبة. في هذه الأثناء وصلت قوة إنجليزية إلى كركوك فقرر الشيخ محمود أن يتصل بالإنكليز القادمين إليها

(ذو النون، 1978، صفحة 263). لمنح ولاية الموصل وفروعها السليمانية، أربيل، كركوك استقلالاً ذاتيًا **(تريب، 2006، الصفحات 72-71).**

فكتب الشيخ محمود بعد مداولات مع رجاله المقربين هذا الأمر وأرسل رسالة سرية إلى ارنولد ويلسون الذي أجاب الشيخ بأنه يرفع اصدار بيان في هذا الشأن (**philips, 1937, p. 155**).

ومع تقدم القوات البريطانية، بدأت بعض العشائر تغير موقعه تجاه العثمانيين وترسخ مفهوم أن يتحول رؤساء العشائر إلى الصف البريطاني. إلا أن تراجع هذا الأخير بعد معركة (سلمان بيك) ثلاثون كم جنوب بغداد، أدت إلى انقلاب العشائر ضده، وربما ذلك لم يكن بسبب كره الغازي الجديد بقدر ما كان خوفًا من بطش الظالم التركي وفي عام 1917 حصلت أحداث مهمة منها سقوط بغداد بيد القوات البريطانية في الحادي عشر من آذار\ مارس منهية بذلك أربعة قرون من الحكم العثماني وأصدر الجنرال البريطاني (مود) بيانًا إلى العراقيين يشرح فيه سياسة بريطاني في العراق مستقبلًا بالقول «إلى أهالي ولاية بغداد أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم كفاتحين، أو أعداء بل كمحررين.

يا أهالي بغداد... لقد أمرت أن أدعوكم بواسطة أعيانكم وأكابركم وممثليكم بأن تشاركوا في إدارة شؤونكم المدنية بالتعاون مع الممثلين السياسيين لبريطانيا العظمى المرافقين للجيش البريطاني، وذلك حتى تتحدوا مع أبناء جلدتكم في الشمال والمشرق والجنوب والغرب لتحقيق مصالح قومكم (**العطية، 1988**).

وهكذا سيطرت القوات البريطانية على العراق منفذة لاتفاقياتها السرية مع الحلفاء وخاصة اتفاقية سايكس–بيكو (1916) بين إنكلترا وفرنسا[1].

أما مدينة الموصل فقد استحوذت على حيز كبير من تفكير الحكومة البريطانية وذلك بسبب الآراء المتباينة حول مستقبل الموصل. ومنها بأن بريطانيا لا تريد أن تكون حدود مشتركة مع روسيا، وهذا تفكير بريطاني، أن تكون الموصل منطقة عازلة (buffer zone) تفصل روسيا عن بريطانيا وقد سعى إلى مثل هذا الاقتراح اللورد كتشنر والسير مارك سايكس (**British Foreign policy, 1919, p. 374**).

1 – كان الروس قد نشروا الوثيقة بعد الثورة البلشفية الروسية عام 1917 لإحراج بريطانيا أمام شركاؤها وكسب رد العرب.

إلا أن الرأي الجديد الذي تبنته بريطانيا بشأن مستقبل الموصل يقضي بسيطرة القوات البريطانية على المدنيهاكتوبر، وهو ما عبر عنه لويد جورج[1] الذي كان حريصًا على جعل الموصل ضمن منطقة النفوذ البريطاني وذلك بالدرجة الأولى لثروتها الكامنة ولا سيما النفط.

وهكذا خرجت الموصل من حصة فرنسا ودخلت تحت النفوذ البريطاني الأمر الذي غير اتفاقية سايكس بيكو **(رزوق، 2014، صفحة 60)**، وفي الثلاثين من تشرين الأول اكتوبر 1918 عقدت الهدنة مع تركيا منهية بذلك أربع سنوات من الحرب **(الموسوي، 2006، الصفحات 97-96)**.

وما يهمنا هنا أن البريطانيين وعلى الرغم من تجاهلهم لطموحات الشعب الكوردي المشروعة في اتفاقياتهم السرية في سنوات الحرب العالمية الأولى إلا أنهم أشاروا صراحة إلى مصطلح كوردستان وإطارها الجغرافي في المذكرة في ثلاث وعشرين صفحة من الحجم الكبير بتاريخ 21 تشرين الثانيانوفمبر 1918 حيث ورد نص صريح يبين أن كوردستان العراق تمتد إلى الشرق من نهر دجلة وإلى ما بعد جبل حمرين» **(Public record office, p. 54)**

1- ولد في مانشستر عام 1963 وتوفي عام 1945، وهو احد زعماء حزب الأحرار البريطاني، كان رئيسًا لوزراء بريطانيا أثناء النصف الأخير من الحرب العالمية الأولى، ذاع صيته بوصفه سياسيًا راديكاليًا انظر الموسوعة الحرة. **(Sykes, 1923, p. 249)**

باب العلوم الدينية:

1 – أصول التربية الوقائية في القرآن الكريم سورة الفلق نموذجاً

Principles of Preventive Education in the Holy Quran, Surat Al-Falaq as a Model

بقلم الطالب: حسين علي قدوره

طالب دكتوراه في كلية الإمام الأوزاعي/ قسم الدراسات الاسلامية

PhD student at Imam Al-Awzai College / Department of Islamic Studies

huseinqaddura@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024 /8/22 تاريخ القبول: 2024 /9/6

مستخلص البحث:

هدف البحث إلى معرفة مكانة سورة الفلق في القرآن الكريم والأحاديث النبوية. كما هدف إلى تحديد مفهوم التربية الوقائية وأسسها من خلال سورة الفلق. ومن ثمّ معرفة تطبيقات التربية الوقائية من خلال السورة.

توصّل الباحث إلى أن سورة الفلق لها مكانة عظيمة في التحصين. ويجب الالتزام بتطبيقات التربية الوقائية كما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لما فيه خير للجميع. على سبيل المثال خطورة الخروج ليلا والسفر منفردا، وضرورة التحصين

والتحذير من أضرار الحسد والحاسدين، والسحرة والمشعوذين لخطورتهم، والنهي عن إتيانهم. بالإضافة إلى ذلك اهتم القرآن الكريم بعلاج المشكلات التي يواجهها المجتمع وعدم وقوعها.

كلمات مفتاحية: سورة الفلق، التربية، الوقائية، التربية الوقائية

Abstract:

The research aimed to know the status of Surat Al-Falaq in the Holy Quran and the hadiths of the Prophet. It also aimed to define the concept of preventive education and its foundations through Surat Al-Falaq. Then, to know the applications of preventive education through the surah.

The researcher concluded that Surat Al-Falaq has a great status in fortification. It is necessary to adhere to the applications of preventive education as commanded by God Almighty and His Messenger, may God bless him and grant him peace, for the good of all. For example, the danger of going out at night and traveling alone, and the necessity of fortification and warning against the harms of envy and envious people, and sorcerers and charlatans because of their danger, and the prohibition of going to them.

In addition, the Holy Quran was interested in treating the problems facing society and preventing them from occurring.

Keywords: Surat Al-Falaq, education, prevention, preventive education

1. مقدمة:

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

خلق الله الانسان على الفطرة السليمة التي توجهه لعبادة الله الواحد من غير شريك له. ووهب له العقل لتحقيق هذه الغاية. وقد ميز الله الانسان بالعقل عن باقي المخلوقات حيث أعطاه الحرية لاختيار الطريق الذي يريد. إلا أن الكثير من الناس لم يحسنوا استخدام هذا العقل، فأرسل لهم الرسل والأنبياء لهدايتهم الى الطريق الصحيح وتحذيرهم من الطريق الخطأ. وآخر الأنبياء والمرسلين هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي

أيده الله بمعجزة القرآن الكريم الذي هو هداية للطريق الصحيح، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ .

اهتم كتاب الله سبحانه وتعالى بتوجيه الانسان الى الطريق الصحيح وتربيته على أحسن وجه. فالركيزة الأساسية لبناء المجتمعات في القرآن الكريم هي التربية التي توجه الانسان الى سلوك طريق الخير وعبادة الله الواحد، وتحذره من معصيته واجتناب سلوك طريق الشر. وقد برز في القرآن الكريم التربية بشقيها الوقائي والعلاجي. وأولى القرآن اهتماما واضحا بالشق الوقائي أكثر من الشق العلاجي لكي تعطي الفرد المسلم الطرق والأساليب التي تقيه الشر والخطر.

وقد رأى الباحث أن يكون بحثه حول التربية الوقائية من المصدر الأساسي للتشريع في الإسلام وهو القرآن الكريم. تتعدد السور في القرآن الكريم التي تتناول موضوع التربية الوقائية. وقد تناولت بعض الدراسات العلمية سور القرآن الكريم عن التربية الوقائية مثل سورة الحجرات وسورة النور ودراسة واحدة عن سورة الفلق. وقد رأى الباحث أن يقتصر بحثه على سورة قصيرة وهي سورة الفلق. من أسباب ذلك، أن هذا البحث هو بحث تمهيدي في الكلية، يمكن فيه الوصول إلى الزبدة في هذا الموضوع وتحقيق أكبر فائدة متوخاة منه. ومن ثم يمكن إضافة علمية جديدة ضمن مجال البحث. وبالتالي يحقق الباحث ميوله الشخصية وينجز مقررًا علميا أكاديميا.

إن الموضوع الأساسي فيها هو عن التربية الوقائية، وكان لا بد من البحث فيها عن استنباط تعريف التربية الوقائية وأسسها وتطبيقاتها التي تضمنتها سورة الفلق، على أن يستفاد منها من على مستوى الفرد والمجتمع. وذلك للوقاية من الشر قبل وقوعه وسد كل المنافذ المؤدية اليه.

1.1 إشكالية البحث

لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من التوجيه نحو التربية الصحيحة للفرد والمجتمع. وذلك لما يواجهه الانسان من شرور في حياته منها ما يعلمه ومنها ما لا يعلمه. ومن هنا كان لا بد أن نتعرف الى كافة هذه الشرور وأن نتعرف الى كيفية مواجهتها. ومن السور التي تناولت هذا الأمر سورة الفلق القصيرة، حيث تناولت موضوع الشرور وموضوعا

من موضوعات التربية وهو التربية الوقائية. لأجل هذا، جاء البحث للتعرف على مكانة سورة الفلق في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وللتعرف على مفهوم التربية الوقائية من خلال هذه السورة الكريمة. بالإضافة الى معرفة أسس وتطبيقات التربية الوقائية من خلال هذه السورة. وفي النهاية يجب على هذا البحث الإجابة عن السؤال العام الآتي:

ما تطبيقات التربية الوقائية في سورة الفلق؟

وتتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

1) ما مكانة سورة الفلق في القرآن الكريم والأحاديث النبوية؟

2) ما مفهوم التربية الوقائية من خلال سورة الفلق في القرآن الكريم؟

3) ما أسس التربية الوقائية من خلال سورة الفلق في القرآن الكريم؟

4) ما تطبيقات التربية الوقائية من خلال سورة الفلق في القرآن الكريم؟

2.1 أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1) معرفة مكانة سورة الفلق في القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

2) تحديد مفهوم التربية الوقائية من خلال سورة الفلق في القرآن الكريم.

3) تحديد أسس التربية الوقائية من خلال سورة الفلق في القرآن الكريم.

4) معرفة تطبيقات التربية الوقائية من خلال سورة الفلق في القرآن الكريم.

3.1 أهمية البحث

1) الأهمية النظرية:

أ) تكمن أهمية البحث في أنه يبحث في أشرف الكتب وأقدسها وهو القرآن الكريم.

ب) يبرز البحث المنهج التربوي الاسلامي في التربية الوقائية للإنسان المسلم والتي هي سابقة للتربية العلاجية. وبالتالي تبرز حاجة المسلمين كافة الى الجانب الوقائي للتربية.

ج) زيادة الوعي والمعرفة بسورة الفلق والتربية الوقائية في القرآن الكريم.

د) إثراء المكتبة الإسلامية بهذه النوعية من البحوث.

2) الأهمية العملية:

أ) توفير جوانب تطبيقية للتربية الوقائية من خلال سورة الفلق على مستوى الفرد والمجتمع

ب) مواجهة الغزو الثقافي الغربي للمجتمع والفرد المسلم حيث يتم نبذ الضار منه، والاستفادة بحذر مما هو نافع.

4.1 حدود البحث

يقتصر هذا البحث على الحد الموضوعي في تعريف التربية الوقائية وتحديد أسسها وتطبيقاتها التربوية الوقائية من خلال سورة الفلق.

5.1 منهج البحث

يتبع الباحث في هذا البحث المنهج الاستنباطي التحليلي الذي هو « منهج أسلوبه الشرح والنظر والتفكر والتأمل والتحليل، وينتقل من الكل الى الجزء، أو من العام الى الخاص»[1] . يستنبط الباحث من القرآن الكريم من سورة الفلق مفهوم التربية الوقائية، أسسها وتطبيقاتها التربوية الوقائية.

ويسير الباحث وفقاً للخطوات الآتية:

1) قراءة سورة الفلق وتدبر آياتها.

2) العودة الى كتب التفاسير والأحاديث النبوية لتفسير آيات سورة الفلق واستنباط النقاط موضوع البحث.

3) جمع ما كتب حول الموضوع من خلال العودة الى المراجع الشرعية والتربوية.

4) تحديد تطبيقات التربية الوقائية في سورة الفلق وتوظيفها بما هو خير للمجتمع.

1- المحمودي، محمد سرحان، **مناهج البحث العلمي**، صنعاء، دار الكتب، ط3، 2019م، 74.

6.1 الدراسات السابقة

1) زيود، حازم حسني، التربية الوقائية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس بفلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2009م.

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة الى إبراز مفهوم ومكانة وأساليب التربية الوقائية من خلال القرآن الكريم. كما هدفت الى التعرف إلى المسالك العامة للشريعة في التربية الوقائية، وإبراز عناية القرآن الكريم بالتربية الوقائية. بالإضافة الى إظهار ثمار وفوائد المنهج الوقائي في القرآن الكريم من خلال الأمثلة المطروحة، وتوضيح معالم المنهج الوقائي في القرآن الكريم.

منهج الدراسة: اتبع الباحث المنهج الاستنباطي في دراسته.

نتائج الدراسة: توصل الباحث الى الّتربية الوقائيّة لها مبان إيمانية، أخلاقيّة، اجتماعيّة، واقتصاديّة، وأن لها تعاليم خاصّة بصحة الفرد والمجتمع وبستر الأعراض. كما توصل الى أنّ الّتربية الوقائيّة هي منظومة متكاملة الأهداف والنتائج، تراعي واقع الفرد والمجتمع على حد سواء، وتسير في اّتزان يتوافق مع متطلبات الإنسانية جميعها. وقد خلصت الدراسة إلى أنّ القرآن الكريم، هو منهج وقائي قبل أن يكون منهجًا علاجيًا، من أخذ به وبتعاليمه، فقد حمى نفسه ومجتمعه من الأضرار والآفات الواقعة أو المتوّقعة.

2) العنزي، سليمان بن صفوق، التربية الوقائية في سورة النور وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1424هـ.

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة الى بيان سبب تسمية سورة النور وسبب نزول بعض آياتها، وتوضيح أهداف التربية الوقائية في سورة النور. كما هدفت الى التعرف على جوانب التربية الوقائية التي تضمنتها سورة النور، وتحديد مجالات تطبيقها من خلال الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام.

منهج الدراسة: اتبع الباحث المنهج الاستنباطي في دراسته.

نتائج الدراسة: توصلت الدراسة الى أن القرآن الكريم أساس نجاح التربية وذلك لعمق أثرة في النفوس، وانه لم يصح في فضل سورة النور شيء من الأحاديث. لكن سورة النور تدور حول التربية الوقائية وتهدف إلى معالجة الخطر قبل وقوعه من خلال سد المنافذ

المؤدية إليه. كما توصلت الدراسة الى أن الحدود في الإسلام تأتي في مرحلة متأخرة بعد منع الأسباب المؤدية إلى الفواحش والمنكرات. وأن في الزواج رعاية لصحة الإنسان ووقاية له من الإصابة بالأمراض الجنسية وأن اطلاع الصغير على بعض المشاهد له تأثير في حياته النفسية وقد يؤدي إلى أمراض عصبية.

مقترحات الدراسة: اقترحت الدراسة إثراء الدراسات الوقائية وتشجيعها، وضرورة احتواء منهج التفسير في المرحلة الثانوية على تفسير سورة النور. كما أوصت بالعناية بكتاب الله للناشئة، واختيار المعلمين الأكفاء لتدريسه وتعرية الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام حول هذا الدين الحنيف.

3) الفعر، خالد بن عوض، التربية الوقائية وأساليبها في سورة الحجرات وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1421هـ.

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة الى إبراز مفهوم ومكانة التربية الوقائية من خلال سورة الحجرات، واستنباط التدابير والأساليب التربوية الوقائية منها. كما هدفت الى بيان الاستفادة من المؤسسات التربوية المجتمعية في تعميق مدلول التربية الوقائية لدى الفرد والمجتمع.

منهج الدراسة: اتبع الباحث المنهج الاستنباطي في دراسته.

نتائج الدراسة: بينت الدراسة أن من يقدم رأيه أو رأي قبيلته أو قرابته على كتاب الله وسنة نبيه، لم يتق الله حق تقاته. وأن الربط بين السلوك الذي لا يستقيم مع شرع الله وبين أسلوب الترهيب، يتجلى ذلك في النهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله. كما بينت سورة الحجرات المكانة الرفيعة لرسول الله، وعناية القرآن الكريم بتوحيد مصدر التلقي والتثبت من خير الفاسق، سواء كان فردا أو جماعة أو هيئة أو وسيلة إعلامية. كما أوضحت أن الميزان الحقيقي الذي يوزن به الناس هو تقوى الله، وأن السخرية واللمز والنبز وسوء الظن والتجسس والغيبة. من الصفات المذمومة التي حذر ونهى الإسلام عنها. فالمساواة من المبادئ الإسلامية التي جاء بها الإسلام. وفي مسألة الجهاد قدمت سورة الحجرات جهاد المال على جهاد النفس. كما ابرزت رحمة رسول الله بأمته وشفقته عليهم، وعناية الإسلام بالصلح وتقديمه على غيره عند حل المشكلات المتعلقة بأحوال

الأفراد والأسر والمجتمعات.

مقترحات الدراسة: اقترح الباحث في دراسته على القائمين بالعملية التربوية وجوب تعميق مدلول تقوى الله مع ضرورة توحيد مصدر التلقي، وتعميق مدلول ومفهوم التثبت لدى الناشئة، وتعميق معنى الأخوة بين الأفراد في المجتمع المسلم، كما يجب على القائمين بالعملية التربوية القضاء على الصفات المذمومة، وتحقيق مبدأ المساواة بين أفراد المجتمع السلم، وضرورة غرس روح الجهاد في سبيل الله في نفوس الناشئة. كما اقترحت استنباط الأساليب التربوية من سور القرآن الكريم وتحديدها للاستفادة منها في توجيه أفراد المجتمع للسلم كافة. بالإضافة الى ممارسة التربية الوقائية لكي تكون واقعا عملية من خلال المحاضرات، وتفعيل وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق الأهداف المرجوة، وضرورة الاهتمام بالجانب الوقائي المواجهة الظواهر الاجتماعية الدخيلة، والتربية الوقائية من خلال الأحاديث النبوية، ومن خلال العمل الأمني، ومن خلال سير أعلام الأمة، والاهتمام باستنباط الأساليب التربوية القرآنية واستخدامها في العملية التربوية، وذلك لتناسبها مع الفطرة الإنسانية.

7.1 أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

استفاد الباحث من الدراسات السابقة في عدة أمور منها:

1) صياغة العنوان
2) تحديد أهداف البحث ومتغيراته
3) تحديد الإطار النظري للبحث من مختلف الدراسات.
4) اختيار منهج البحث الاستنباطي

2. سورة الفلق

1.2 تعريف سورة الفلق:

إن سورة الفلق المعجزة بلفظها ومعناها هي احدى سور القرآن الكريم. وهي السورة الثالثة عشرة بعد المئة حسب ترتيب القرآن الكريم. عدد آياتها خمس آيات، كلماتها ثلاثة

وعشرون[1] . سميت السورة بهذا الاسم لافتتاحها بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[2].

هذه السورة مكية على قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. وهي مدنية في رواية ابن عباس وقتادة وجماعة وهو الصحيح لأن سبب نزولها هو سحر اليهود للنبي. وهم إنما سحروا النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة كما جاء في الصحاح[3] .

2.2 سبب نزول سورة الفلق

سبب نزول سورة الفلق يعود إلى قصة سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل اليهودي لبيد بن الأعصم[4]. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سُحِرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا، وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي؟ أَتَانِي رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ؟ قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ[5] وَمُشَاقَةٍ[6] وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ[7]. قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ[8]. فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّيَاطِينِ[9]. فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتْ الْبِئْرُ»[10].

3.2 فضل سورة الفلق

سورة الفلق من أبلغ السور وأحبها إلى الله، فعن عقبة بن عامر قال: «قُلتُ يا رسولَ

1- جلغوم، عبد الله ابراهيم، **معجزة الترتيب القرآني: ترتيب سور القرآن الكريم وآياته**، دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،1429/ 2008، 217-215.

2 - الفلق، 1

3 - الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (1270/ 1854)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1426/2005، 10، 517.

4 - الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411/ 1991، 472-471/30.

5 - مُشط: آلة تسريح الشعر.

6 - مشاقة: ما يسقط من الشعر.

7 - وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ: هو الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذَّكَر.

8 - بِئْرِ ذَرْوَانَ: وهي بِئرٌ بالمدينةِ كانت في بُستانِ بني زريقٍ

9- كأن طلع هذه الشجرة مثل رؤوس الشياطين في قبحها

10 - البخاري، محمد بن إسماعيل (256/ 870)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كراتشي-باكستان، البشرى، د.ط، 1437/2016، كتاب بدء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده، 2/ 1514، رقم (3268)، عن عائشة أم المؤمنين.

اللهِ: أَقرئنِي مِن سورةِ يوسف أو سورةِ هود قَالَ: يا عقبةَ، اقرأ بِقُل أَعوذُ بِربِّ الفَلَقِ، فَإنكَ لَن تَقرأَ سورةً أحبُّ إلَى اللهِ عزَّ وَجَل وَأبلغُ عندَه مِنهَا، فَإن استَطَعتَ أَن لا تَفُوتَك، فَافعَلْ»[1].

ويروي عقبة بن عامر في فضل سورتي الفلق والناس عن رسول الله أنه قال: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟! ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»[2]. وقد أولاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عناية خاصة لأنه لم ير مثلهما في التحصين والوقاية. ففيهما بيّن الداء والدواء.

4.2 تفسير سورة الفلق

افتتحت السورة الكريمة بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾، حيث يأمر الله تعالى الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم والمسلمين بالاستعاذة بالله واللجوء إليه لأنه خالق كل شيء يفلق أي يشق ويفصل بعضه عن بعض. وقد قال البعض الفلق هو الصبح[3]. والاستعاذة هي اللجوء والاعتصام والتحصن بالله من شر جميع مخلوقاته. وقد ذكر الله شر المخلوقات لكي يبقى خيرها[4] وتتم الاستفادة منها. وفي الآية إشارة إلى أن القادر على إزالة ظلمة الليل بشروق الشمس قادر على إزالة ظلمة الشرور عن العباد.[5]

ثم بين الله تعالى أنواع شرور المخلوقات الأربعة وهي:

1) ﴿مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ﴾ شر المخلوقات التي لها شر عموما، حيث «الاستعاذة من كل شر في أي مخلوق به شر من حيوان، أو غيره، إنسياً أو جنيًا، أو هامة أو دابة، أو ريحاً، أو صاعقة، أي نوع من أنواع البلاء»[6]

1- النسائي، أحمد بن علي (303/ 915)، **السنن الكبرى**، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، القاهرة، دار التأصيل، ط1، 1433/2012، 7/196، رقم (7791)، عن عقبة بن عامر.

2- مسلم بن الحجاج (261/ 875)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1412/1991، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، 1/558، رقم (814)، عن عقبة بن عامر.

3 – القرطبي، محمد بن عبد الله (671/1272)، **تفسير القرطبي**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1424/ 2004، 10/ 174.

4- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ط34، 1425/ 2004، 6/ 4007.

5- الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411/1991، 30/ 473.

6- ابن قيّم الجوزية، شمس الدين محمد (751/ 1349)، الضوء المنير على التفسير، تحقيق علي الحمد الصالحي، الرياض، دار السلام، ط2، 1436/ 2015، 6/ 507.

2) ﴿مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي الليل إذا دخل في ظلامه لما فيه من مخاوف ومخاطر من سباع البهائم، وهوام الأرض، وأهل الشر والفسق والفساد.[1]

3) ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ أي الساحرات اللواتي ينفخن بريق فمهن في العقد المربوطة بالخيوط او المناديل وما شابه كتقليد من تقاليد السحر.[2]

4) ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أي الحاسد الذي يضر غيره بفعل أو قول، والحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره وان لم يصر له مثلها. والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وفي الأرض، فحسد ابليس آدم في السماء وحسد قابيل هابيل في الأرض. والحاسد ممقوت مبغوض مطرود ملعون.[3]

3. تعريف التربية الوقائية

1.3 التربية:

لغةً: ربَّى يُربِّي، رَبِّ، تَربيةً، فهو مُرَبٍّ، والمفعول مُرَبَّى:[4]

1 – ربَّى الأبُ ابنَه: هذّبه ونمّى قواه الجسميّة والعقليّة والخلقيّة كي تبلغ كمالها.

2 – مربّي الأجيال: المعلم.

3 – ربَّى الشَّخصُ المالَ: نمّاه.

اصطلاحًا: تعددت التعريفات الاصطلاحية للتربية نتيجة لطبيعة وظروف كل مجتمع، ونتيجة لطبيعة التربية والمنظور الذي يتم النظر من خلاله اليها. ومن هذه التعريفات ما يلي:

- «عملية اجتماعية وجدت مع وجود الإنسان، وهي عملية إنسانية موضوعها الإنسان، ومن ثم تشتق أهدافها وطرائقها من المجتمع الذي توجد فيه وتعبر عنه»[5]

1– الطبري، محمد بن جرير(310/ 923)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط4، 1426/2005، 12/ 750.

2– سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 6/ 4007.

3– القرطبي، محمد بن عبد الله (671/ 1272)، **تفسير القرطبي**، 10/177.

4–عمر، أحمد مختار ورفاقه، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1429/ 2008، 1/ 852.

5– قزامل، سونيا، **المعجم العصري في التربية**، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2013، 42.

- « العملية الواعية المقصودة وغير المقصودة، لنمو، وتغير، وتكيف مستمر في الفرد من خلال زوايا المجتمع ومكوناته، وأبعاد حركته، على أساس من خبرات الماضي، وخصائص الحاضر، واحتمالات المستقبل، تعمل على تنمية كل جوانب شخصيته المتفردة، وتشكيله اجتماعيا في زمن معين ومكان معين، لإيجاد التفاعل والتوازن المستمر بين مكوناته الشخصية، ومكونات البيئة التي يعيشها، على نحو يمكنها من مواصلة حياة الجماعة وتطويرها، والقيام بالأدوار الاجتماعية متكاملة الوظائف والمسؤوليات»[1].

2.3 الوقاية:

لغةً: يدور معنى كلمة الوقاية حول عدة معاني منها: [2]

أ) –الصيانة والحماية: «وقى يقي، قِ/ قِه، وقيا ووقاية، فهو واق، والمفعول موقي. وقى الشخص من المكروه: صانه عنه وحماه»

ب) – التحذير والتجنب: « اتقى الشيء بكذا: حذره وتجنبه... ﴿**فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ**﴾[3]»

اصطلاحاً: يعرف المناوي رحمه الله الوقاية «الوقاية هي حفظ الشّيء عمّا يؤذيه ويضرّه»[4].

3.3 التربية الوقائية:

بعد عرض تعريف كل من المصطلحين التربية والوقاية، يمكن عرض بعض التعريفات التي تناولت مصطلح التربية الوقائية، ومنها:

- «هي نوع من التربية يتناول جوانب الوقاية من الأخطار في حياة المتعلمين في

1- محمد، أحمد علي، **في فلسفة التربية: نظريا وتطبيقيا**، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط2، 2003م، 23.

2- عمر، أحمد مختار ورفاقه، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1429/ 2008، 1/ 2486.

3- الطور، 27.

4- المناوي، عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، عالم الكتب، 1429/2008، 339.

مختلف مجالات الحياة.»[1]

- «هي الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام من اجل صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الحسية والمعنوية ليكون المجتمع طاهرا بعيدا عن كل مواطن الفساد والانحلال الخلقي.»[2]

- ويشير كل من عبده وفودة إلى أن التربية الوقائية «عبارة عن مجموع الإجراءات التي يمكن من خلالها تنظيم العلاقة بين الإنسان وبيئته، بهدف حمايته من الأخطار والأمراض والحوادث والعمل على تجنبها، والتي تؤثر عليه وعلى الآخرين من حوله، ومساعدته على اتخاذ القرارات الصحيحة التي تنظم هذه العلاقة»[3].

- إن التربية الوقائية هي: «فرط صيانة فطرة الإنسان وحمايتها من الانحراف، ومتابعة النفس الإنسانية بالتوجيهات الإسلامية الربانية، عن طريق أخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية، التي تمنع التردي في جانب العقائد والأخلاق وسائر الأعمال، ليظل الفرد على الصراط المستقيم مهتديا للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب حياته»[4].

- «مجموعة الوسائل والأساليب المتخذة لحماية الفرد والمجتمع عن المساوئ، وتحذيرهم من الوقوع في المهالك، من خلال عملية إصلاح، وتنمية، وتهذيب، وتوجيه شاملة»[5].

بناء على ما سبق يمكن للباحث تعريف التربية الوقائية بأنها: «نوع من أنواع التربية تشمل الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام لتنظيم العلاقة بين الإنسان وبيئته. وتشمل صيانة فطرة الانسان وحمايتها من الانحراف من خلال تحذيره من الوقوع في المهالك وتوجيهه بشكل شامل للسلوك الصحيح».

---

1 – الشربيني، فوزي عبد السلام، **دور مقررات كلية التربية في إكساب طلاب شعبة التعليم الابتدائي المفاهيم الخاصة بالكوارث الطبيعية والصناعية**، في مجلة كلية التربية بالمنصورة، 1995(28، 1977)، 320–294، 318.

2– محمد، أحمد ضياء الدين حسين، **أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي**، عمان–الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 1، 1426/ 2005، 28.

3– عبده، فايز وفودة، إبراهيم، **تقويم مناهج العلوم في المرحلة الابتدائية في ضوء متطلبات التربية الوقائية**، المؤتمر العلمي الأول للتربية العلمية، الجمعية المصرية للتربية العلمية، الإسكندرية، 1997، 1، 37.

4 – الحدري، خليل بن عبد الله، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، تحقيق جامعة أم القرى، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1418هـ، 47/48.

5 – زيود، حازم حسني، **التربية الوقائية في القرآن الكريم**، 2009م، 12.

4. أسس التربية الوقائية

حتى تترسخ التربية الوقائية وتنتشر بالشكل السليم والمتين وتحقق المرجو منها، ينبغي أن تبنى على أسس خمسة سليمة وصحيحة. وهذه الأسس هي العلم، الرحمة، البعد عن المصلحة الشخصية في بناء التربية الوقائية، الثقة بالمبدأ، القناعة بصلاح الشريعة ودين الله لكل زمان ومكان، وشخص وظرف، وموقف وتصرف.[1]

وفيما يلي شرح وتبيان لهذه الأسس الخمسة:

1.4 العلم: إن أول كلمة أنزلت من القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي ﴿إقرأ﴾[2] وهي للدلالة على أهمية طلب العلم. والأحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم في موضوع العلم كثيرة، منها:

- «مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ»[3]
- «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفقِّهْهُ في الدِّينِ...»[4]

ومن أبرز صفات أهل الجنة العلم. ومن أبرز صفات أهل النار الجهل. وصفة الجهل لم تتحقق عند أهل النار لأنهم لم يسمعوا ويبصروا ويعقلوا ما أنزل على خير البشرية، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[5]. ومن ثم وقعوا بالشر بجهلهم لأنهم لم يعرفوه.

فالعلم أساس مهم من أسس التربية الوقائية، ليحمي الشخص نفسه من الوقوع في الأخطاء، ويحمي غيره من الولوج في دائرة الجهل.

2.4 الرحمة: الرحمة هي صفةٌ من صفات الله سبحانه وتعالى، التي وصف بها

1- زيود، حازم حسني، **التربية الوقائية في القرآن الكريم**، 2009م، 43-30.

2- العلق، 1.

3- مسلم بن الحجاج (261/875)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، 1/ 2074، رقم (2699)، عن أبي هريرة.

4- البخاري، محمد بن إسماعيل (256/870)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كتاب الاعتصام، باب (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) وهم أهل العلم، 4/ 3237، رقم (7312)، عن معاوية بن أبي سفيان.

5- الأعراف، 179.

نفسه كثيراً في القرآن العظيم منها: ﴿ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[1] وأيضا ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[2]. وجعل الله هذه الصفة من صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال ﴿وَمَآ أَرسَلنَٰكَ إِلَّا رَحمَةً لِّلعَٰلَمِينَ﴾[3].

والرحمة صفة يجب أن يتصف به كل من يريد التغيير الى الأفضل ويعمل بالتربية الوقائية «تَرَى المُؤْمِنِينَ في تَرَاحُمِهِمْ وتَوَادِّهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى[4]». وتوعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من لا يرحم الناس فقال: «لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَن لا يَرْحَمُ النَّاسَ[5]»

وعليه، فإنّ: «الرّحمة تمثّل دعامة قويّة في بناء الفرد وإصلاح المجتمع؛ إذ تربّي الفرد على أعلى المستويات من الإنسانيّة، وتربّي المجتمع على عظم أهميّة التّراحم والحنوّ والرأفة. فالفرد من رحم المجتمع في قرار مكين، وله حق البنوّة ومقتضياتها، وللمجتمع على الفرد برّ الأبوّة وما يتطّلبه من خفض الجناح والإحسان، تلك هي الرّحمة كما أرادها الله تبارك وتعالى»[6].

فالعلاقة التكاملية القائمة على الرحمة بين الفرد والمجتمع، من المؤثرات في تكوين التربية الوقائية.

3.4 البعد عن المصلحة الشخصية في بناء التربية الوقائية: ان التحلي بالأساس السابق وهو الرحمة في التربية الوقائية لا يتحقق الا بالأساس الثالث وهو الابتعاد عن المصالح الشخصية والتحلي بقيمة التجرد. فالابتعاد عن المصلحة الشخصية يؤدي الى الموضوعية في الحكم على الأمور.

ولكن التحلي بهذه الصفة لا تتم بالسهولة الممكنة، إلا إذا ارتبط بمنهاج قويم بعيد عن

1- الفاتحة، 3.
2- الأنعام، 54.
3- الأنبياء، 107.
4- البخاري، محمد بن إسماعيل (256/ 870)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، 4/2682، رقم (6011)، عن النعمان بن بشير.
5- البخاري، محمد بن إسماعيل (256/ 870)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء)، 4/3266، رقم (7376)، عن جرير بن عبد الله.
6- العدل، مليحة مرعي، **واحة الخلق العظيم (الرحمة)**، الإسكندرية، دار الإيمان، د.ط، د.ت، 15.

التحيز والهوى ثابت على المبدأ يحث على مكارم الاخلاق والسلوك الحسن. وهذا لا يكون إلا بمنهاج الإسلام الرباني الذي هو «منهج بريء من التحيّز والهوى؛ لأنّ منزله هو الله تعالى، المنزّه عن ذلك، فهو لا تحكمه النّزعات والأهواء، ولا يتحيّز لجنس أو لون أو جيل، لأنّه تعالى ربّ الجميع، والكلّ عباده»[1]. فالمنهاج الإسلامي يحث على التجرد والابتعاد عن المصالح الشخصية والنهي عن التحلي بها ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [2]

وبالتالي الابتعاد عن المصالح الشخصية يؤدي الى تحقيق التربية الوقائية للفرد والمجتمع. وإن عدمها يؤدي إلى هدم المجتمع.

4.4 الثقة بالمبدأ: والمقصود بالثقة بالمبدأ أي أن يثق الفرد بأن منهج الإسلام وتشريعاته إنما هي لجلب المصالح ودرء المفاسد عن الفرد والمجتمع.

وحتى يتحقق هذا الأساس يجب أن يؤمن الشخص أولا إيمانا جازما بأن القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يقبل الشك به ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [3]. وثانيا، أن يؤمن بسلامة الطريق المسلوك في القرآن الكريم ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[4].

وعند تحقق هذين الأمرين تطمئن النفس وتنزع منها الرهبة، ويقبل الفرد على الدعوة الى الله وتربية الآخرين على آيات القرآن الكريم وتشريعاته.

فالثقة بالمبدأ أساس من أسس التربية الوقائية وبها تقوى العزيمة وتنجح الأمة وترتقي.

5.4 القناعة بصلاح الشريعة ودين الله لكل زمان ومكان، وشخص وظرف، وموقف وتصرف: المنهج القرآني هو المنهج الذي جربته الأُمّة من قبل، فأثبت نجاحه. والخطاب فيه خطاب عالمي لكل الناس من شتى الألوان والأجناس حتى قيام الساعة يقول تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[5]. ومن ميزة القرآن الكريم

1- يوسف، محمد السيد، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2004م، 379
2- الجاثية، 18
3 - الحجر، 9
4 - يوسف، 108.
5 - الأعراف، 158.

شموليته، ووفائه بكل حاجات البشر ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

فالمنهج القرآني ثابت ومرن، وطبيعة نصوصه مهيأة للعمل في كلّ زمان ومكان، فالإنسان مخاطب بهذا النهج أينما ومتى وجد. فلقد جاء موافقاً للمقومات البشرية المشتركة العامة، التي لا تزول ولا تتغير، ولكنها تنمو وتتشكل مع بقاء أصلها الثابت. قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2]. فالإسلام وضع الخطوط الثابتة والمبادئ العامة والقواعد الشاملة، وترك التطبيق في حدودها عند تطور الزمان وبروز الحاجات. ووضع التفصيلات الجزئية في المسائل التي لا تتغير حكمتها، والتي يريد الله تعالى تثبيتها في حياة البشر.

يقول سيد قطب في تفسيره: «إنّ هذا القرآن لم يأت لمواجهة موقف تاريخي في مكان معيّن، وإنما جاء منهجاً مطلقاً خارجاً عن قيود الزمان والمكان، منهجاً تتخذه الجماعة المسلمة حيثما كانت في مثل الموقف الذي نزل فيه القرآن.»[3]

5. تطبيقات التربية الوقائية في سورة الفلق

الأسرة: 1.5

1) تبدأ في اختيار الزوج لزوجته الصالحة وتربية أبناءهم تربية جيدة.

2) أن يكون رب الأسرة قدوة لأسرته يقوم بالواجبات، ويترك المحرمات، والتوبة من جميع السيئات. ويدعوهم للخير ويحذرهم من الشر قولا وعملا. وبالتالي لا يكون سببا في فشل التربية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[4]

3) تنمية الرقابة الذاتية لدى أفراد الأسرة عن طريق غرس مراقبة الله عز وجل سرا وعلانية.

---

1 – الأنعام، 38.
2– الروم، 30
3– سيد قطب، **في ظلال القرآن**، 2/1059.
4– الشورى، 30

4) توجيه رب الأسرة أسرته للتوكل على الله والأخذ بسورة الفلق للوقاية والحفظ من الشرور.

5) توجيه رب الأسرة أسرته لعدم الخروج في أول الليل لأن الشياطين تنتشر وتعرض بني آدم للخطر. فقد قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ فَخُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»[1]

6) اجتناب السحر فعلا أو تقربا او تشجيعا أو غيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ»[2] واجتناب العراف والمنجم وأمثالهم «مَن أتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عن شيءٍ، لَمْ تُقْبَلْ له صَلاةٌ أرْبَعِينَ لَيْلَةً[3]»

7) أكل سبع تمرات صباحا على الريق لكي لا يضره ذلك اليوم سم ولا سحر، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مَنِ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ، لَمْ يَضُرَّهُ ذلكَ اليومَ سَمٌّ، وَلَا سِحْرٌ»[4]

1- البخاري، محمد بن إسماعيل (256هـ/870م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء، 3/2541، رقم (5623)، عن جابر بن عبد الله.

2- البخاري، محمد بن إسماعيل (256هـ /870)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كتاب الوصايا، باب (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا، 2/ 1318، رقم (2766)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

3- مسلم بن الحجاج (261/ 875)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة واتيان الكهان، 4/1751، رقم (2230)، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

4- البخاري، محمد بن إسماعيل (256هـ/870م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، 4/2600، رقم (5779)، عن سعد بن أبي وقاص.

8) الإكثار من قراءة القرآن الكريم وجعله وردًا يوميا، لأن الشيطان يفر من البيت الذي يذكر فيه اسم الله.

9) حرص رب الأسرة على ستر محاسن من يخاف عليه العين والحسد من أسرته.

10) توجيه رب الأسرة الجميع أن يدعوا بالبركة مخافة العين بقوله ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[1]

11) الحفاظ على الوضوء طوال اليوم والنوم على وضوء، لأن الملائكة تحرس المسلم المتوضئ فلا يؤثر السحر فيه. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «طَهِّروا هذِهِ الأجسادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ فإنَّهُ ليسَ من عبدٌ يبيتُ طاهرًا إلَّا باتَ معَهُ في شعارِهِ ملَكٌ ولا ينقَلبُ ساعةً منَ اللَّيلِ إلَّا قالَ : اللَّهُمَّ اغفِر لعبدِكَ فإنَّهُ باتَ طاهرًا»[2]

12) المحافظة على الصلاة خاصة الجماعة وقيام الليل لأنها تجعل المسلم في مأمن من الشيطان.

13) التحصن بالأدعية والتعوذات والأذكار الشرعية من ذلك:

أ) قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة وعند النوم وفي الصباح والمساء.

ب) قراءة «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»[3] والمعوذتين ثلاث مرات في الصباح والمساء وعند النوم.

ج) قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة كل يوم.

د) قول بسمِ اللهِ الذي لا يضرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليم ثلاث مرات في الصباح والمساء.

هـ) المحافظة على أذكار الصباح والمساء، النوم والاستيقاظ منه، دخول المنزل والخروج منه، الركوب، دخول المسجد والخروج منه، أذكار أدبار الصلوات. وغير ذلك مما جاءت به السنة المطهرة. ولا شك أن المحافظة عليها من أقوى الأسباب التي تمنع

1- الكهف، 39.

2- الطبراني، سليمان بن أحمد (360/ 918)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله ومحسن الحسيني، القاهرة، دار الحرمين للطباعة والنشر، ط1، 1415/ 1995، باب الميم: من اسمه محمد، رقم 5087، 5/ 204، عن عبدالله بن عباس.

3- الإخلاص، 1

الإصابة بالسحر بإذن الله.

2.5 المجتمع:

تبدأ التربية الوقائية في المجتمع من خلال إقامة الحكم الإسلامي في المجتمع واستمرار الدّعوة الإسلاميّة فيه لقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾[1]. والتطبيقات التربوية تشمل كافّة المجتمع خاصّة المسجد والمدرسة ووسائل الإعلام لما لها من أهمية. وهي كما يلي:

1) **المسجد**

يلعب المسجد دورا مهما في التربية الوقائية من خلال ما يلي:

أ) إبراز آيات التربية الوقائية في الصلوات.

ب) على أئمة المساجد تنبيه المصلين لأهمية التربية الوقائية والأخذ بتدابيرها التي جاءت في القرآن الكريم خاصة في سورة الفلق، والسنة النبوية المطهرة.

ج) إيضاح الأضرار التي تنتج عن الإهمال في أخذ التدابير الوقائية في سورة الفلق.

د) عقد الدروس الدينية، المحاضرات، والندوات التربوية لبيان أنواع الشرور الأربعة في سورة الفلق وحكمها الشرعي وأضرارها في الدنيا والآخرة.

هـ) توزيع الكتيبات والمطويات لبيان أنواع الشرور الأربعة في سورة الفلق وأضرارها، وطرق الوقاية منها.

و) على خطباء المساجد تناول موضوع التربية الوقائية في خطبهم ليستفيد منها العامة.

2) **المدرسة:**

أ) بناء المناهج وتوظيفها بما يحقق أهداف التربية الوقائية.

ب) أن يكون المعلم قدوة حسنة لطلابه قولا وعملا.

ج) على المعلم إبراز تدابير التربية الوقائية في القرآن الكريم وسورة الفلق والسنة النبوية

1- آل عمران، 110

المطهرة، من خلال الدروس والأنشطة المدرسية.

د) الاستفادة من الأنشطة في إبراز الصفات المندوحة وتعزيزها والصفات المذمومة والتحذير منها لتعزيز التدابير الوقائية.

هـ) اشراك الطالب بإبداء رأيه حيال السلوكيات الجيدة والسيئة، وكيفية التعامل معها.

و) الاستنباط المستمر المزيد من تدابير التربية الوقائية القرآنية والنبوية.

3) **وسائل الإعلام:**

يلعب الاعلام دورا مهما في التربية الوقائية من خلال ما يلي:

أ) وضع استراتيجية إعلامية وتربوية شاملة لتحقيق أهداف التربية الوقائية، من خلال إشراك التربويين في إعداد البرامج التلفزيونية، وإشراك الإعلاميين في اعداد البرامج التربوية.

ب) تنظيم وتكثيف البرامج التليفزيونية حول التربية الوقائية. يشارك فيها مختصون تربويون وشرعيون وتناسب جميع الأعمار بأساليب مشوقة.

ج) عرض المفيد والنافع من البرامج الإعلامية، والامتناع عن تقديم ما يسيء للتربية أو يشكك في دورها وأهدافها بشكل مباشر أو غير مباشر.

د) زيادة المساحة الزمنية لإيضاح أفكار التربية الوقائية.

هـ) النقل الحي من خلال وسائل الإعلام المختلفة للأنشطة المختصة بالتربية الوقائية.

و) وسائل الاعلام مطالبة بالتثبت من الشائعات التي يتناقلها الناس وذلك اما بتأكيدها أو نفيها.

ز) إثراء الساحة الإعلامية بالقنوات التربوية المتخصصة.

6. خاتمة:

1.6 أهم النتائج

من خلال استقراء المباحث في هذا البحث، توصل الباحث إلى النتائج التالية:

1) مكانة سورة الفلق عظيمة في التحصين.
2) ضرورة الالتزام بتطبيقات التربية الوقائية كما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لما فيه خير للجميع.
3) خطورة الخروج ليلا والسفر منفردا.
4) التحصن والتحذير من أضرار الحسد والحاسدين، والسحرة والمشعوذين لخطورتهم، والنهي عن إتيانهم.
5) اهتمام القرآن الكريم بعلاج المشكلات التي يواجهها المجتمع وعدم وقوعها.

2.6 توصيات البحث

من خلال هذا البحث يمكن للباحث تقديم بعض التوصيات كما يلي:

1) الاستفادة من التطبيقات التربوية في المجتمع المسلم، وليس فقط التربية الوقائية.
2) ضرورة ممارسة التطبيقات التربوية الوقائية عمليا وليس نظريا.
3) ضرورة اختيار المعلمين القدوة والاكفاء في تعليم كتاب الله.
4) ضرورة أخذ الحيطة والحذر من خلال التحصن الدائم والمستمر بالله من كل الشرور.
5) تفعيل دور وسائل الإعلام في نشر مفهوم التربية الوقائية في المجتمع.
6) القيام بأبحاث علمية حول تطبيقات التربية الوقائية من باقي سور القرآن الكريم والسنة المطهرة.
7) القيام بأبحاث علمية حول تطبيقات التربية العلاجية في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

7. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1) ابن قيّم الجوزية، شمس الدين محمد (751/ 1349)، الضوء المنير على التفسير، تحقيق علي الحمد الصالحي، الرياض، دار السلام، ط2، 1436/2015، ٦.

2) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (1270 /1854)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، .1426/2005

3) البخاري، محمد بن إسماعيل (256/ 870)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري**، كراتشي–باكستان، البشرى، د.ط، 1437/2016، 4 أجزاء.

4) جلغوم، عبد الله ابراهيم، **معجزة الترتيب القرآني: ترتيب سور القرآن الكريم وآياته**، دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،1429/ 2008.

5) الحدري، خليل بن عبد الله، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، تحقيق جامعة أم القرى، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1418هـ

6) الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411/1991، ج 30.

7) زيود، حازم حسني، **التربية الوقائية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير في أصول الدين نوقشت وأجيزت بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس– فلسطين، 2009م.

8) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ط34، 1425/ 2004.

9) الشربيني، فوزي عبد السلام، **دور مقررات كلية التربية في إكساب طلاب شعبة التعليم الابتدائي المفاهيم الخاصة بالكوارث الطبيعية والصناعية**، في مجلة كلية التربية بالمنصورة، 1995(28، 1977)، 294–320

10) الطبراني، سليمان بن أحمد (360/918)، **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله ومحسن الحسيني، القاهرة، دار الحرمين للطباعة والنشر، ط1، 1415/ 1995، 10 أجزاء

11) الطبري، محمد بن جرير (310/923)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط4، 1426/ 2005، ج 12.

12) عبده، فايز وفودة، إبراهيم، **تقويم مناهج العلوم في المرحلة الابتدائية في ضوء متطلبات التربية الوقائية**، المؤتمر العلمي الأول للتربية العلمية، الجمعية المصرية للتربية العلمية، الإسكندرية، 1997، المجلد (1).

13) العدل، مليحة مرعي، **واحة الخلق العظيم (الرحمة)**، الإسكندرية، دار الإيمان، د.ط، د.ت.

14) العسكري، عبود عبد الله، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، دمشق، دار النمير، 2004م.

15) عمر، أحمد مختار ورفاقه، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1429/2008، المجلد الأول.

16) العنزي، سليمان بن صفوق، **التربية الوقائية في سورة النور وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1424هـ

17) الفعر، خالد بن عوض، **التربية الوقائية وأساليبها في سورة الحجرات وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ

18) القرطبي، محمد بن عبد الله (671/1272)، **تفسير القرطبي**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1424/2004، المجلد العاشر.

19) قزامل، سونيا، **المعجم العصري في التربية**، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2013.

20) مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 14.3/1983

21) محمد، أحمد ضياء الدين حسين، **أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي**، عمان– الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 1، 1426/ 2005.

22) محمد، أحمد علي، **في فلسفة التربية: نظريا وتطبيقيا**، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط2، 2003م.

23) المحمودي، محمد سرحان، **مناهج البحث العلمي**، صنعاء، دار الكتب، ط3، 2019م.

(42

25) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (261/ 875)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1412/

1991، 5 أجزاء.

26) المناوي، عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، عالم الكتب، 1429/ 2008، 339.

27) النسائي، أحمد بن علي (303/ 915)، **السنن الكبرى**، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، القاهرة، دار التأصيل، ط1، 1433/2012، 13 مجلد.

28) يوسف، محمد السيد، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، القاهرة– مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2004م.

2 – معالم من شخصيّة السيدة فاطمة الزهراء (ع) في القرآن الكريم

Features of Sayeda Fatima's personality, peace be upon her, in the Qur'an

بقلم الطالبة: نوال الحاج دياب

طالبة دكتوراه، الجامعة الإسلاميّة، خلدة، كليّة الدراسات الإسلاميّة

Nawaldiab7262@gmail.com

تاريخ الاستلام: 8/30 /2024 تاريخ القبول: 9/10 /2024

مستخلص البحث:

لأنها فاطمة ، بضعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وزوج علي الكرار عليه السلام ، وأم الأئمة الأطهارعليهم السلام. هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين والأنموذج الأكمل للمرأة المسلمة ، كان هذا البحث . ولأن القرآن الكريم كتاب الله وآيته التي نزلت على رسولنا الكريم ومعجزته التي تحدى بها الخلق إلى يوم القيامة ، وجدنا أن أفضل ما يكتب عن السيدة الزهراء هو ما وصفها الله تعالى به في محكم كتابه . بالرغم أنه لم يذكر اسمها فيه كما ذكر اسم مريم عليها السلام ، إلا أنه هناك من الآيات التي نزلت بحقها وحق أهل البيت عموما وآيات نزلت بحقها بشكل خاص ، والتي تتناول جوانب عدة من شخصيتها عليها السلام رأينا أن لا كلام يعلو على القرآن وأن يتناول بحثنا السيدة فاطمة في القرآن الكريم. وتكمن أهمية البحث في شخصية الزهراء

عليها السلام ما قاله الرسول الأكرم عنها « يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها» و « فاطمة حوراء أنسية» وغيرها من الأحاديث التي تصف مكانتها العظيمة والقدسية التي أحاطها الله بها .

فالفكرة الأساسية التي سننطلق منها هي تفسير موضوعي للآيات التي أجمع المفسرون من مختلف المذاهب أنها نزلت بحق أهل بيت النبوة والذي تعتبر السيدة فاطمة هي المحور الأساس له ، والآيات التي تتحدث عنها (سورة الكوثر) . وسنحاول العمل بذلك وفق منهجية هذا التفسير الذي كان رائدة السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره الشريف . والجوانب التي سيتم الإضاءة عليها هي :

1 – عصمتها وعبادتها وعلاقتها بربها (آية التطهير)

2 – مكانتها العاطفية بالنسبة للرسول الأكرم (آية المودة)

3 – مكانتها في الدعوة الإسلامية (آية المباهلة)

4 – تطبيقها لكل ما تؤمن به، أو علاقتها بمجتمعها (سورة الإنسان)

5 – أهميتها كون ذرية الرسول الأكرم أتت من نسلها (سورة الكوثر)

وبالطبع سيتم الاعتماد على التفاسير المعتبرة في مذهب الإمامية كتفسير الميزان للطبطبائي ومجمع البيان للطبرسي وعند العامة كتفسير المنار للشيخ محمد عبده وتفسير الجلالين لسيد قطب وتفسير إبن كثير ، وعملنا سيقتصر على ترتيب وتبويب هذه التفاسير لنخرج بصورة متكاملة عن شخصية تلك المرأة العظيمة التي جعلها الله منبع الإمامة ومحور بيت النبوة ومنهج الاستقامة والتي ستبقى منارة يهتدي بها ليس النساء فقط بل الرجال أيضا على مدى التاريخ .

كلمات مفتاحية: العبادة، العصمة، المكانة الاجتماعيّة، المكانة العلميّة

Abstract:

Because she is Fatima, daughter of Prophet Muhammad, Ali al-Karrar's wife, peace be upon him, and pure Imam's mother, peace be upon them. She is Sayedat Nisa' al-Alamin (mistress of the women of the first and last of the worlds) and the perfect model for Muslim women. Because the

Holy Qur'an God's book , the revelation revealed to our Holy Prophet and his miracle that challenged the creation until the doomsday , we found that the best thing to write about Sayeda Zahraa is what Allah described her in his book. Although her name was not mentioned in it as Mariam, peace be upon her, but there are some verses that were revealed against her and Ahl al-Bayt in general and verses that were revealed against her in particular, which deal with several aspects of her personality, we saw that no word is higher than the Qur'an and that our research deals with Sayeda Fatima in the Holy Qur'an. The importance of researching the personality of Zahraa, peace be upon her, lies in what the Prophet said about her, "God is pleased with her satisfaction and angry with her anger," and "Fatima is Hawraa Ensiya" and other hadiths that describe her great status and the sacredness that God has surrounded her with.

So the main idea from which we will start is an objective interpretation of the verses that the exegetes of different sects agree that they were revealed about the Ahl al-Bayt al-Nabuwwah, of which Sayeda Fatima is the central focus, and the verses that talk about her (Surah al-Kawthar). We will try to work according to the methodology of this interpretation, which was pioneered by Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr, may his soul rest in peace. The aspects that will be highlighted are:

1- Her infallibility, worship, and relationship with her God (purification verse)

2- Her emotional status in relation to the Holy Prophet (the verse of affection)

3- Her place in the Islamic call (the Mubahala verse)

4- Her application of everything she believes in, or her relationship with her community (Surat al-Insan)

5- Her importance as the offspring of the Holy Prophet came from her offspring (Surah Al-Kawthar)

Of course, reliance will be placed on interpretations that are considered in the Imamiyyah doctrine, such as Tafsir al-Mizan by Tabataba'i and

Majma'at al-Bayan by Tabarsi, and among the general public, such as Tafsir al-Manar by Sheikh Muhammad Abduh, Tafsir al-Jalalain by Sayyid Qutb, and Tafsir Ibn Kathir, and our work will be limited to arranging and categorizing these interpretations to produce an integrated picture of the personality of that great woman who God made the source of the Imamate and the center of the Prophet's house and the path of rectitude that will remain a guiding light for not only women but also men throughout the history.

Keywords: Worship, infallibility, social status, scientific status

1. مقدمة:

لأنها الحوراء الإنسية وروح نبينا محمد (ص) التي بين جنبيه وهي كل الحُسن الذي خلقه الله تعالى والتي يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. ولأنها صنو علي (ع) وزوجه وأم الأئمة عليهم السلام. لأنها كل ذلك وأكثر كان هذا البحث الذي يتناول جانبا من عظمتها وقدسيتها ومحوريتها في الإسلام. فالزهراء (ع) محور بيت النبوة وهي صلة الوصل بين النبوة والإمامة، وهي المرأة الوحيدة عبر التاريخ التي عصمها الله تعالى من الخطأ والزلل وفوق كل ذلك هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين . ولأن القرآن الكريم كتاب الله وآيته التي نزلت على رسولنا الكريم ومعجزته التي تحدى بها الخلق إلى يوم القيامة، وجدنا أن أفضل ما يكتب عن السيدة الزهراء هو ما وصفها الله تعالى به في محكم كتابه، بالرغم من أنه لم يذكر اسمها فيه صراحة كما ذكر اسم مريم عليها السلام، إلّا أنه هناك من الآيات التي نزلت بحقها وحق أهل البيت عموما وآيات نزلت بحقها بشكل خاص، والتي تتناول جوانب عدة من شخصيتها عليها السلام. وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يتناول أعظم امرأة عبر التاريخ، وهي المحور الذي تدور حوله النبوة والإمامة، إضافة إلى أنها القدوة والأسوة لجميع البشر وليس فقط للنساء، زمنها نستلهم الدروس والعبر . ويكفيها من العظمة أنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها .

إشكالية البحث

تنطلق إشكاليّة هذا البحث من أنّ السيدة الزهراء عليها السلام والتي هي تمثل الرابط بين النبوة والإمامة، وتحتلّ مرتبة عالية عند جميع المسلمين كونها بضعة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم كما عبر عن ذلك مرارا وانها أمّ أبيها إلى ما هنالك من أحاديث نبوية تدلنا على هذه المكانن السامية لها. لكن رغم ذلك نرى أنّه لم يذكر اسمها صريحا في القرآن الكريم، بل ذكرت ضمن سياق الآيات القرآنيّة الّتي نزلت بحقّ أهل بيت النبوّة عليهم السلام كما ورد في كتب علماء الشيعة ومفسري القرآن الكريم. فبعض المفسّرين يقول إنّ ليلة القدر هي السيدة فاطمة عليها السلام، وكذلك آية الله نور السماوات والأرض تفسّر على أن الزيتونة هي الزهراء وغيرها الكثير من الآيات والتي لا يسعنا في هذا البحث تناولها وشرحها وتبويبها وسنقتصر على الآيات القرآنيّة التي نزلت بحقّ أهل البيت عليهم السلام التي توافق المفسّرون على سبب وكيفية نزولها، من علماء الشيعة والعامّة كما سيرد في البحث، وبطبيعة الحال فإنّ السيدة الزهراء مشمولة بها كونها خامسة أهل الكساء. والسور القرآنيّة وبالتحديد سورة الكوثر. ثمّ سنعمد إلى طريقة التفسير الموضوعي للقرآن التي كان رائدها الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، لنخرج بخلاصة نلقي فيها الضوء على مختلف جوانب شخصيّة السيدة الزهراء عليها السلام والدروس العمليّة التي نستقيها منها في حياتنا لأنّها الزيتونة التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولا يزال نوره مشعًّا حتى يومنا هذا.

فرضية البحث

الفرضيّة التي سننطلق منها في هذا البحث أنّ هناك جوانب عديدة من شخصيّة الزهراء نستطيع أن نستشفّها من خلال آيات القرآن الكريم، وأهمّ هذه الجوانب التي سنعمل على الإضاءة عليها هي التالية:

1 – عصمتها وعبادتها وعلاقتها بربها (آية التطهير)

2 – مكانتها في الدعوة الإسلامية (آية المباهلة)

3 – مكانتها العاطفية وأهميتها في الإسلام (آية المودة)

4 – علاقتها بمجتمعها (سورة الإنسان)

5 – السّيدة الزّهراء وسورة الكوثر

2. عصمتها وعبادتها وعلاقتها بربها

تعتبر علاقة الإنسان بربه الأساس الذي تبنى عليه شخصيته وعلاقته بالمخلوقات الأخرى من بشر وطبيعة فكلما كانت هذه العلاقة متينة ومبنية على العقيدة الصلبة كلما انعكس ذلك على توازن وتكامل شخصيته ، وكان ذلك التناغم بين ما يؤمن به وما يطبقه في الحياة. والسيدة فاطمة الزهراء خير مصداق على ذلك حيث ذابت في الخالق وجسدت العبودية الحقة في أعلى مراتبها. وآية التطهير تدلنا على هذا الأمر، فيقول الباري عز وجل في محكم كتابه **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** (الأحزاب.33) وقد أجمع المفسرون أنها نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين. ففي تفسير ابن كثير يقول: قال الإمام أحمد : «حدّثنا عفان، حدثنا حمّاد، أخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: « إن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: إنما يريد الله ليذهب..... ورواه الترمذي وروي أيضًا عن أبي الحمراء . وورد أيضًا في تفسير الطبري بنفس المعنى على لسان أم سلمة زوجة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. والرجس في هذه الآية يعني العمل القبيح أو الدنيء كما ورد في معجم المعاني الجامع. ويعني وسوسة الشيطان ولا يعني الرجس الظاهري فقط، بل هو إشارة إلى الأرجاس الباطنية فإطلاق هذه الكلمة ينفي انحصارها وكونها محدودة بالشرك والكفر والأعمال المنافية للعفة وأمثال ذلك، فإنها تشمل كل الذنوب والمعاصي والمفاسد العقائدية والأخلاقية والعملية (الأمثل، ج 13 ص226). فيتبين لنا أن أهل البيت عليهم السلام لم يقوموا طوال حياتهم بعمل قبيح أبدا ، وأكثر من ذلك أن الله طهّرهم تطهيرًا وهناك دلالة أخرى لهذه الآية أن الإرادة الإلهية حتميّة الوقوع والتنفيذ وهي نوع من الإمداد الإلهي الذي يعين أهل البيت على العصمة والاستمرار فيها ، وهي في الوقت نفسه لا تنافي حريّة الإرادة والاختيار. والسيدة فاطمة عليها السلام محور بيت النبوة وثمرته كان لا بدّ أن تكون في أعلى مراتب العبادة والعلاقة الخالصة مع الله تعالى، فقد جسّدت مرتبة العبودية بكل وجودها وبأعلى الدرجات كما روى عن الحسن البصري أنه قال: «ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورم قدماها «. وعن رسول الله (ص) أنه قال: «.....متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما

يزهو نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله عز وجل لملائكته: « يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار» (المجلسي، ج 37). وعن الحسن المجتبى عليه السلام: « ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تتورم قدماها « (إبن شهر آشوب). وقال الديلمي وابن فهد: روي أنّ فاطمة عليها السلام كانت تنهج في صلاتها من خيفة **الله** تعالى (الديلمي).

ومن المظاهر البارزة في عبادتها عليها السلام كثرة الصلوات والأدعية والأذكار التي خصّها بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت تواظب على أدائها في محرابها رغم أنها كانت تباشر شؤون المنزل وتربية الأولاد بنفسها . وقد علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذكاراً تقولها عند النوم وفي دبر كل صلاة، وهي معروفة بتسبيح فاطمة عليها السلام ، وكان السبب في تشريعها على ما أخرجه الشيخ الصدوق وغيره عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجلٍ من بني سعد : «ألا أُحدّثك عنّي وعن فاطمة عليها السلام، أنّها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحيت فانصرفت، فعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنها عليها السلام قد جاءت لحاجة فغدا علينا ... فقال : يا فاطمة ، ما كانت حاجتك أمسِ عند محمد؟ ... فقلت: أنا والله أُخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وجرّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل. قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفلا أُعلّمكما ماهو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحا ثلاثا وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدة، فقالت فاطمة عليها السلام: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسو له (الصدوق 1، 211).

أمّا عن دعائها وتهجدها فهناك الكثير من الأدعية التي وردت عنها عليها السلام ، وكما هو معلوم أن الدعاء هو صلة بين العبد وربه ومناجاة واتصال فكيف إذا وردت هذه الأدعية عن المعصوم، لذا كانت الأدعية أحد مصادر المعرفة الدينية. والأدعية التي وردت عن سيدتنا فاطمة عليها السلام كان منها ما هو لطلب الحوائج وتعقيبات الصلاة ولدفع الشدائد ، وقد جمعت أدعيتها في الصحيفة الفاطمية ومن هذه الأدعية دعاؤها في طلب مكارم الأخلاق حيث تقول: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك علي الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي . اللهم اني أسألك كلمة الإخلاص ، وخشيتك في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر. وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلي لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مظلمة. اللهم زينا بزينة الايمان، واجعلنا هداة مهديين، يا رب العالمين» (الصحيفة الفاطمية).

وبالخلاصة نقول إن السيدة الزهراء عليها السلام كانت مثال الإنسان الكامل المعصوم المنقطع إلى الله تعالى في جميع حركاته وسكناته. وكيف لا تكون كذلك وهي بضعة خير البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وربيبته ورضعت حب الله والفناء به من خديجة عليها السلام وأكملت مسيرتها مع نفس الرسول علي عليه السلام. فهي قدوة في عبادتها ليس للنساء فقط بل للرجال وعلى مدى الأزمان.

3. مكانتها في الدعوة الإسلامية

لم تكن السيدة فاطمة تلك المرأة التي همّها بيتها وتربية أبنائها والاهتمام بزوجها فقط، بل كانت تحمل هم الدعوة الإسلامية كما يحملها الرسول (ص)، وكما حملها الإمام علي عليه السلام. فكانت فاطمة قطعة من الإسلام المجسّد في محمد كما يعبّر سماحة السيد موسى الصدر في مقدمة كتاب «فاطمة الزهراء وتر في غمد « للكاتب سليمان كتاني.

ولعلّ آية المباهلة ومناسبة نزولها خير دليل على مكانة فاطمة في الدعوة الإسلامية، حيث تعتبر دليل على عظمة أهل البيت وبالتالي على عظمة الزهراء، فقد انحصر مفهوم « نساءنا « بها. وتُعد آية المباهلة من أهم الآيات التي أثبتت حجية فاطمة (عليها السلام)، إذ هذه الآية كانت مقام الفصل بين حقانية الدين الاسلامي ونسخ غيره من الأديان (السند). فمباهلة النبي (صلى الله عليه وآله) بعلي وفاطمة والحسن

والحسين يعني احتجاجه على النصارى بهؤلاء الذين هم الحجة على صدق دعوة النبي وبعثته. كما انّ المباهلة تعني بحسب ماهيتها أن النبي (صلى الله عليه وآله) جعل هؤلاء المتباهل بهم شركاء في دعوته، مما يعني أن مسؤولية الدعوة تقع على عاتقهم كذلك بحجيتهم ومقامهم، مشيرة إلى وجود تعاضد وتقاسم بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله). واللافت هنا أن تعيين شخصيات المباهلة ليس حالة عفوية ومرتجلة، وإنما هو اختيار إلهي هادف وعميق الدلالة وقد أجاب صلى الله عليه وآله حينما سئل عن هذا الاختيار بقوله « لو علم الله أن في الأرض عبادا أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني أن أباهل بهم ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء فغلبت النصارى « (المباهلة ، 66).

فهذه مقامات يمكن متابعتها في اصطلاحات القرآن الكريم وهي تفسّر مقام الزهراء (عليها السلام) وأنها بنصّ القرآن حجة من حجج الله تعالى في مصاف الأنبياء والرسل، وهذا المكانة العظيمة التي أعطاها الله لفاطمة، لم تنلها امرأة على وجه الأرض من الأولين والآخرين. وقد روي عن أبي جعفر (عليه السلام) في حجية فاطمة (عليها السلام) قوله: «ولقد كانت فاطمة (عليها السلام) مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش، والأنبياء والملائكة (عوالم العلوم ، 190) .

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن الله تعالى قد نصّب فاطمة عليها السلام حجة على حقانية الإسلام ونبوة نبيه وشريعته، وهذا أمر غاية في الأهمية ودلالة على عظيم مقام هذه المرأة في تثبيت وإرساء دعائم الإسلام والإيمان بالله تعالى. وقد احتج بها ولم يحصر الحجية بالنبي فقط، بل جعل الخمسة كلهم حجة على دينه. واللافت في الأمر أيضا أن الله لم يأمر النبي بدعوة زوجاته أمهات المؤمنين ولا الصحابة ولا سائر بني هاشم للاحتجاج على أهل الأديان الآخرى. إنّ هذا الاقتران الدائم بين الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ينضوي على مضمون رسالي كبير يحمل دلالات فكرية وروحية سياسية مهمة فالمسالة ليست مسألة قرابة بل هو إشعار رباني بنوع وحقيقة الوجود والإمتداد في حركة الرسالة والذي يمثله أهل البيت بما حباهم الله من إمكانات تؤهلهم لذلك. والسيدة فاطمة عليها السلام لم يقتصر دورها في الدعوة الإسلامية في هذه الحادثة أي ألمباهلة، بل كانت تلك المرأة التي وفقت بين كونها أم

وربة منزل وزوجة صالحة من الطراز الأول وبين عملها في مساندة الرسول في الدعوة الإسلامية والعمل على تعليم النساء أصول دينهم وأحكامه الشرعية لما كانت تتمتع به من علم وفهم فعن أبي جعفر عليه السلام قال: « لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله تعالى إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة ثم قال: «إني فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث « ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث».(بحار الأنوار ،ج 43 ، ص 16) وفي بيان هذا الحديث معنى فطمتك بالعلم أي أرضعتك بالعلم حتى استغنيت وفطمت، أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم أو جعلت فطامك من اللبن مقرونا بالعلم كناية عن كونها في بدو فطرتها عالمة بالعلوم الربانية، وبالتالي فهي تفطم الناس من الجهل، وهذا ما كانت تقوم به الزهراء عليها السلام في نشر العلم والوعي بين نساء المسلمين. ولعل أكبر دليل على عمق علمها الخطبة الفدكية التي تناولت فيها كل علوم الدين من العقائد إلى الأحكام وغيرها، فتقول عليها السلام فيها:» وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريته، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنته». ثم تردف بعد ذلك في تبيان علل بعض العبادات فتقول:» فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام (وذلاً لأهل الكفر والنفاق)، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون،

وأطيعوا الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء»، هذا جزء يسير من علمها بالدين وأحكامه وتشريعاته يظهر جليا في هذه الخطبة الغرّاء.

4. مكانتها العاطفية وأهميتها في الإسلام

لماذا الحديث عن العاطفة وما هو دورها في حياتنا؟ ولماذا طلب الرسول الأجر أن يكون المودة في القربى؟

يتميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان بأنه الدين الذي يوازن بين جميع أبعاد الإنسان المادية والروحية والعقلية والعاطفية ، حيث أن لكل بعد من هذه الأبعاد دوره في بناء شخصية المسلم وتوازنه واستقامته. من هنا نجد أن هناك كما هائلا من العواطف التي وردت في القرآن الكريم والتي لها تأثير كبير على حياة الإنسان وعلاقته بخالقه أولا وبالناس ثانيا ، ففي علاقة الفرد بربه لا يكتفي القرآن بعملية معرفة الله عقليا بل يتخطاها إلى المحبة المتبادلة بين الإنسان والله وهذا أسمى من المعرفة **(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)** المائدة 54 **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)** آل عمران 31.

إن الإسلام لم يفصل بين العقل والعاطفة فالإنسان وحدة متكاملة متفاعلة مع بعضها البعض، فإن كان العقل هو المسؤول عن التحليل المنطقي ويحكم على القضايا وفق معايير وحسابات صحيحة فإن العاطفة مسؤولة عن الرقة والليونة والأحاسيس النبيلة. وكلا العقل والعاطفة لا غنى للإنسان وبنائه الروحي عنهما، والعقل عندما يبتعد عن العاطفة يصاب بحالة من الاضطراب وإذا استمر في الابتعاد فإنه يتصلب ويصاب بغلظة القلب **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم)** آل عمران 159. فالمكوّن العاطفي للإنسان جزء مهم جدا من شخصيته وله دلالات نفسية واجتماعية كثيرة، فالإنفعال العاطفي وذرف الدموع هو أقصى ما يعبر به في حالات الحزن والفرح وهو دليل على تجذر الفكر والإيمان ليس في العقل فقط بل في القلب أيضا **(الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)** الزمر 24-23 فهذه القشعريرة دليل على التأثر العاطفي بآيات القرآن، وبالتالي فإن هناك أثرا مهما للدين

في صياغة الجانب العاطفي للإنسان ، والذي له التأثير الكبير والمباشر على سلوكه (الحاج دياب).

إذن الأبعاد الثلاثة للإنسان (الفكري والعاطفي والسلوكي) لا بد أن تتكامل مع بعضها البعض ، وكل بعد يؤثر ويتأثر بالأبعاد الأخرى لتُنتج في النهاية إنسانا متوازن الشخصية متصالحا مع ذاته مطيعا لأوامر ربه.

والسؤال الثاني الذي نطرحه هنا، لماذا طلب الرسول أجره هو مودة القربى؟

يقول الله تعالى في محكم كتابه **(ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور)** الشورى 23 . فقد ورد في مستدرك الصحيحين وفي الدر المنثور للسيوطي وفي تفسير الطبري بالإضافة إلى علماء الشيعة كالطبرسي والطبطبائي وغيرهم أنها نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين .

فما معنى المودة؟ وما هو الفرق بين المودة والحب؟ يُعتبر الحب من الصفات النفسيّة العاطفيّة القلبيّة، وقد يظهره المحب للمحبوب وقد لا يظهره. بينما تُعتبر المودّة من الصفات العمليّة وهي أثرٌ سلوكيٌّ متفرّع من الحبّ، فمن أحبّ شخصاً ما سيظهر له المودة بالتأكيد، فالحبّ هو المؤثّر والسبب والمودة هي الأثر الناتج عن الحبّ وكلّ حبّ وراؤه مودة. ومن هنا لم يكتف الله تعالى أن يقول محبة القربى، فالحب القلبي لا معنى له إن لم يترجم بسلوك عملي ظاهر. فمودة أهل البيت تعني تقبل ولايتهم وقيادتهم لأنها استمرار لقيادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واستمرار للولاية الإلهية والتي ستكون سببا لسعادة البشرية نفسها وستعود نتائجها إليها. لأنها تؤثر في هدايته الناس وتكاملهم وسيرهم بالاتجاه الصحيح الذي يريده الله ورسوله. بمعنى آخر عندما تكون مودة أهل البيت جزاءً للرسالة النبوية فهذا يعني أن النبوة لا تكتمل من دون الولاية، وولاية أهل البيت تحتاج إلى الإيمان العقلي والقلبي بالدرجة الأولى ويجب أن تقترن بالمحبة والمودة ليترجم ذلك فيما بعد عملا وسلوكا متناغما مع ولاية أهل البيت.

بعد هذا العرض الذي مرّ معنا نأتي الآن إلى موضوع بحثنا وهو السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فما يصح على أهل البيت يصح عليها لأنها كما ذكرنا سابقا هي صلة

الوصل بين النبوة والإمامة فمودتها واجبة على كل مؤمن ومؤمنة. وإضافة إلى ما ذكر في القرآن الكريم بهذا الشأن، نرى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يترك فرصة إلا وعبّر عن حبه لابنته وبالطبع هو يريد بذلك أن يبين فضلها وقدسيتها ومكانتها عنده لتكون حجة على المسلمين من بعده، فقد ورد عن عائشة قالت: «ما رأيت من الناس أحدا أشبه كلاما وحديثا برسول الله من فاطمة كانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقبّل يديدها واجلسها في مجلسه .....» (بحار الأنوار، ج43، ص 25) وفي حديث آخر يبين مكانة فاطمة عند النبي « إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها « (مسند أحمد 4، 328) ويقول أيضًا «**هي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني.**» وهناك الكثير من الأحاديث التي تبين المكانة العاطفية التي تحتلها في قلب أبيها.

نستخلص مما مرّ معنا أن العقل والعاطفة يجب أن يمتزجا سوية عند كل إنسان مؤمن والعاطفة لا تعني الانفعال اللاواعي العرضي الذي لا يدوم طويلا بل هي اتجاه يتبناه الانسان بشكل ثابت هذا التبني مبني على العقل وتأتي العاطفة لاحقا لتجعله حيويا نابضا بالحياة مترجما سلوكا عمليا لهذا فإن الله تعالى يقول على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يريد أجر رسالته حب آل البيت لأنهم الامتداد لنبوته ورسالته، وبالتالي فإن السيدة فاطمة هي اكتمال النبوة وقرينة الولاية ومنبع الإمامة، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على عظمة وقدسية فاطمة عليها السلام.

5. علاقة الزهراء بمجتمعها

يتميز الدين الإسلامي عن غيره من ألشرائع والنظم الوضعية أنه نظام للأفراد وللمجتمع ككل. والهدف الأهم في تأسيس المجتمع هو عبادة الله تعالى بطريقة أفضل (**وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)** الممتحنة 4. فالقيم والنظم اتي يجب أن تحكم المجتمع هي القيم الإلهية لأنها تؤثر إيجابيا على كمال أفراده (اليزدي ج 3 ص 30) فالعلاقات داخل المجتمع تنجح إذا امتثل الناس لأوامر الله تعالى والتعامل فيما بينهم كما يرد في القرآن الكريم (**إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان**) النحل 90 .

فالعدل في المجتمع يعطي كل ذي حق حقه ويشعر أفراده بالأمن الاجتماعي أمّا الإحسان فهو أكثر من العدل هو أن يهب صاحب الحق حقه بطيبة خاطر من أجل مصلحة أخروية وهو ما يُشعر الأفراد بالألفة والمحبة فيما بينهم وبالتالي يوطد أواصر العلاقات المتينة في المجتمع الذي يؤدي إلى تكامله وتطوره (الجاج دياب، 91) .

ولعلّ أفضل وأكمل مصداق من مصاديق الإحسان المادي والمعنوي هو قصة الإمام علي عليه السلام وأهل بيته حين أعطوا كل ما يملكون من طعام لمسكين ويتيم وأسير وبقوا ثلاثة أيام صائمين لم يدخل جوفهم إلا الماء وقد نزلت بحقهم هذه الآيات **(يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتميما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا، إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)** (الإنسان 10–7). إنّ الدافع الوحيد والأساسي لعملهم هذا هو وجه الله تعالى والخوف منه لا ليكسبوا من وراء ذلك قيمة معنوية بشكر الناس لهم على هذا العمل، ولا ربحا ماديّا معينا وهذا يعتبر قمّة العطاء والبر وليس فوقه بر. فقد بدأت الآيات بـ **(ويخافون يوما كان شره مستطيرا)** وانتهت أيضا بقول **(إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)** وهذا يؤكد أن حسابات أهل بيت النبوة كانت أخروية وليست دنيوية. إنّ آية الإطعام تحدّثت حول من وصفتهم الآيات السابقة بـ (الأبرار)، وكان لهم خصالٌ نبيلة، منها: يوفون بالنَّذر على أفضلٍ وجهٍ وأحسنه، بل في أعسر حالٍ وأصعبه، إذ وصف تعالى ذلك في قوله: «**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**»، فذهب بعض المفسّرين أنّ الضمير في (حبّه) عائدٌ على الطعام ظاهراً، إشارةً إلى شدّة الحاجة إلى ذلك الطعام بعد صومٍ وجوع، واعتماداً على قوله تعالى: «**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**» (سورة آل عمران، 92) .وفي أمالي الصدوق قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ظلّ آية الإطعام متحدّثاً عن جدّه عليّ وجدّته فاطمة وأهل بيتها صلوات الله عليهم، و يقولون إذا أطعموهم: «**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً**»، والله ما قالوا هذا لهم، ولكنّهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر اللهُ بإضمارهم. يقولون: لا نريد جزاءً تكافئوننا به، ولا شكوراً تثنون علينا به، ولكنّا إنّما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه. وفي هذه القصّة والسورة أسرارٌ شريفة ...ثمّ ذكر ثمانية أسرار جاء فيها قوله: إنّه إذا كان القصدُ رضاء الله تعالى، هان كلُّ مبذول. وإنّ الله تعالى اطّلع على صفاءِ سرائر

أهل البيت في الإخلاص، فجاد عليهم بخلع أهل الاختصاص (أي الهدايا الخاصّة). وإنّه لم ينزل مدحٌ في سورةٍ من القرآن كما نزلت فيهم عليهم السلام على هذا الإيضاح والبيان. وإنّ من تمام الإخلاص في الصدقات، أن لايراد من الذي يتصدّق عليه جزاءٌ ولا شكورٌ بحالٍ من الحالات. وإنّ الإيثار وقع من كثيرٍ من القرابة...فلم ينزل من الثناءِ ما نزل على مولانا عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وكتب ابنُ شهر آشوب المازندرانيُّ السَّرَويّ في مؤلّفة (مناقب آل أبي طالب): إنّ عالماً سئل: إنّ الله تعالى قد أنزل (هل أتى) في أهل البيت، وليس من نعيم الجنّة إلاّ وذكر فيه، إلاّ الحور العين؟! فقال: وذلك إجلالاً لفاطمة عليها السلام. فأيُّ مقامٍ للصدّيقة الزهراء فاطمة صلواتُ الله عليها حتّى حفظ اللهُ تبارك وتعالى حرمتها في كتابه المجيد، وبين آياته النازلة في ذكر النعيم، والجزاء العظيم؟! وأيُّ شأنٍ لها عندالله جلّ وعلا حتّى أنزل فيها آياتٍ بيناتٍ مباركات، تتلى آناء الّيل والنهار، فتصدع بفضائلها وفضائل أهل بيتها الأبرار.

فسلامٌ على الصدّيقة الزهراء فاطمة إذ تجوع لتطعم الجياع، وسلامٌ عليها إذ لا تشبعُ ولا يشبعُ أهل بيتها لينعم الآخرون بطعامها المبارك، فيكون منها الإخلاص والإيثار، ويكون لها من الله تعالى حسنُ الذّكر في كتابه المجيد: «**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**» فى حديثٍ مفصّل عن التكريم، حتّى يقول تعالى لهم: «**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً**". من هنا يتبين لنا أن السيدة فاطمة عليها السلام لم تكتف بالعبادة والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء والتهجد آناء الليل وأطراف النهار والإنقطاع إلى الله فقط بل أرادت أن تعلمنا درسا يبقى مدى التاريخ هو أن الإيمان يجب أن يقترن بالعمل الصالح كما ورد في القرآن الكريم (**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) النساء 114.**

بالإضافة إلى ما ورد في الآيات السابقة فإن فاطمة عليها السلام عندما كانت تقوم بين يدي الله للصلاة والدعاء كانت تدعو لجيرانها ولا تدعو لنفسها فسألها الإمام الحسن عليه السلام عن ذلك فقالت :» يا بني الجار ثم الدار « فقد كانت عليها السلام تُؤثر جيرانها على نفسها حتى في مناجاتها لله تعالى . فلم تتعامل مع مجتمعها كما تتعامل بنات القادة مع عامة الشعب ، بل كانت مثالا للتواضع والتعاطف والإحسان إلى كل

من يعرفها ويتعامل معها، لقد أعطت فاطمة دروسا للرجال والنساء على مدى التاريخ وكانت الأنموذج الأكمل والأجمل لابنة خير نبي في علاقاتها كلها . إضافة إلى ذلك فقد كانت عليها السلام تبذل من العلم الديني لكل من يسألها وتبين أحكام الشريعة خاصة للنساء، ففي رواية عن الإمام العسكري (عليه السلام) انه قال: حضرت امرأة عند الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) فقالت: إنّ لي والدة ضعيفة وقد لُبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها الزهراء (عليها السلام) عن ذلك، فثنت فأجابتها، ثم ثلّثت إلى عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله، فقالت الزهراء(عليها السلام): هاتي وسلي عمّا بدا لك، أرأيتِ من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مئة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكلّ مسألة بأكثر مما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليَّ (بحار الأنوار، ج2،ص 3).

6. **الزهراء وسورة الكوثر**

يقول المفسرون في سبب نزول سورة الكوثر أن أحد أقطاب المشركين، وهو العاص بن وائل، التقى يوماً برسول الله (صلى الله عليه وآله) عند باب المسجد الحرام، فتحدّث مع النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك بمرأى من جماعة من صناديد قريش، وهم جلوس في المسجد الحرام، فما أن أتمَّ حديثه مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وفارقه، جاء إلى أولئك الجالسين، فقالوا له: من كنت تُحَدِّث ؟

قال: ذلك الأبتر، وكان مقصوده من هذا الكلام أن النبي (صلى الله عليه وآله) ليس له أولاد وعقب، إذن سينقطع نسلُه ، فكان هذا سبباً لنزول سورة الكوثر وهي(**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** (سورة الكوثر). رَدّاً على العاص الذي زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) أبتر. أما المعنى، فهو أن الله سوف يُعطيك نسلاً في غاية الكثرة ، لا ينقطع إلى يوم القيامة.

وقال فخر الدين الرازي في تفسيره: الكوثر أولاده (صلى الله عليه وآله)، لأن هذه السورة إنما نزلت رَدّاً على مَن عَابَهُ (صلى الله عليه وآله) بعدم وجود الأولاد. فنزلت الآية لكي تُقرِّر في الحقيقة أمرين:

الأول: أنَّ البنت هي كالإبن، من حيث اعتبارها من الذرِّية والنسل والعقب. فالله يريد أن يبين للناس أن الأنثى لا تقل مكانة عن الذكر وهما أمام الله سواسية (**يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير**) الحجرات13 .

الثاني: إنّ الله عَزَّ وجَلَّ سَيرزُقُ النبي (صلى الله عليه وآله) من هذه البنت نسلاً وذرية، وإن اسمه (صلَّى الله عليه وآله) سيبقى حياً ومتألقاً على مرِّ العصور، وعلى طول التاريخ. وذرية الرسول من فاطمة لم يكونوا امتدادا جسميا للرسول صلى الله عليه وآله فحسب، بل كانوا امتدادا رساليا صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظة عليه، وكان منهم أئمة الدين الاثنا عشر، أو الخلفاء الاثنا عشر بعد النبي كما أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحاديث المتواترة بين السنة والشيعة، وكان منهم أيضا الآلاف المؤلفة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين وقادة الأمة (الأمثل ج 20 ص 502). وبما أن علماء الأمة الإسلامية هُم حُمَاة الشريعة، والذين يدفعون عنها كل الشُبُهات فما كان عِلمهم إلاَّ من نتاج هذا الكوثر. وكون المذهب الشيعي منبثق من أهل البيت (عليهم السلام)، وهُم درٌّ مستخرج من بحر فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ولؤلؤ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، والعلماء يأخذون من فيض هذا البحر العميق بلا قاع.

فيمكن القول أيضاً: إن من مصاديق الكوثر هو ما يقدّمه العلماء الكرام من خدمات رسالية جليلة للإسلام، حيث إنهم يشرحون ويفسرون القرآن ويقدمون أحكام الإسلام بطريقة عملية وسهلة وبفضل جهودهم استمر الفكر الإسلامي في العطاء في شتى أنواع المعرفة .

إنّ استمرارية نسل الرسول الأكرم لا تقتصر فائدتها على وجود العلماء الأعلام وعلى نشرهم العلم فقط ، بل إنّ هناك فائدة مهمة للغاية وهي أن استمرار الذرية إلى قيام الساعة يعني بقاء الثقافة القائمة على أسس الإسلام ومبادئه . ومن المعلوم أن الثقافة تنتقل من جيل إلى آخر عبر تربية الأبناء ، فالأهل يربوا أولادهم على المبادئ التي يؤمنون بها وهكذا تنتقل هذه الثقافة وتتأصل وتستمر وتنتشر في المجتمعات كافة من هنا نعي قول الرسول الأكرم فعنه صلى الله عليه وآله وسلم" **:تناكحوا تناسلوا،**

أباهي بكم الأمم يوم القيامة « (مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج 41، ص 153). فمباهلة الرسول بأمته يوم القيامة ليس بسبب كثرة عددهم، بل لأنهم يحملون في عقولهم وقلوبهم مفاهيم الإسلام الحنيف ويطبقونها لأن الهدف من الذرية هو(**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**) الفرقان 74، والنبي إبراهيم عليه السلام يبين لماذا ترك هاجر والنبي إسماعيل في الصحراء **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**) إبراهيم 37 . إذن الهدف من الذرية هو بناء مجتمع إسلامي صالح وهنا تكمن العظمة في جعل ذرية النبي محمد من نسل فاطمة الزهراء .

7. العبر المستفادة

بعد أن استعرضنا فيما سبق تفسير الآيات القرآنية التي نزلت بحق أهل البيت بالعموم وحق السيدة فاطمة موضوع بحثنا، مع الإشارة أننا لم نورد كل الآيات واكتفينا فقط بتلك التي توافق علماء الشيعة والعامة على تفسيرها تتبيان سبب نزولها . لم ندخل في بعض الآراء المخالفة لأن معظم علماء العامة توافقوا مع تفسيرات علماء الشيعة وبالحقيقة فإن بحثنا لا يناقش وجهات النظر المختلفة بقدر ما هو لإلقاء الضوء على شخصية هذه المرأة العظيمة والمكانة التي منحها الله لها والتي وصلت إلى أن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها . إذن هناك خاصية اختص بها الله هذه السيدة لتكون سيدة نساء نساء العالمين، وفيما يلي سنعمد إلى استخلاص الملكات الروحية والنفسية والاجتماعية التي نالتها من خلال ما تقدم معنا من آيات مباركة . ويجدر الذكر هنا أننا لن نتحدّث عن ملكاتها الأخلاقية فيكفي أنها ربيبة بيت النبوة وهي بضعة الرسوا الأكرم . وما سنورده لاحقا لا يتعدى أن يكون الدروس التي نتعلمها من فاطمة لتكون منارة نهتدي بها في حياتنا العملية .

أ) الملكات الروحي

وقد تمثلت هذه الملكات من خلال آية التطهير، فإن كان الله تعالى قد أذهب عنها الرجس إن في الأفعال أو الأقوال وحتى الرجس في التفكير فقط وطهرها تطهيرا ، فلم تقم بأي عمل منافٍ لذلك طيلة حياتها ،إلا أنّ هناك مسألتين يجب أن نلتفت لهما:

1 – لو لم تكن السيدة الزهراء أهلا لهذا الأمر لما حباها الله به فهي تمتلك الأرضية الخصبة لاستقبال هكذا تكريم منه تعالى،ولها لياقة ذاتية موهوبة لها من قِبل الله تعالى لتستطيع أن تكون قدوة للناس كيف لا وهي ثمرة من ثمار الجنة ، وقد ورد في كتب السيرة أنّ عائشة سألت الرسول الأكرم : « لم تكثر من تقبيل فاطمة؟ فقال رسول الله (ص) : عندما أسرى بي في تلك الليلة أخذني جبرائيل إلى جوار تلك الشجرة وناولني ثمرة قطفت منها فتحولت تلك الثمرة إلى ماء في صلبي ومن ذلك الماء انعقدت نطفة الزهراء (ع) فكلما قبلتها شممت رائحة الجنة «.(الكاظمي)

2 – لئن كان فعل التطهير وإذهاب الرجس عن السيدة فاطمة هو فعل إلهي فإنّ ذلك لا ينفي إرادة الإختيار لديها . فمع امتلاكها الخيار في فعل ما تريد إلا أنّ عدم ارتكاب الخطأ ينبع من أعماق وجودها نتيجة المعلومات والإطلاع ، والمبادئ الفطرية والطبيعية ، من دون أن يكون في الأمر جبر وإكراه لها من الله . (الأمثل) . ومن هنا ندرك عظيم عبادة فاطمة وصلاتها وقيامها الليل حتى تتورم قدماها ، وندرك مدى ذوبانها في الذات الإلهية والإنقطاع عن أي مظهر من مظاهر حب الدنيا . فالزهراء تعلمنا درسا مهما أن بقدر ما تكون علاقتنا بالله متينة وقوية كلما انعكس ذلك رضا واطمئنانا وقناعة ، بغضّ النظر عن الظروف المادية التي نعيشها.

ب) الملكات النفسية

إذا أردنا أن نعدد الملكات النفسية التي كانت تتمتع بها السيدة فاطمة عليها السلام لاحتجنا إلى مجلدات لنشرح ونبين أهمية كل ملكة من ملكاتها عليها السلام . لكننا في هذه العجالة سنحاول أن نقف على أهمها في مختلف أدوارها .

1 – كابنة : كانت نعم البنت فقد ملأت فاطمة الزهراء بيت الأبوين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، بالبهجة و السرور ،فهي ملتقى الحب بينهما، و ثمرة العلاقة الودية في حياتهما، و فرع النبوة الشامخ ،و ظله المستطيل، و مستودع نور النبوة المتقلب في أصلاب الساجدين، فحق لهذا البيت أن يزهو بمناغاة فاطمة عليها السلام، ويمتلئ سرورا بابتسامتها المشرقة. و شاء الله تعالى أن تبدأ فاطمة الزهراء رضي الله عنها طفولتها الطاهرة في مرحلة من اشد مراحل الدعوة الإسلامية ضراوة و محنة، وقد حوصرت مع والديها في شعاب مكة، فتحمّلت

ما تحمله الكبار في هذا الحصار على صغر سنها . وقد كانت على صغر سنّها، نعم السند لأبيها في مكة، خاصة بعد وفاة خديجة، فعندما نالت قريش من رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنشر على رأسه التراب، فدخل رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة (عليها السلام) فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي، ورسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) يقول لها: (لا تبكي يا بنية، فإنّ اللّه مانع أباك) (سيرة ابن هشام، ج1 ص 416).

2 – كزوجة : كانت فاطمة تختلف عن باقي النساء، فالمرأة غالبا تهنأ بدفء الحياة الزوجية واستقرارها ، و قرب زوجها منها ، غير أن فاطمة رضي الله عنها التي أعدها النبي صلى الله عليه وسلم قدوة للمؤمنات كانت سعادتها منذ بدء زواجها بخروج زوجها عليه السلام مع أبيها محمد صلى الله عليه وسلم للغزو و الجهاد في سبيل الله، مع ما يستغرقه السفر من مشاق لطول المدة آنذاك ، حيث كانت بعض الغزوات و الحروب تمتد لسنوات و شهور ، و ما تشكله الحروب من خطر على نفسها و على زوجها و أبيها، إلا أنها كانت صابرة على غيبة زوجها مع أبيها. و لقد صبرت على الفقر مع زوجها، و كانت عليها السلام تلتزم بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جهاد المرأة حسن التبعل)، و لذلك يقول علي عليه السلام يصف حالها و هي تقوم بخدمة بيتها و تربية أبنائها : (إنها جرت بالرحى، حتى أثر في يدها و استقت بالقربة حتى أثر في نحرها ، و كنست البيت حتى أغبرت ثيابها و أوقدت النار حتى دكنت ثيابها، و أصابها من ذلك ضر..) . لقد كانت خير زوجة لخير إنسان، فقد آزرته ووقفت إلى جانبه في كل المحن التي تعرّض لها الإمام علي عليه السلام .

3– كأم : عندما أصبحت عليها السلام أمّاً، باتت مواقفها التربويّة محطّة نحاول أن نقرأها بعين علم التربية الحديث، لنستقي منها أساليب عمليّة كانت تقوم بها الزهراء عليها السلام في تربية أولادها. فقد كانت سلام الله عليها تمنح أولادها الحب والرعاية والاهتمام ، إضافة إلى معاملتهم بالعدل وعدم التمييز بينهم . وفي هذا المجال نستطيع أن نؤلف كتب في التربية الإسلامية التي كانت تطبقها فاطمة عليها السلام على عائلتها، ولكن سنكتفي بالكلام عن بعض الأساليب التي استخدمتها عليها السلام

والتي نطلق عليها بعض المصطلحات الحديثة للتربية، كالتربية «بالعادة»، والتربية «بالقدوة» والتربية «بالموعظة».

فقد كانت تعود أولادها على نمط و سلوك معيّن خاصة في المسائل العبادية ، فحين يراها أبناؤها وهي تقوم الليل وتصوم النهار فإنهم سيعتادون على هذا السلوك أيضا . وعندما أعطت للمسكين واليتيم والأسير قوتها فإن أولادها سيعتادون على البذل والعطاء. وعوّدتهم عليها السلام أن تصبر على غياب أبيهم لأجل الجهاد في سبيل الله دون تململ أو شكوى، فصبرت صبراً جميلاً، وتحمّلت الصعوبات الماديّة والضغوطات النفسيّة ممّن حولها تقرّباً إلى الله تعالى.

كانت السيّدة الزهراء عليها السلام نِعم القدوة لعامّة المسلمين إلى يوم القيامة، وكذلك حال أولادها الذين هم في دارها، فقد ربّتهم على الوقوف في وجه الظالمين، فكان أولادها في مواقفهم كالزهراء عليها السلام يتجرّعون كل الأذى في سبيل الدين. فكان لسان حال الإمام الحسين عليه السلام" **:إنْ كان دين محمد لم يستقِم إلّا بقتلي، فيا سيوف خذيني**» . ربّت السيّدة الزهراء عليها السلام أولادها بالموعظة الحسنة، ويروى عنها الكثير من الروايات والأحاديث التي تتحدّث فيها عن ثواب الأعمال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعندما ينظر إليها الحسن عليه السلام ويراها تتعبّد في محرابها حتى تتورّم قدماها وهي تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، يسألها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فتقول» **:يا بنيْ، الجار ثم الدار**».

هذه لمحة عامة عن ملكات الزهراء النفسية في مختلف مراحل عمرها الشريف، مع الإشارة إلى أننا لم نتطرّق إلى صفاتها الأخلاقية لعجزنا عن الإحاطة بأخلاقها، لأنها تعلّمت الأخلاق مِن مَن وصفه الله « **وإنك لعلى خلق عظيم** « (القلم، 4).

ج- ملكاتها الاجتماعية

كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) الى جانب القيام بمهام البيت ورعاية شؤون اسرتها تشارك في عملية نشر الرسالة الإسلامية، فتقوم بعملية نقل وتعليم ما تسمعه عن ابيها رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) الى المسلمين. فكانت المعلمة الأولى للمسلمات

اللواتي يقبلن على بيتها فاهمات متعلمات فتفيض عليهن بما وعته من علم وتثقفهن بثقافة العصر وتشجّعهن على طلب العلم والمعرفة، وهكذا كان بيتها المدرسة الأولى في الإسلام للمرأة، اذ تمكنت من قيادة المجتمع وبالأخص الشريحة النسوية من بيتها. وخير دليل على عمق دور التربية والتثقيف الذي كانت تمارسه الزهراء (عليها السلام) هو ما ورد في الروايات عن جاريتها فضة التي ما تكلمت الا بالقران لمدة تزيد عن عشرين عاما ولم تقتصر الزهراء (عليها السلام) على تثقيف الافراد بل انها انصرفت الى توعية الجماهير عندما تطلبت الرسالة المحمدية ذلك، والشاهد على ذلك خطبتها في مسجد رسول الله امام حشد من المهاجرين والانصار، وفيها دعوة الى مقاومة الظلم والاستبداد والتمسك بتعاليم الله وتعاليم رسوله، فكانت خطبتها سياسية اجتماعية وعقائدية، بمعنى اخر كانت خطبة شاملة عامة أحاطت بكل متطلبات الظروف التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية حينذاك. ومواقف قيادية أخرى للزهراء (عليها السلام) في محاولاتها لتثقيف الأمة ونشر الوعي بين افرادها، حين كانت تدور على بيوت المهاجرين والانصار في محاولة هز ضمائرهم ليتحركوا في الوقوف بجانب الحق ونصرة الدين.

وهكذا تجسّد الزهراء (سلام الله عليها) دور المرأة القيادية المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهية للناس اجمع، والمستعدة دائما لمواجهة كل الظروف وتحمل كل المسؤوليات التي يتطلبها المجتمع الإسلامي.

وقد اشتركت فاطمة في مقدمة النساء المسلمات في الحروب التي خاضها المسلمون دفاعا عن عقيدتهم وصيانة لكرامتهم وحريّتهم وقامت بدورها، الدور الذي كان ملقى على عاتق المرأة المجاهدة في ذلك العصر، من ضماد الجرح وغسل الثياب وتمريض الجرحى وتحضير كافة وسائل الحياة في الحرب (كتاني، ص 37)

8. خاتمة:

هكذا عاشت السيدة الزهراء فكانت مثال المرأة القادرة على أن توائم بين وظيفتها كزوجة وأم وابنة نبي الأمة وقائدها وبين أن تكون إمرأة فاعلة في مجتمعها يهمها ما يهم الناس ويسرّها ما يسرّهم . وكانت العون لكل من يحيط بها من جيران وغيرهم ، لقد جسّدت فاطمة الكمال الإنساني بكل أبعاده فاستحقّت عن جدارة لقب سيدة نساء العالمين . فالسلام عليك سيدتي يوم ولد ويوم استُشهدتِ ويوم تبعثين .

وأخيراً أسأل الله أن يكون هذا العمل المتواضع في عينه وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح .

9. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. دار إبن حزم .
- الحاج دياب، نوال. الذكاء العاطفي في القرآن الكريم. دار الولاء – بيروت.
- الشيرازي ، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ط 1 دار البعثة – بيروت.
- الصدر ، محمد باقر . المدرسة القرآنية . دار التعارف –بيروت .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي. أمالي الصدوق. المطبعة الحيدرية.
- الطبطبائي ، محمد حسين.الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي _ بيروت
- الكاظمي ، عقيل محمود. الدور الأسري للسيدة فاطمة . (من الإنترنت)
- المجلسي ، محمد باقر. بحار الأنوار ج 43 ط 1 دار الاتحاد الثقافي – بيروت.
- النوري ، ميرزا حسين . مستدرك الوسائل .مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث .
- اليزدي، محمد تقي مصباح . الأخلاق قي القرآن . دار التعارف – بيروت.
- شرف الدين ، عبد الحسين .المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة .(من الإنترنت)
- شعبة التبليغ في مركز الدراسات الفاطمية – البصرة . شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام .
- كتاني، سليمان. فاطمة وتر في غمد. مؤسسة الوفاء _ بيروت

باب اللغة العربية وآدابها:

1 – الفيروسات، أسبابها، أنواعها، تأثيراتها

Viruses: its Causes, Types, and its Impact

بقلم الطالب عــلاء علي عابدة

طالب دكتوراه في جامعة الجنان، قسم اللغة العربية وآدابها

Alaa Ali Abeda

PhD student at Al-Jinan University

Department of Arabic Language and Literaturealaaabda@gmail.com

إشـــراف الدكتور: علي زيتون

تاريخ الاستلام17/ 1 / 2024 تاريخ القبول: 21/1/ 2024

مستخلص البحث:

تعتبر الفيروسات ضارة لأجهزة الكمبيوتر وتهدف إلى تغيير خصائص الملفات وتنفيذ أوامر ضارة. يمكن اكتشاف الإصابة بالفيروسات من خلال وجود رسائل خطأ غريبة، بطء في الجهاز، وتوقف برامج مثل الانتي فيرس وتوجيه صفحات الإنترنت إلى

صفحات أخرى. تأثير الفيروسات على الجهاز يمكن أن يكون من بسيط إلى خطير وقد تصاب جميع أنواع الملفات. للتعامل مع الإصابة ينصح بفحص الجهاز باستخدام برنامج انتي فيرس قوي وإعادة تثبيت نسخة جديدة من نظام التشغيل. هناك ثلاثة أنواع رئيسية للفيروسات: الفيروس والدودة وحصان طروادة، وتختلف فيما بينها حسب طريقة انتشارها وأثرها.

كلمات مفتاحية: الفيروسات، أجهزة الكمبيوتر، برامج مكافحة الفيروسات، تأثير الفيروسات، أنواع الفيروسات

Abstract:

Viruses are harmful to computers and are intended to change the properties of files and execute malicious commands. Virus infection can be detected by having strange error messages, slowing down the device, stopping programs such as antivirus and directing Internet pages to other pages. The impact of viruses on the device can be from simple to serious and all types of files may be infected. To deal with the infection, it is recommended to check the device using a powerful anti-virus program and reinstall a new copy of the operating system. There are three main types of viruses: virus, worm and Trojan horse.

Keywords: Viruses, computers, anti-virus program, impact of viruses, types of viruses

1. مقدمة:

فيروس الحاسوب هو برنامج خارجي صنع عمداً بغرض تغيير خصائص الملفات التي يصيبها لتقوم بتنفيذ بعض الأوامر إما بالإزالة أو التعديل أو التخريب وما شابهها من عمليات. أي إن فيروسات الكومبيوتر هي برامج تتم كتابتها بغرض إلحاق الضرر بكومبيوتر آخر، أو السيطرة عليه، وتتم كتابتها بطريقة معينة.

تناولت في بحثي هذا مجموعة من المواضيع المقتضبة التي تخص الفيروس، وهي: أسباب الفيروسات؛ تأثيراتها؛ وأنواعها.

2. فيروسات الكمبيوتر

1.2 تعريفها العام

الفيروس هو عبارة عن برنامج صغير ، تتم برمجته بغرض الحاق الضرر بجهاز الكمبيوتر (عن طريق احداث اخطاء في جهازك ، او بطء الجهاز ، او تدمير الهاردوير الخاص بجهازك)، والانتقال من جهاز كمبيوتر إلى اخر، وايضاً يقوم بنسخ نفسه داخل جهازك، ويتداخل مع نظام التشغيل الخاص بالكمبيوتر، وهذه الفيروسات تتم برمجتها بواسطة مبرمجين محترفين لأسباب قد تكون متعلقة بإلحاق الخراب والضرر باجهزة الكمبيوتر او لانه يمتلك رغبة في ضرر الآخرين ، وقد تكون ايضاً لتحقيق مكاسب مالية.

2.2 كيف اعرف ان كان جهازي مصابا ام لا ؟

ان كان جهازك مصابا فسوف تلاحظ وجود اشياء غريبة تحدث في الجهاز ، كـ رسائل خطأ غير معروفة سوف تظهر ، وبرامج اخري لا تعمل بشكل صحيح واخرى لا تعمل على الاطلاق ، فعلي سبيل المثال قد يتوقف برنامج الانتي فيرس الموجود لديك عن العمل، لذلك فهذا معناه ان الفيروس قد قام بتعطيله ، ومع كل ذلك سوف تلاحظ بطئا شديدا في جهازك ، وايضاً عند تصفحك لشبكة الانترنت سوف تلاحظ ان الصفحات التي تختارها لا تعمل بشكل صحيح ، وقد يتم تحويلك الي صفحات اخرى ، وايضاً قد تلاحظ ان جهازك يقوم بارسال رسائل لقائمة الاصدقاء الخاصة بك دون علمك ، بشكل عام اذا لاحظت اشياء غريبة تحدث في جهازك وتدرك أنك فقدت السيطرة على جهازك فاعلم أن جهازك مصاب.

3. تأثير الفيروسات على جهاز الكمبيوتر

1.3 ما هو تأثير الفيروسات على جهاز الكمبيوتر الخاص بي ؟

بعض الاشخاص يتوقعون أن الفيروسات فقط يقتصر تأثيرها علي ملفات النظام و الـ Software فقط ، هذا غير صحيح ، فبعض الفيروسات تم برمجتها لتدمير الهاردوير

الخاص بك او مسحه، فيجب عليك ان تعلم بأن هناك فيروسات قد تدمر جهازك بأكمله! ، لكي اكون اكثر وضوحاً فجهاز الكمبيوتر بالكامل يتم التحكم فيه عن طريق مجموعة من البرامج ، ولو أن هذا الفيروس كان فقط للتحكم وتغيير الاعدادت في برنامج ما كالـ Bios فهذا يعني ان الـ motherboard سوف تنتهي ! .

لذلك فتأثير الفيروسات على جهاز الكمبيوتر قد يكون عاديا او غير عادي علي حسب نوعها ، فهناك فيروس يقوم بإزعاجك فقط ، وهناك اخرى تقوم بتدمير البرامج والملفات داخل جهازك فقط ، وهناك اخرى تقوم بتدمير اجزاء من الهاردوير ، وهناك اخرى تقوم بتدمير جهازك بالكامل .

2.3 ماذا يجب أن افعل إن كان جهازي مصاباً ؟

أول شيء يجب عليك القيام به ، هو أن تقوم بعمل فحص لجهازك بأكمله باستخدام برنامج انتي فيرس قوي وقد قمت بالكتابة عن افضل برامج الانتي فيرس في موضوع بعنوان افضل برامج الانتي فيرس المجانية ، اما ان كنت تريد استخدام برنامج انتي فيرس مدفوع ، فانا انصحك باستخدام برنامج Kaspersky ، او برنامج Bitdefender ، وبعد عملية الفحص فانا أُفضل ان تقوم باعادة تسطيب نسخة ويندوز حتى تتخلص من هذه الفيروسات واثارها بشكل كامل . (خطوات ازالة فيروس Autorun).

2.4. ما هي أنواع الملفات التي قد تكون مصابة ؟

دعونا نواجه الامر ، فالتحميل من شبكة الانترنت ليس بالامر السهل ! ، فأي ملف تقوم بتحميلة قد يحتوي علي فيروس ، لذلك فيجب عليك ان تقوم بالتحميل فقط من المواقع الموثوق فيها .

أما عن الملفات التي قد تصاب بالفيروسات فهي :

1 – الملفات بصيغة «exe» : بالتأكيد هذه النوعية من الملفات قد تكون مصابة ، لذلك فعند تحميل الملفات بصيغة «exe» ، يجب عليك ان تكون واثقا من المواقع الذي تقوم بتحميل الملف منها، وبشكل عام اذا اردت تجنب الفيروسات بشكل عام وملفات التجسس بشكل خاص ، فتجنب تماماً تحميل ملف بصيغة «exe» مساحتة اقل من 1 ميجا او على الاقل قم بفحصها كما ذكرت مسبقاً في موضوع بـ عنوان قل

وداعا للفيروسات مع افضل مواقع لعمل اسكان اون لاين .

2 – الملفات بصيغة «Zip» او «rar» : الملفات المضغوطة قد تحتوي على ملفات بصيغة «exe» ، التي قد تحتوي على فيروس ايضاً .

3 – الملفات بصيغة «Scr» : هي ملفات عبارة عن اسكرين سيفر وهي ايضاً غير آمنة ويجب عليك فحصها اولاً .

4 – الملفات بصيغة «Doc» : ملفات الورد ايضاً غير امنة فيجب عليك فحصها قبل الاستخدام ، فقد تحتوي ايضاً على فيروس .

4. أنواع الفيروسات ثلاثة:

الفيروس والدودة وحصان طروادة. ما الفرق بين الفيروس والدودة وحصان طروادة؟

يمكن القول بأنه برنامج تنفيذي يعمل بشكل منفصل ويهدف إلى إحداث خلل في نظام الحاسوب وتتراوح خطورته حسب مهمته فمنه الخطير ومنه الخفيف وكلاهما خبيث. وينتقل بواسطة نسخ الملفات من جهاز به ملفات مصابة إلى جهاز اخر عن طريق الاقراص المدمجة سي دي و ذواكر الفلاش.

•الدودة (worm): فيروس ينتشر فقط عبر الشبكات والانترنت ويعمل على الانتشار على الشبكات عن طريق دفتر عناوين البريد الالكتروني مثلا، فعند اصابة الجهاز يبحث البرنامج الخبيث عن عناوين الاشخاص المسجلين في دفتر العناوين على سبيل المثال ويرسل نفسه إلى كل شخص وهكذا ... مما يؤدي إلى انتشاره بسرعه عبر الشبكة وقد اختلف الخبراء فمنهم اعتبره فايروسا ومنهم من اعتبره برنامجا خبيثا، وذلك كون الدودة لا تنفذ اي عمل مؤذ انما تنتشر فقط مما يؤدي إلى اشغال موارد الشبكة بشكل كبير ومع التطور الحاصل في ميدان الحوسبة أصبح بامكان المبرمجين الخبيثين إضافة سطر برمجي لملف الدودة بحيث تؤدي عمل معين بعد انتشارها (مثلا بعد الانتشار إلى عدد 50000 جهاز يتم تخريب الأنظمة في هذه الأجهزة) أو اي شيء اخر (مثلا في يوم معين أو ساعة أو تاريخ ...الخ) وأصبحت الديدان من أشهر الفيروسات على الشبكة العالمية واشهر عملياتها التخريبية واخطرها تلك التي يكون هدفها حجب الخدمة وتسمى (هجمات حجب الخدمة) حيث تنتشر الدودة على عدد كبير من الأجهزة ثم

توجه طلبات وهمية لجاهز خادم معين (يكون المبرمج قد حدد الخادم المستهدف من خلال برمجته للدوده) فيغرق الخادم بكثرة الطلبات الوهميه ولا يستطيع معالجتها جميعا مما يسبب توقفه عن العمل وهذه الديدان استهدفت مواقع لكثير من الشركات العالمية اشهرها مايكروسوفت وغيرها الكثير.

•حصان طروادة Trojan Horse: سمي هذا الفيروس بحصان طروادة لأنه يذكر بالقصة الشهيرة لحصان طروادة حيث اختبأ الجنود اليونان داخله واستطاعوا اقتحام مدينة طروادة والتغلب على جيشها وهكذا تكون آلية عمل هذا الفيروس حيث يكون مرفقا مع أحد البرامج أي يكون جزءا من برنامج دون ان يعلم المستخدم. فعندما يبدأ البرنامج تنفيذ عمله ويصل إلى مرحلة ما حيث تم توزيع قرص مجاني على المشافي به برنامج حول مرض الايدز (اسبابه – طرق انتشاره – طرق العلاج... الخ) وبعد مدة شهر من تشغيل البرنامج تم تشفير المعلومات على الحواسب الحاضنة للفايروس وظهرت رسالة مفادها ان الحاسب مصاب بالايدز (المقصود هنا انه تم تشفير ملفات الحاسب وايقافها عن العمل بطريقه نظاميه) ارسل مبلغ كذا إلى الحساب كذا ليتم إرسال رقم فك الشيفرة مما اجبر المختصين على الرضوخ للطلب كونهم لم يستطيعو فك التشفير . توجد عدة تقسيمات للفيروسات، فمثلاً من حيث سرعة الانتشار هناك فيروسات سريعة الانتشار وفيروسات بطيئة الانتشار ومن حيث توقيت النشاط فيروسات تنشط في أوقات محددة وفيروسات دائمة النشاط ومن حيث مكان الإصابة فيروسات مقطع التشغيل boot sector على الأقراص وهي الأكثر شيوعاً، وفيروسات الماكرو macro التي تختص بإصابة الوثائق والبيانات الناتجة عن حزمة مايكروسوفت أوفيس، أما من حيث حجم الضرر فهناك الفيروسات المدمرة للأجهزة. طبعا لا يوجد فايروسات خارقه بحيث انها تدمر الأجهزة كما نسمع أحيانا (احترق المعالج بسبب الفايروس تعطلت وحدة التغذية بسبب الفايروس أو تلفت الشاشة بسبب الفايروس ،... الخ). ولكن يمكن للفايروس ان يؤذي الذاكرة روم في الحاسب كما في فايروس تشرنوبل أو ان يمحو معلومات ال MBR (Main Boot Sector) على القرص الصلب فتعود الاقراص الصلبة كما اتت من المصنع وفي الحالتين السابقتين لا يتم اقلاع الجهاز مما يوحي للبعض ان الفايروس (حرق) الحاسب. طبعا هذه الفيروسات تعتبر خطيره جدا لانها تتسبب في

اتلاف البيانات المخزنة، التي قد تكون (البيانات) نتاج عشرات السنين مما يؤدي إلى خسائر جسيمة أو إلى توقف الحاسبات عن العمل كما في تشرنوبل مما يؤدي إلى توقف الخدمات المقدمة، وهنالك أيضا الفيروسات المدمرة للبرامج وتاثيرها محدود طالما ان البيانات لم تتاثر حيث يمكن تخزين البيانات واعادة تهئية الحاسب واعادة البرامج المتضرره من اقراصها الاصلية، والفيروسات عديمة الضرر وهي التي لا تقوم باي عمل مؤذ وانما تم برمجتها لاثبات الذات والقدره على البرمجة من بعض المراهقين فمنها ما يرسم كرة أو اي شكل على الشاشة طوال فترة عمل الكمبيوتر ومنها ما يغير بعض الاحرف (كتغير حرف بحرف اينما وجد) أو تغيير مؤشر الماوس .. الخ.

فيروس Brontok أو الفيروس الذي يخفي خيارات المجلد او يفقدك التحكم في الرجستري فتصبح غير قادر على التحكم في الحاسوب: هذا الفيروس من أبرز مهامه أنه يقوم بإخفاء خيارات المجلد من قائمة أدوات الموجودة في نظام الويندوز وأيضا يقوم بتكرار جميع المجلدات التي يصيبها، حتى إنك لا تعرف الأصل من النسخة وقد تحذف الأصل ظنا منك أنه الفيروس ، وهو أيضا يقوم بفتح شاشة الإنترنت اكسبلورر ويقوم بفتح شاشة خضراء اللون بشكل مستمر مما يسبب بطئا في النظام ويؤدي إلى زيادة انتشار هذا الفيروس في الكمبيوتر.

فيروس xcopy يصيب الـ Partion القسم للقرص الصلب ويجعله لا يفتح مباشرة وذلك بزرع ملف auotorun، وحينما تحاول فتح القسم يعطيك قائمة فتح باستخدام ولا تستطيع الدخول إلى القسم الذي تريده إلا بطرق ملتوية مثل (استكشاف و تشغيل) للمحترفين فقط ويقوم أيضا بجعل الفلوبي دسك القرص المرن يصيح باستمرار مطالبا بإدخال قرص مرن للكمبيوتر تصنيف الفيروسات حسب خطورتها :

1 – العادي Trivial : لا يفعل الفيروس العادي شيئا سوى التكاثر replication ولا يسبب أي ضرر أو تخريب للمعلومات مثل فيروس>

2 –stupid– الثانوي Minor يصيب الملفات التنفيذية فقط executable file ولا يؤثر على البيانات

3– المعتدل Moderate : يقوم بتدمير جميع الملفات الموجودة على القرص إما

باستبدال المعلومات بمعلومات لا معنى لها أو عن طريق إعادة التهيئة Reformatting مثل فيروس Disk killer الذي يقوم بإعادة تهيئة القرص . ويمكن حل مشكلة هذه الفيروسات عن طريق استخدام النسخ الاحتياطي

4- الرئيسي Major : يؤدي الفيروس إلى تخريب المعلومات بإجراء تغيرات ذكية وبارعة للبيانات دون أن يترك أثرا يشير إلى التغيير الحاصل كأن يقوم بتبديل كتل المعلومات المتساوية في الطول بين الملفات كما أن تأثيره يكون على المدى الطويل ولن يكون من الممكن اكتشاف الإصابة إلا بعد بضعة أيام وبذلك لا يمكن الوثوق بالنسخة الاحتياطية أيضا .

5- اللامحدود Unlimited : يستهدف الشبكات والملفات المشتركة وتمضي أكثر الوقت في محاولة معرفة كلمة السر للمستخدمين الأكثر فاعلية وعند معرفتها يقوم بتمريرها إلى أحد أو أكثر من مستخدمي الشبكة على أمل أنهم سيستخدمونها لأغراض سيئة . ترينا الفيروسات كم نحن معرضون للهجوم ولكن بالمقابل ترينا مدى التعقيد والترابط الذي وصل إليه الإنسان . على سبيل المثال My doom : قدر الخبراء الحواسيب المتضررة من هذه الدودة بحوالي ربع مليون حاسوب خلال يوم واحد وكان ذلك في كانون الثاني 2004 Melissa: أعطى هذا الفيروس فاعلية كبيرة جدا حيث أجبر شركة Microsoft والعديد من الشركات الكبرى الأخرى على إطفاء مخدمات البريد بشكل كامل حتى تمكنوا من القضاء عليه وذلك في آذار 1999 وفي الشهر الأول من عام 2007 ظهرت دودة اسمها Storm وبحلول الشهر التاسع كان أكثر من 50 مليون حاسوب مصابا. كلنا تصور أن كل هذا التأثير ينتج عن برامج بسيطة جدا.

فيروس Melissa : أنشئ الفيروس على شكل مستند Word ووضع في موقع للأخبار. عندما يقوم أي شخص بتحميل الملف وفتحه فإن الفيروس يتفعل ويقوم بإرسال المستند إلى أول 50 شخص في الAddress book والمستند يحوي ملاحظة لطيفة واسم الشخص المرسل إليه وعندما يقوم المرسل إليه بفتح المستند يتم إرساله إلى 50 شخص آخر وبهذه الطريقة أصبح فيروس Melissa أسرع فيروس في الانتشار.

5. خاتمة:

انواع الفيروسات كثيرة جداً ، وليس هذا فقط بل ان اعداد الفيروسات تزداد يومياً، ولكن مع هذه الزيادة فالحماية منها سهلة للغاية ، فسوف تتعجب ان قلت لك اني احياناً لا اقوم باستخدام برنامج انتي فيرس ، وجهازي لم يصب منذُ سنوات ، فالامر كله يتعلق بما ذكر في هذا الموضوع ، فقط معرفتك ما هي الفيروسات والملفات التي قد تكون مصابة تجعلك تتجنبها وسأذكر المزيد في مواضيع قادمة ، واخيراً اتمنى ان يكون الموضوع مفيدا.

2 – إرادة الحياة لأبي القاسم الشّابي (دراسة في تحليل الخطاب)

La volonté de vivre par Abu al-Qasim al-Shabbi

(une étude en analyse du discours)

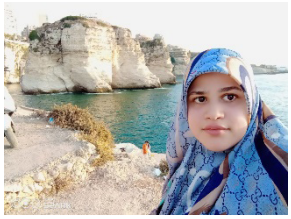

بقلم الدكتورة :آمنة إبراهيم شكر

طالبة دكتوراه في كلية الآداب والعلوم الانسانية/قسم اللغة العربية وآدابها/جامعة الجنان

Written by: Dr. Amina Ibrahim Shukr

PhD student in the Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic Language and Literature / Al-Jinan University

aminachoker71@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/1/21 تاريخ القبول: 2024/1/7

مستخلص البحث :

يسعى هذا البحث إلى دراسة قصيدة «إرادة الحياة» لأبي القاسم الشّابي تحليلًا وتفسيرًا وربطًا بالثّقافة المقاومة. وقد قام هذا البحث على ثلاثة أقسام رئيسة تمّ الوقوف فيها عند ثقافة الشّاعر ورؤيته إلى العالم، بعد أن سُبقت هذه الأقسام بمهاد نظريّ حول مفهوم الخطاب، وابتُدئ كلّ قسم منها بدراسة نظريّة حول الحضور المعالج ففي القسم الأوّل جرى تناول: حضور المتكلّم في القصيدة، وفي القسم الثّاني جرت دراسة: حضور المخاطب، أمّا القسم الأخير فقد توزّعتها دراسة حضور الموضوع على الشّكل الآتي: أوّلًا: حضور الموضوع من خلال الموضوع نفسه، ثانيًا: حضور الموضوع من خلال الزّمان، ثالثًا: حضور الموضوع من خلال دراسة المكان، وأخيرًا عُرضت خاتمة الدّراسة

الّتي أُشبعت بالخلاصات والنّتائج وقد اعتمد الباحث في كتابته منهج تحليل الخطاب.

كلمات مفتاحيّة: الخطاب، رؤية، حضور المتكلّم، حضور المخاطب، حضور الموضوع، الزّمان، المكان.

Summary:

Cette recherche vise à étudier le poème La volonté de la vie d'Abu al-Qasim al-Shabi dans l'analyse, l'interprétation et le lien avec la culture de la résistance. Cette recherche s'est basée sur trois sections principales dans lesquelles la culture du poète et sa vision du monde, après que ces sections ont été précédées d'un paillage théorique sur le concept de discours, et chaque section a commencé par une étude théorique sur la présence du processeur dans la première section a été abordée : la présence du locuteur dans le poème, et dans la deuxième section a été étudiée : la présence du destinataire, la dernière section a été distribuée par l'étude de la présence du sujet comme suit : Premièrement : la présence du sujet à travers le sujet lui-même, deuxièmement : la présence du sujet à travers le temps, troisièmement : la présence du sujet à travers l'étude du lieu, et enfin présenté la conclusion de l'étude, qui était saturée de conclusions et de résultats, et le chercheur a adopté par écrit la méthode d'analyse du discours.

Mots-clés : parole, vision, présence de l'orateur, présence du destinataire, présence du sujet, temps, lieu.

مقدّمة:

الخطاب

شاع مصطلح الخطاب في فروع المعرفة كافة، فارتبط اسمه بالنّظريّة النّقديّة والثّقافيّة والأدبيّة، حتّى بات يترك من دون تعريف في كثير من الأحيان، سواء أكان استخدامه في النّصوص الأدبيّة أو غير الأدبيّة، غير أنّنا سنتتبّع في بحثنا هذا سبيلًا نسعى به للخروج ببعض التّعريفات والدّلالات الممكنة للخطاب.

إنّ امتلاك معرفة بالمنظومة المفاهيميّة الخاصّة بالخطاب (discours) يقتضي أن

نعود إلى المرحلة التأسيسيّة الّتي انطلقت منها الحركة النّقديّة الحداثيّة الّتي اتّخذت العلميّة مرجعًا لها. وقد قامت هذه المرحلة التّأسيسيّة على نشاطين أساسيين: النّشاطِ السّوسيريّ والنّشاطِ الشّكليّ الرّوسيّ.

بما يعني أنّ مصطلح الخطاب كان عائدًا إلى مرحلة ما بعد الحداثة وهي مرحلة من مراحل نضوج الثّقافة النّقديّة في العالم العربيّ، والجدير ذكره أنّ مصطلح العمل الأدبيّ كان ناجمًا عن اختراق الحقول المعرفيّة المتنوّعة للأدب بما يجعل النّتاج الأدبيّ عملًا، ثمّ جاءت مرحلة الحداثة الّتي ارتكزت على العقل العلميّ محاولة أن تكفّ يد هذه الحقول عن الأدب، فعاينته من خلال نسيجه اللّغويّ مختارة مصطلح النّصّ المعرّب من خلال كلمة (texte). ومصطلح النّصّ لم يصمد طويلًا، مع مجيء مرحلة ما بعد الحداثة الّتي استبدلته بمصطلح الخطاب، والخطاب تعريب لكلمة (discours)، وهو يتعدّى النّصوص الإبداعيّة إلى ما عداها مثل: النّكتة، والإشاعة، والحزّورة.

إنّ تحديد موضوع الخطاب هي المسألة الّتي لازمت تحليل الخطاب لأنّها كانت مرتبطة دائمًا بمفهوم الخطاب. مع بداية سبعينيات القرن المنصرم وجدنا أنّ النّشاط التّنظيريّ للخطاب كان أمام ثلاثة تصوّرات مختلفة: تصوّر دعا إلى توسيع مجال الدّراسة اللّسانيّة، بما يسمح بإدخال الخطاب ضمن موضوعها، وتصوّر يرفض ذلك مطلقًا، وتصوّر ثالث يدعو إلى خلق علم جديد للخطاب على غرار اللّسانيّات، وما يسترعي الانتباه من خلال هذه التّصوّرات الثّلاثة أنّ تحليل الخطاب واقع بين تجاذب دائرتين أو تقاطعهما: دائرة اللّسانيات ودائرة العلوم الإنسانيّة.

وهذا ما يجعل الجماليّة والتّواصل في موضع تجاذب وتقاطع مع تحليل الخطاب الّذي قد يصبح أكثر تعقيدًا وصعوبة أيضًا. غير أنّ هذه الحال لم تستمرّ في أواسط سبعينات القرن الماضي. ولم تعدِ المشكلاتُ الّتي تواجه تحليل الخطاب قائمةً على صعوبة تحديد موضوعه. فقد شهدت هذه المرحلة تبلور الاتجاهات الخاصّة بالخطاب. ونجد أنفسنا مع فوكو **Michel Foucault** [1] وقد نظر إلى الخطاب على أنّه شبكة معقّدة من العلاقات الاجتماعيّة والسّياسيّة والثّقافيّة. وإذا كان هذا التّحديد قد قطع حبل السّرّة الّذي كان

1- فيلسوف فرنسي،يعتبر من أهمّ فلاسفة النّصف الأخير من القرن العشرين، تأثّر بالبنيويّين ودرس وحلّل تاريخ الجنون في كتابه «تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكيّ» الموسوعة الحرّة، **ميشال فوكو** – ويكيبيديا (wikipedia.org)، تسجيل الدّخول 2022-10.

يربطه بأمّه اللّسانيات من خلال شبكة العلاقات المعقّدة فإنّه لا يقدّم نفسه عالمًا مستقلًّا فحسب، ولكنّه يشير بشكل واضح إلى موضوع تحليل الخطاب أيضًا، ذلك الموضوع الّذي يتشابك فيه الاجتماعيّ والسّياسيّ والثّقافيّ.»[1]

الإشكاليّة:

1- كيف حضر كلّ من المتكلّم والمخاطب في الخطاب وما دور الثّقافة في تحديد العلاقة بينهما؟

2- أين تكمن أهمّيّة حضور الموضوع وما مدى علاقته بالثّقافة العربيّة المقاومة؟

الفرضيّات:

1- قد يتلاحم المتكلّم والمخاطب في ما بينهما عبر الثّقافة وهما جوهرتان أساسيّتان لا يمكن لتحليل الخطاب أن يكتمل من دون التّعرّض إليهما.

2- يمكن أن يكتسب الموضوع أهمّيّة خاصّة في الخطاب لأنّه لا خطاب بلا موضوع ولا يمكن للموضوع إلّا أن يكون مرتبطًا بالثّقافة العربيّة المقاومة.

أ-حضور المتكلّم في الكلام

إنّ منهج تحليل الخطاب يفرض علينا عدمَ البحث في الجانب السّيريّ من حياة المتكلّم لنتعرّف إلى حضوره داخل النّصّ. فذاتيّة الكاتب بعيدة كلّ البعد عن هذا الحضور وليست هدفًا في الخطاب، إلّا أنّ المتكلّم هو الّذي يتبوّأ المكانة الأولى في كلامه «لأنّه هو الّذي تلفّظ به من أجل التّعبير عن مقاصده»[2] «فالمعنى مرتبط بما ينويه وما يقصده»[3] وذلك بغيةَ التّأثير في المخاطب ليبنيَ من خلاله شخصيّة ثقافيّة واعية على الصّعيد الفكري، والدّينيّ، والسّياسيّ، والاجتماعيّ أو ربّما الاقتصاديّ. لهذا نجد المتكلّم يحدّد المتلقّي بناء على قصديّته، فالمتكلّم لغيره إنّما يصبح «متكلّمًا له بأن يقصده بالكلام دون غيره، ويكون آمرًا له من مقصده بالكلام وأراد منه المأمور به»[4]

1- زيتون، علي، 2007م، **عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة، معهد** المعارف الحكميّة، بيروت، ط1.
2- الشّهري، عبد الهادي ظافر، 2004م، **استراتيجيّات الخطاب**، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، ص45.
3- بوجادي، خليفة، 2009م، **في اللّسانيّات التّداوليّة** (مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربيّ القديم)، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، ص162.
4- ابن قدامة، موفّق الدّين، 1979م، **المغني**، تحقيق: عبداللّه التّركيّ وعبد الفتّاح الحلو، دار عالم للكتاب، بيروت، ط3، ص 71-70.

من هنا تبرز أهمّيّةُ استجلاء حضور المتكلّم في خطابه، غير أنّنا لا نريد من كلّ هذا أن نتعرّف إلى شخصيّة المتكلّم الذّاتيّة «ولكن من أجل اختبار انسجامها مع القصديّة الأساسيّة الّتي ينبري الخطاب لإشاعتها من جهة، واكتناه مدى فعل حضورها في إذكاء تلك القصديّة وتقوية فعلها من جهة ثانية»[1]

حضور المتكلّم إجرائيًّا:

إنّ مادّة هذا البحث هي قصيدة «إرادة الحياة» للشّاعر التّونسيّ الكبير أبي القاسم الشّابي الّتي ألّفها قبل عام على وفاته بمرض القلب وقد احتضنت هذه القصيدة من مطلعها حتّى نهايتها حضورًا ثقافيًّا لكاتب لا يسعى إلى إبراز شخصيّته بل يحاول إشاعة حضوره ليبلغ وعيًا بالأمور الفكريّة والاجتماعيّة والدّينيّة والسّياسيّة فينتج عن هذا الإدراك خطابٌ ناجحٌ يحاكي فئة من الجماهير المرتبطة به عبر الزّمن. والجدير ذكره أنّ حضور المتكلّم في هذه القصيدة الخالدة ينقسم إلى قسمين الأوّل فيهما حضور مباشر والآخر هو حضور مضمر وكي لا نطيل الحديث سنستعرض بعضًا من كلا الحضورين، ففي قول الشّاعر:

كَذلِكَ قَالَتْ لِيَ الكَائِنَاتُ

وَحَدّثَنِي رُوحُهَا المُسْتَتِر[2]

ظهر المتكلّم من خلال ضمير المتكلّم المفرد مصغيًا مستمعًا يحترم نداءات الآخرين، فهذه الأنا المفردة تضع نفسها في موقع المسؤوليّة وتكلّف نفسها مشقّة القيادة فالمسألة عنده تتجاوز الإنسان إلى سائر الكائنات، وتتخطّى المادّيّ إلى المعنويّ، وإذا دققنا في الكلام أكثر وجدنا في اجتماع المخلوقات على توجيه القول للكاتب وحده ثقة ودعوة لهذه الشّخصيّة المثلى إلى إيجاد حلّ للخلاص، وهذا يعني أنّ الخلاص لن يقوم إلّا على يد إنسان موثوق اِطمُئِنّ إليه وسُلّم زمام الأمور وحُدّث بخفايا الأسرار.

ثمّ يستوقف المتلقّيَ في هذه القصيدة حضورٌ لمرسل لم يسعَ نحو الظّهور المباشر بل جاء حضوره مستترًا خلف مسميّات عديدة اتخذت من ضمير المتكلّم أداة للتّعبير عن

1- زيتون، علي، **عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة**، م.س، ص55-54.

2- الشّابي، أبو القاسم، ديوان أبي القاسم الشّابي، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط2، 1994م، ص 90.

كلّ مسمّى على حدة، ومن ذلك:

وَدَمدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الفِجَاجِ

إذَا مَا طَمَحْتُ إلى غَايَةٍ

رَكِبْتُ الْمُنَى وَنَسِيتُ الحَذَر

وَلَمْ أَتَجَنَّبْ وُعُورَ الشِّعَابِ

وَلا كُبَّةَ اللَّهَبِ المُسْتَعِر[1]

فالرّيح (المسمّى الأوّل) هي عنصر من عناصر الطّبيعة تكلّمت فأعلمت وبرز كلامها من خلال ضمير المتكلّم المفرد (طمحتُ/ ركبتُ/ لم أتجنّب) كما يبدو أنّ الاستعانة بهذا العنصر جعلته يتراءى أمام المتلقّي إنسانًا طموحًا لا يهاب الموت ولا يكترث للأزمات، والحقيقة أنّ هذه الاستعانة ليست محض مصادفة لأنّ ما أراد المرسل أن يوصله للمرسل إليه قد تحقّق فعلًا حيث إنّ الرّيح استطاعت أن تعطي الإنسان درسًا لا ينساه في القوّة والجموح، إذًا نصل إلى أنّ ضمير المتكلّم المُستخدم كان ضميرًا غائيًّا غايته أن يسلك السّائرون على طريق الحرّيّة طريق الرّيح الّتي علّمت درسًا كبيرًا من دروس الفروسيّة. غير أنّ هذا الدّرس لم يكتمل حتّى بلّغ الشّاعر الأثر الّذي تركته هذه الرّيح بفؤاده وصدره:

فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِمَاءُ الشَّبَابِ

وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيَاحٌ أُخَر[2]

فضميرا المتكلّم المضافان إلى القلب ومحلّه (قلبي، صدري) أطلّا علينا إطلالة المتحمّس المتأثّر الحاضن الآمال والمتأهّب لأيّ جديد وكأنّ هذه الإطلالة تنافس الرّيح بقوّتها واشتدادها وحيويّتها ونشاطها، بما يؤكّد أهليّة الشّاعر بامتلاك القدرة على التّضحية والتّفاني في سبيل هذه الأمّة. ولا يمكن للقارئ أن يصل إلى أبعاد هذه التّضحية إلّا بعد الإصغاء إلى ضجيج ثورة أحلّه الشّابيّ على أبياته ليرافق الحياةَ الأملُ بغد جديد مشرق فبدا القول عنده شيئًا والفعل أشياء.

1- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 90.
2- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 91.

وَأَطْرَقْتُ، أُصْغِي لِقَصْفِ الرُّعُودِ

وَعَزْفِ الرِّيَاح وَوَقْعِ المَطَر[1]

وما يلفت في هذا البيت أنّ الإيقاع المنسجم الصّادر عن وقع الكلمات في الأنفس المتلقّية ليس إيقاع رقص أو غناء بقدر ما هو إيقاع تأمّل وانتظار فرج فالمتكلّم يحاول إنشاء جمهور منتظر يصغي معه بصمت وصبر وأناة لعلّه يعزف سيمفونيّة خاصّة تفيد من تجارب من سبقهم في المقاومة وتحرص على إكمال المسيرة. ثمّ تأتي الأرض (المسمّى الثّاني) لتحاور الكاتب بصوت أمّ رؤوم مستخدمة ضمير المتكلّم الخاصّ بها:

وَقَالَتْ لِيَ الأَرْضُ – لَمَّا سَأَلْتُ:

« أَيَا أُمُّ هَلْ تَكْرَهِينَ البَشَر؟»

« أُبَارِكُ في النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ

وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الخَطَر

وأَلْعَنُ مَنْ لا يُمَاشِي الزَّمَانَ

وَيَقْنَعُ بِالعَيْشِ عَيْشِ الحَجَر

وَلَوْلا أُمُومَةُ قَلْبِي الرَّؤُوم

لَمَا ضَمَّتِ المَيْتَ تِلْكَ الحُفَر[2]

يلعب ضمير الفاعليّة المتكلّم في الفعلين «أبارك» و«ألعن» لعبة المدّ والجزر مع القارئ فتارة يمدح المخاطب وأخرى يذمّه، غير أنّ هذا الفاعل قد استبطن من خلف الكلام فاعلًا آخر بعيدًا هو الشّاعر نفسه الذّي يعلن عن موقفه المراد متّخذًا الأرض الأم وسيلته في ذلك، فهو الأمّ الّتي تصنّف البشر غرباء عنها غير أنّها سرعان ما تنحاز إلى قسم منهم خيِّر مغامر وتعادي قسمًا آخرَ لا يؤثّر ولا يتأثّر، ثابتا لا رأي له، كما أنّها استطاعت أن تجسّد ألمها في البيت الأخير على الرّغم من تباين موقفها من النّاس سواء أحاولوا التّغيير أم رضخوا للعيش الذّليل، لذا يمكننا القول إنّ الكلام الأخير

1- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 91.
2- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 91.

كان رسالة تطمئِن النّاس على مصيرهم وتترك الأوجاع لشاعر عقلانيّ يواجه هموم المرحلة بكلّ شجاعة.

ثمّ يستغلّ الشّاعر صمته في التّعبير عمّا يختلج في نفسه في مقطع يخاطب فيه الدّجى:

سَأَلْتُ الدُّجَى: هَلْ تُعِيدُ الْحَيَاةُ

لما أذبلته ربيع العمر

فلم تتكلّم شفاه الظّلام

ولم تترنّم عذارى السّحر[1]

أصدر الحوار المتبادل بين الدّجى والشّاعر إيقاعًا حزينًا، فالنّقاش الحاصل بينهما لم يستمرّ طويلًا، لأنّ محاولة الشّاعر في الاستفسار عن عودة الحياة قد باءت بالفشل، وتعدّ هذه المحاورة الصّامتة إجابة بحدّ ذاتها، فعندما يخيّم الصّمت على حدث مصيريّ يشكّل ردًّا إعجازيًّا دقيقًا، وقد اتّخذه الشّاعر أداة إنتاجيّة صامتة توجب عليه أن يتطلّع نحو عالم واقعيّ صريح يرى الموت إنتاجًا تربويًّا صادقًا تنبثق منه الحياة.

ولا يختلف الأمر كثيرًا في حديثه مع الغاب:

وَقَالَ لِيَ الْغَابُ في رِقَّةٍ

مُحَبَّبَةٍ مِثْلَ خَفْقِ الْوَتَر

يَجِيءُ الشِّتَاءُ، شِتَاءُ الضَّبَابِ

شِتَاءُ الثُّلُوجِ، شِتَاءُ الْمَطَر[2]

إنّ من يقف بين الغاب والشّاعر يجد نفسه منسجمًا مع الإيقاع الهادئ المنبعث من كلامهما، ذلك أنّ الشّاعر يضمر في نفسه شيئًا خفيًّا يستطيع المتلقي اكتشافه في شتاء الغاب المنتظر، ولا يُفَسَّر هذا الانتظار إلا بأنّه علامة دالّة على إيمان مسلّح باليقين، فشتاؤه عاصف صنديد مفتوح على مقاومة إنسانيّة واعدة تواكبها ثلوج وأمطار لا متناهية

1- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 91.
2- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 91.

تصبو نحو الفعل والعمل لا الكلام.

ب- حضور المخاطب في الكلام:

يتوجّه الخطاب الكتابيّ (رسالة_ مقالة_ خطبة...) إلى النّخبة القارئة العالمة، غير أنّ نوعيّة النّخبة القارئة هي ما يحدّد بلاغة الخطاب، ووجود المعرفة المشتركة بين طرفي التّلقّي تسهّل عمليّة للتّواصل بينهما «فالعلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر الّتي توثّر في تحديد استراتيجيّات الخطاب المناسبة واختيارها؛ إذ يراعيها المرسل دومًا عند إنتاج خطابه، فلا يغفلها وذلك بوصفها محدّدًا سياقيًّا له دور في إنجاح عمليّة التّواصل وتحقيق هدف المرسل من كلامه»[1] ما يعني أنّ أهمّيّة المتلقّي لا تقلّ عن أهمّيّة المتكلّم في عمليّة إنتاج الخطاب. لأنّ المتلقّي يستجيب للنّصّ، فهو المستقبل، وهو الفاهم، وهو السّامع والقارئ، وهو المخاطب والمرسل إليه، ولا يمكن للكاتب إنتاج كلامه إلّا بعد استحضار المتلقّي وهذا ما يسمّى بالحضور القبلي المتلقّي، لكنّ ما سنتطرّق إليه سيكون بعيدًا عن نظريّة التّلقّي، تلك النّظريّة القائمة «على تيارين: «أحدهما معتدل يقرّ المتكلّم بحدّ ما من القصديّة والثّاني متطرّف يختزل القصديّة كلّها بالمتلقي»[2]، إنّ ما يهمّنا من هذه النّظريّة هو قدرة المتكلّم على مخاطبة المتلقي في همومه واهتماماته ومشكلاته وعلى محاورة مستواه الثّقافيّة بوساطة هذا الاستحضار.

حضور المخاطب إجرائيًّا:

إذا الشّعْبُ يَوْمَاً أَرَادَ الْحَيَاةَ

فلا بدّ أن يستجيب القدر[3]

أطلّ الشّاعر علينا في هويّة إنسانيّة مجتمعيّة واضحة من مطلع هذه القصيدة، لم يمهّد لحضورها، لأنّ الموقف لا يحتمل التّمهيد، والحال لا يحتمل التّهيئة، اتخذ قرارًا حاسمًا قارئًا قناعات وقدرات المخاطب مختصرًا الطّريق نحو الكرامة، هكذا قرأ الشّابيّ الشّعب شعبًا جاهزًا لإنجاز مهمّة مصيريّة فلم يكترث للمقدّمات أمام هذه الإمكانيّة المجاهدة

1- الشّهري، عبد الهادي ظافر، 2004م، **استراتيجيّات الخطاب**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لاط، ص 48.

2- هولب، روبرت، 1994، **نظريّة التّلقي**، ترجمة: عزّ الدّين اسماعيل، النّادي الأدبيّ، جدّة، لاط، ص249.

3- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 90.

إنّما أعطى المخاطب الأولويّة في الحضور مبتدئًا كلامه بالشّرط لا بالتّهديد أو التّنكيل أو العويل، شرط يتطلّع به الرّائي نحو تضحيات تُبذل في سبيل استجابة القدر وتحقيق رغبته في الوصول إلى عيش حرّ كريم انطلاقًا من قدرة الجماعة.

ثمّ ظهرت هويّة مخاطب آخر مجهول صوّرها الشّاعر في شخصيّة استثنائيّة متكاملة في العديد من الأبيات ومن ذلك:

وَمَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الْحَيَاةِ

تَبَخَّرَ في جَوِّهَا وَانْدَثَر

فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْهُ الْحَيَاةُ

مِنْ صَفْعَةِ العَدَم المُنْتَصِر

وَمَنْ يتهيب صُعُودَ الجِبَالِ

يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَر[1]

في الواقع لم يكن هذا المخاطب المجهول مخاطبًا عاديًّا بل كان الحكاية الّتي تُروى، فهو النّاس وهو الملأ والجمهور الّذي يستقبل ثقافتين: ثقافة المقاومة والرّفض والثّبات وثقافة الهزيمة والجبن والتّخلي، وشتّان بين هذه وتلك، فهمّ الشّاعر كبير مبنيّ على قوّة لا على ضعف، قوّة جمهور مقاوم ينهض فيعانق الحياة متلقّيًا صفعاتها ومشاقّها صابرًا على أوجاعها وأعبائها صامدًا في وجه رياحها، ولا يمكن لهذا النّهوض أن يكون إلّا رؤيويًّا مشبعًا بثقافة مخاطب قرأ تاريخ العدو وصمود الصّديق فهاب الهزائم واستمسك بعروة الانتصار الوثقى.

غير أنّ همّ الشّاعر لم يكن محصورًا بالانتصار وحده وهذا ما نجده في توجّهه إلى متلقيين جديدين أحدهما قد خاطبه على أنّه متلقٍ مجهول ثمّ أتى على ذكره في الأبيات اللّاحقة بمسمّى قريب «الجميع»، والآخر تحفّظ عليه وترك مفاتيح استكشافه للقارىء الحاذق من خلال الأبيات الآتية:

وَيَفْنَى الجَمِيعُ كَحُلْمٍ بَدِيعٍ

1- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 90.

تَأَلَّقَ في مُهْجَةٍ وَانْدَثَر

وَتَبْقَى البُذُورُ التي حُمِّلَتْ

ذَخِيرَةَ عُمْرٍ جَمِيلٍ غَبَر[1]

ولعلّ المدخل الأوّل إلى عالم المتلقّي الثّاني كان متمثّلًا في الحضور اللّافت لكلمة «البذور»، حيث تعالت هذه اللّفظة عن مدلولها الحقيقيّ واختصرت جهدًا كبيرًا في إيضاح هواجس المرسل، ولا يخفى على أيّ منّا أنّ هذا الهاجس يعيدنا إلى حيث البداية (البذور) ويبعدنا عن النّهاية (الموت)، فالكاتب يحوك بداية تلو أخرى ولا ينتظر خاتمة لها لأنّه لا يرى نهاية توقف زحف هذه البداية، كما يذكّرنا بقصّة روتها العجوز اليهوديّة «روت»[2] عن طفولتها الّتي كلّفت فيها في تقديم باقة من الورود في أثناء استقبال «تشرشل» في احتفال ضخم أقيم في حديقة «تل أبيب» وذلك لدعمه قيام دولة اليهود في فلسطين، وفي هذا اليوم تمّ قطع بعض أشجار الصّنوبر من جنوب لبنان ووضعها في تلك الحديقة لتجميلها، طال خطاب «تشرشل» يومها ممّا اضطر تلك الطّفلة إلى الاستلقاء على إحدى هذه الأشجار الّتي سقطت وبان جذعها المقصوص، بما دفع المحتفى به أن يعلّق قائلًا: «أخشى أن تسقط دولتكم يومًا ما فلا شيء ينبت هنا بدون جذور»، وممّا يجدر ذكره هنا أنّ هذه المقولة عبرت تاريخ الصّهاينة بلا حدود وشكّلت وصمة عار ترافقهم حتّى الأزل، فتوقّف تشرشل عند الجذور ليس وقفة موضوعيّة هي وقفة جدّدها الشّاعر باستحضار أصل الجذور أي «البذور» بما تحمله من إشارة لجيل جديد ينمو ويتحوّل جذورًا تمتدّ في الأرض متشبّثة بترابها فلا تغادرها إلّا بزرع جديد يضمن بقاءها.

ت-حضور الموضوع:

تشكّل اللّغة أداة لعمليّة التّواصل الّتي يستخدمها الإنسان مع محيطه، ولا يقوم هذا التّواصل إلّا بموضوع يضمن استمرار عمليّة التّفاعل بينهما. غير أنّ مفهوم القدرة التّواصليّة قد يتحقّق عن طريق اللّغة أو عبر وسائل أخرى غير لغويّة، ولا بدّ للمتكلّم

1- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 92.

2- لا شيء ينبت هنا بدون جذور .. قصة حقيقية ترويها عجوز يهودية (ida2at.org) ، تسجيل الدّخول 10-2023

من أن يستحضر «السّامع في أثناء إنتاج عبارات لغته ... وإن كان استحضاره يتفاوت باختلاف موقف التّواصل وملابساته ونمط الخطاب النّاتج»[1] هذا النّمط يمكن أن يتحدّد مستندًا إلى مجموعة معايير هي:«المجال، القصد، الآليّة، القناة»[2] وما يهمّنا في دراستنا هاهنا نمط الخطاب من حيث المجال لأنّه يضمّ موضوعات عديدة مختلفة ومتنوّعة في المجالين الأدبيّ أو العلميّ. ولا يمكن لملامح هذه الموضوعات أن تتجلّى إلّا من خلال دراسة حضورها، فحضور الموضوع يصير ظاهرًا إذا برز فيه الزّمان والمكان. فالزّمان الرّكن الأوّل من الأركان الّتي تمدّ حضور الموضوع بالطّاقة، ليشكّل حصيلة معرفيّة استثنائيّة له «فعدا الحديث عن زمن طبيعيّ له مقاييسه، وزمن نفسيّ خارج عن تلك المقاييس، وثالث أدبيّ معدّل عن الزّمن الطّبيعيّ بناء على رؤية الأديب إلى العالم، نجد زمنًا مرتبطًا بهذه الفلسفة أو تلك»[3]. ومهما يكن من أمر، فإنّ دراسة الزّمن هي «الّتي تكشف عن القرائن الّتي يمكن من خلالها الوقوف على كيفيّة إشغال الزّمن في العمل الأدبيّ»[4] لأنّه زمن يختلف عن بقيّة الأزمان ويتدخّل في توجيه الموضوع وتحديد أموره ووظيفته الأساسيّة الّتي يؤدّيها في الكلام. والدّخول إلى عالم التّرسّل لا بدّ من أن يحتضن الزّمن مكوّنًا أساسيًّا من مكوّنات الخطاب فيه ليقرأ هواجس المرحلة وهمومها.

أمّا المكان فقد كان الرّكن الثّاني الأساسيّ الّذي يتناوله حضور الموضوع، فلا يقوم عمل أدبيّ بلا مكان لأنّ «العمل الأدبيّ حين يفتقد المكانيّة فهو يفتقد خصوصيّته»[5] ولهذا أولاه الباحثون اهتمامًا كثيرًا، واعتنوا به اعتناء جماليًّا لاسيّما في الرّواية والشّعر، غير أنّ مكان الخطاب كان مختلفًا عن المكان الأدبيّ فلم يكن الإطار الّذي تقع فيه الأحداث فحسب بل كان مدخلًا تاريخيًّا ثقافيًّا استثنائيًّا يتبنّى حضور الموضوع. ولنفهم جيّدًا وظيفة الموضوع لا بدّ من أن ندرس الأزمنة والأمكنة دراسة إجرائيّة من خلاله.

1- المتوكّل، أحمد، 2016م، **المنهج الوظيفيّ في البحث اللّسانيّ**، دار الأمان، الرّباط، ط1، ص27.

2- المتوكّل، أحمد،2012م، **اللّسانيّات الوظيفيّة المقارنة(دراسة في التنميط والتّطوّر)**، دار الأمان، الرّباط، ط1، ص77.

3- زيتون، علي، **عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة**، م.س، ص126.

4- صدّام، وجدان، ياسين، معتزّ، **مستويات بناء الزّمن في شعر بشّار بن برد**، مجلّة دراسات البصرة والخليج العربيّ، العراق، عدد 17، 2014م، ص266.

5- باشلار، جاستون، 1984م، **جماليّات المكان**، ترجمة: غالب هلسا، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر، لبنان، ط2، ص6.

حضور الموضوع إجرائيًّا:

إنّ موضوع قصيدة الشّابيّ هو «إرادة الحياة» وحبّها وتحرير البلاد من المستعمر الغاشم، ولو بُذل في سبيله الغالي، لأنّ الّذي يطمح إلى العيش الكريم لا بدَّ أن يتجشّم المصاعب، وأن يكون من أبناء الطّموح (المناضلين) لا القانعين (الميتين) فالطّبيعة الأم تكره كل مستكين خانع وقد عبّر الشّاعر عن هذا بقوله:

ولا بد لليل أن ينجلي

ولا بد للقيد أن ينكسر[1]

وإذا كانت الإشارة إلى اللّيل سريعة ووجيزة فإنّ الدّلالة الّتي يحملها لا يمكن أن نمرّ عليها مرور الكرام، ذلك أنّ في الإشارة إلى البعد الزّمانيّ زمانًا زائلًا مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالبعد الدّلاليّ الّذي يصوّر الاستعمار بكلّ مضامينه ووجوده أمّا القيد فهو فعل هذا الاستعمار، وإذا كانت القصديّة الأساسيّة الّتي يقوم عليها هذا الفعل هي الظّلم فإنّ هذه القصديّة متّصلة بدعوة صريحة من الشّاعر إلى تحطيم القيود وتحرير الأمّة من المستعمر الغاصب وتحرير النّفس من جبنها وخضوعها.

يلي هذا الزّمان أزمنة أخرى ترتبط بالموضوع وتتعلّق بالفصول: ليالي الخريف، الشّتاء، الرّبيع، وقد تموضعت هذه الأزمنة في الأبيات الآتية:

وفي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الخَرِيفِ

مثقلة بالأسى والضّجر

يَجِيءُ الشِّتَاءُ، شِتَاءُ الضَّبَابِ

شِتَاءُ الثُّلُوجِ، شِتَاءُ الْمَطَر

وجاءَ الربيعُ بأنغامه

وأحلامهِ وصِباهُ العطِر

وقالَ لَهَا : قد مُنحتِ الحياةَ

وخُلّدتِ في نسلكِ الْمُدّخر[2]

1- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 90.
2- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 91.

تضع هذه الأزمنة بين أيدينا حصيلة معرفيّة عن مقاييس زمن الخطاب الخاصّ بالشّاعر، فالخريف (الزّمن الأوّل) أسهم في إنتاج أسباب الدّعوة والخطاب فهو المثقل بالأسى والضّجر وهو رمز الموت والرّماد، أمّا الشّتاء (الزّمن الثّاني) فقد شكّل استجابة لهذه الأسباب وبدءًا للنّهوض بهذه الدّعوة وإنعاشًا لذاكرة المخاطب في حضور حدث أساسيّ ثوريّ متّجه نحو المستقبل، فكان الرّبيع (الزّمن الثّالث) هذا المستقبل الموعود الحافل بالأحلام والألحان، ومخلّد هذه الدّعوة جيلًا بعد جيل.

هذا زمان الخطاب أمّا مكانه فأمكنة كثيرة ومنها: بين الفجاج، فوق الجبال، تحت الشّجر، الكون، الأرض وغيرها ممّا ظهر في القصيدة:

وَدَمدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الفِجَاجِ

وَفَوْقَ الجِبَال وَتَحْتَ الشَّجَر

فصدّعت الأرض من فوقها

وأبصرت الكون عذب الصور

وَأَعْلَنَ في الْكَوْنِ أَنَّ الطُّمُوحَ

لَهِيـبُ الْحَـيَاةِ وَرُوحُ الظَّفَر

إِذَا طَمَحَتْ لِلْحَيَاةِ النُّفُوسُ

فَـــلا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرْ[1]

دوّى خطاب الشّاعر في الطّرقات والمنخفضات وفوق الجبال وتحت الشّجر فلم يستقرّ في أيّ مكان ولم يهدأ له بال حتّى شقّ التّراب وخرج يبصر كونًا طموحًا سعى نحو الظّفر، هذه الأمكنة الّتي جال فيها الخطاب ليست رؤى عاديّة، وليست مسرحًا بسيطًا كان يمكن أن يتمّ في أيّ مكان آخر هي أمكنة اختيرت بعناية لتصبح مكانيّتها حملًا ثقافيًّا يشمل كلّ مساحة جغرافيّة تقع فيها المنخفضات والسّهول والتّلال والجبال والمساحات الخضراء واليابسة حملًا يمتدّ نحو الأوطان ذات النّفوس الحرّة الأبيّة السّاكنة فيها.

1- الشّابي، أبو القاسم، م.ن، ص 94.

خاتمة البحث

تولّى هذا البحث قراءة حضور المتكلّم والمخاطب والموضوع في قصيدة «إرادة الحياة» للشّابي، ولعلّ أهمّ النّتائج الّتي يمكن أن نتلمّسها في ذلك هي:

1 – أنّ الشّاعر لا ينفي غيابه عن النّصّ الشّعريّ، حيث وقف صلة وصل بين المتلقّين على اختلاف مكانتهم الاجتماعيّة، وكان مؤمنًا بأنّ شعريّته المقاومة ستحقّق نبوءتها الثّقافيّة جيلًا بعد جيل.

2 – أنّ الشّاعر اهتدى من خلال الضّمير المفرد للمتكلّم إلى اتّباع استراتيجيّة بنّاءة تنتصر لموقفه وتنال ممّن ينكره.

3 – أنّ حضور المتكلّم في كلامه كان مقياسًا لوعيه ثقافة الجماعة والتّأثير فيها.

4 – أنّ حضور المخاطب بوصفه هويّة ذات إمكانيّة ثقافيّة أو عقليّة هو حضور لحدث التّلقّي الّذي يظلّ يتحرّك مع الزّمن دونما توقّف أو استقرار.

5 – أنّ حضور الموضوع يشهد على وجود رسائل إلى العالم تتخطّى الزّمان والمكان الّذي نشأت فيه.

باب العلوم القانونية والإعلام:

1 – آثار انعقاد المسؤولية المدنية الطبية في القانون اللبناني

(دراسة مقارنة مع القانون الأمريكي)

The effects of the establishment of medical civil liability in Lebanese law.

(Comparative Study with American Law)

بقلم : نجلاء عصام حسن شبلي

Preparation by: Najla Essam Chebli

طالبة الدكتوراه في جامعة بيروت العربية / كلية الحقوق والعلوم السياسي/ قسم القانون الخاص

PhD student at Beirut Arab University / Faculty of Law and Political Science / Department of Private Law

المشرف: الأستاذ الدكتور فوزي أدهم

تاريخ الاستلام26 / 8 / 2024 تاريخ القبول: 7/9/ 2024

ملخص البحث

تكمن أهمية البحث في التعويض سواء أكان تعويضا اتفاقياً أم قضائياً كأثرلانعقاد المسؤولية الطبية المدنية، هو التوصل إلى تطوير القوانين واللوائح لتصبح أكثر فعالية في حماية حقوق الأفراد وتضمن المساءلة، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تعزيز الوصول إلى العدالة لتتناسب مع الواقع العملي المتغير، ناهيك عن ندرة الأحكام القضائية وصعوبة الوصول لها. ولا شك أن الرجوع للأحكام في الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يغني الدراسة باجتهادات قد تساعد القضاء المحلي ان أمكن اسقاطها، ليصبح أكثر جرأةً في الأحكام التي يصدرها لصالح المرض ولا سيما لناحية التعويض العقابي، وتفعيل الوسائل البديلة لحل النزاعات والعمل على تثقيف المجتمع ليكون اكثر وعياً حول حقوقه وواجباته وحبذا لو تم وضع نظام جامع مانع ينظم كافة الأحكام المتعلقة بالمسؤولية الطبية المدنية.

Summary:

The importance of research in compensation, whether it is contractual or judicial, lies in its effect on the establishment of civil medical liability. It aims to develop laws and regulations to become more effective in protecting individuals' rights and ensuring accountability, ultimately leading to enhanced access to justice that aligns with the changing practical reality. This is compounded by the scarcity of judicial rulings and the difficulty in accessing them. There is no doubt that referring to rulings in the United States can enrich the study with interpretations that may assist local judiciary if they can be applied. To become bolder in the rulings issued in favor of the patient, especially regarding punitive compensation. Activating alternative dispute resolution methods and working to educate the community to be more aware of its rights and duties, and it would be preferable to establish a comprehensive system that regulates all rulings related to civil medical liability.

المقدمة

شغَل مفهوم العمل الطبي العديد من الفقهاء، وقد تعددت تعريفاته باختلاف زوايا النظر للعمل الطبي إنسانيًّا أو أخلاقِيًّا، أو طبيًّا، أو قانونيًّا، وكل زاوية من تلك الزوايا تحاول العمل على ضَم ذلك المفهوم إلى نطاقها، فمن الناحية الإنسانية يسعى مفهوم العمل الطبي إلى ضرورة احترام الكيان الإنساني، وعلى الصعيد الطبي، فإن مفهوم العمل الطبي يسعى إلى بيان جميع مراحل العمل الطبي، والسعي إلى تضمين التطورات الطبية المعاصرة، أما من الناحية القانونية، فإن تعريف العمل الطبي يسعى إلى احترام كرامة الإنسان، وحماية حقوقه.

تُعرَّف المسؤولية لغةً بأنها: حالة أو صفة من يسأل على أمر تقع عليه تبعته، ويقال إنه بريء من مسؤولية كذا [1]، وهي كل ما كان به الإنسان مسؤولا أو مطالبا من أمور أو أفعال قام بها [2]، وهي تعني أيضا قيام الشخص بارتكاب أفعال أو تصرفات يكون مسؤولا عن نتائجها أي أنه يتحمل ما يسببه للغير من ضرر، وأن تتم مؤاخذته عما ارتكب، وهي بذلك تعبر عن الحالة الفلسفية والأخلاقية والقانونية التي يكون فيها الإنسان مسؤولا ومطالبا عن أمور وأفعال قام باقترافها تسبب إخلالًا بقواعد أخلاقية واجتماعية وقانونية. [3]

كما عرفت أيضا بأنها «نشوء التزام جديد ناشئ عن إخلال بالتزام سابق، وذلك الالتزام الجديد هو التزام بالتعويض لمن لحقه الضرر بسبب ذلك الإخلال أو في الواقع جزاء الإخلال بالتزام سابق» [4]، ويقصد بها أيضا أنها التزام جديد ينشأ بسبب الإخلال بالتزام سابق مصدره العقد مثل التزام المؤجر بتسليم لا العين المؤجرة إلى المستأجر، أو القانون كالتزام حارس الحيوان بمنع الحيوان من إحداث ضرر بالغير [5]، أو أنها التزام المدين

1-إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، الجزء الأول، القاهرة، 1960، ص411.
2- المنجد في اللغة والآداب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، 1960، ص316.
3- عمار عوابدي، نظرية المسؤولية الإدارية دراسة تأصيلية تحليلية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص11.
4- محمود جلال حمزة، المسؤولية الناشئة عن الأشياء غير الحية في القانون المدني الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص15.
5- محمود جلال حمزة، المرجع السابق، ص15.

بتعويض الضرر الذي لحق بالغير بسبب إخلاله بالتزام يقع عليه. [1]

وعرفت بأنها «التعويض عن الضرر الناشئ عن عمل غير مشروع، وقد يكون ذلك العمل غير المشروع الموجب للتعويض هو الإخلال بعقد أبرم وهذه هي المسؤولية التعاقدية، وقد يكون إضرار بالغير عن عمد أو غير عمد، وهذه هي المسؤولية التقصيرية» [2]، وعرفت أيضا بأنها عبارة عن «وسيلة قانونية تتكون في الأساس من تدخل إرادي ينقل بموجبه عبء الضرر الذي وقع مباشرة على شخص بفعل قوانين الطبيعة، أو البيولوجيا، أو السيكولوجيا، أو القوانين الاجتماعية إلى شخص آخر ينظر إليه على أنه هو الشخص الذي يجب أن يتحمل هذا العبء. [3]

وعرفت المسؤولية المدنية بأنها للشخص الحق في الحصول على تعويض من شخص آخر، على سبيل المثال القدرة على رفع دعوى للتعويض عن الأضرار الشخصية. هناك أيضا الحق في الحصول على أمر قضائي. لكي يكون هناك تعويض عن الأضرار، يجب أن يكون الطرف المتضرر قد تكبد خسارة فعلية، سواء كانت إصابة شخصية، أو ضرر للممتلكات، أو خسارة مالية. عبء الإثبات هو «ميزان الاحتمال» الذي هو أقل بكثير من المسائل الجنائية [4].

أما المسؤولية المدنية للطبيب في الولايات المتحدة فإنها تعني الأعمال الإيجابية والسلبية التي يقوم الطبيب باقترافها أثناء ممارسته للأعمال الطبية والتي تستلزم المؤاخذة والمساءلة المنصوص عليها في التشريعات والقوانين عند حدوث ضرر للمريض والتي تتمثل في الغالب في جبر الضرر الذي اقترفه الطبيب من خلال التعويض، كما تحمُّل الطبيب لتبعات عواقب الأعمال التي يقوم بها أثناء ممارسته لمهنته. [5]

ومع مطلع القرن العشرين واجه تقدم الطب بعض العقبات وبسبب القيود التي كان يتم فرضها في مجال تشريح الجثث كان بعض الأطباء يلجؤون إلى طرق غير مشروعة من

1- بلحاج العربي، النظرية العامة للمسؤولية الناشئة عن الفعل الشخصي، الخطأ والضرر، الطبعة الثالثة، 1984، ص15.

2- عبد الرازق السنهوري، الموجز في النظرية العامة للالتزامات، 1946، ص311.

3-سعاد الشرقاوي، المسؤولية الإدارية، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1972، ص99.

4- New York cent.Hudson River R.R,CO vs United States,212 U.S.,481,494-95(1909). For more information about this case: https://law.justia.com تاريخ الاطلاع 2021 /7/20

5- أحمد بالحرس، المسؤولية الطبية، المجلة الصحية المغربية، العدد السابع، أبريل 2014، ص42.

أجل الحصول على جثث الموتى لتشريحها، ففي إنجلترا على سبيل المثال كان الأطباء وتلامذتهم يقومون بسرقة الجثث من المقابر ليلا، وقد أدى ذلك التصرف إلى صدور قانون الإباحة تشريح جثث المتوفين في المستشفى في بريطانيا عام 1822 الشيء الذي كان له أثر كبير في تقدم المعرفة الطبية [1].

تطور العمل الطبي في العصر الحديث بشكل ملحوظ، وأصبح العمل الطبي يتم وفق أنظمة ولوائح تعمل على تنظيم مهنة الطب، إلا أنه لم تصدر تشريعات خاصة بمسؤولية الأطباء بل ظل الطبيب خاضعًا للقواعد القانونية العامة فلا يتم مساءلته عن الحوادث العارضة، ولا عن موت المريض طالما أن موت المريض لم يكن نتيجة خطأ صادر عن الطبيب، إلا أن رضا المريض وحصول الطبيب على ترخيص لمزاولة مهنة الطب لا يحول دون اعتبار الطبيب مخطئا إذا كان سبب الخطأ الذي وقع فيه الطبيب نتيجة الجهل بقواعد المهنة وذلك أخذا بالنصوص الرومانية منها قانون أميليا [2].

والحالة الأكثر استشهادًا بها في القانون الأمريكي لموافقة المريض، هي الحالة التي يفشل فيها الطبيب فشل في الحصول على موافقة المريض كما حصل في يناير 1908، حين وصلت السيدة ماري شلوين ورف إلى مستشفى نيويورك تشكو من اضطراب في المعدة. اكتشف الأطباء كتلة متورمة، لذا اقترحوا أن يتم فحص الكتلة تحت الأثير (سائل فيزيائي منوم). وافقت السيدة شلوين ورف على فحص الأثير، لكنها أصرت على عدم إجراء أي عملية الاستئصال أي كتلة أو ورم. اكتشف جراحون عند الفحص عند فحص الكتلة وجود ورم ليفي في رحمها، وأجرت عملية استئصال الرحم رغم رفض المريضة. وقد كانت العواقب على السيدة شلوين ورف مروعة: الغرغرينا تطورت في ذراعها اليسرى، واضطررت لبتر بعض أصابعها، وكانت معاناتها شديدة. إذ دخلت السيدة المستشفى لعدة أشهر، وتطلبت عملية جراحية ثانية على يدها بسبب انسداد ناتج عن ذلك من الجراحة الأولى. رفعت السيدة شلوين ورف دعوى قضائية ادعت فيها أن الجراحة أُجريت دون موافقتها، بل وبرفضها الصريح. في هذا السياق، صاغ القاضي

1- قانون الاباحة هو قانون صدر في بريطانيا ويسمى Anatomy Act 1832" ويشار إلية ب « قانون الجثث البشرية لعام 1832. ويهدف إلى حماية الجثث ومنع استخدامها بطرق غير قانونية أو غير أخلاقية.
2- عبد الهادي بواعثة، إدارة المستشفيات والخدمات الصحية، التشريع الصحي والمسؤولية الطبية، دار حامد للنشر، الأردن، 2003، ص125.

بنيامين كاردوزو ما أصبح السطر الأكثر شهرة في فقه قانون الصحة: «لكل إنسان وصل سن البلوغ ولديه العقل السليم، الحق في تحديد ما يجب عمله بجسده...»، ثم بدأ إدراج ضرورة الموافقة في القانون الأمريكي[1].

بالنسبة للعديد من الأطباء، فإن احتمال رفع دعوى قضائية بسبب سوء الممارسة الطبية هو جانب مزعج فريد من نوعه في الممارسة السريرية الحديثة. لذلك سنّت المجالس التشريعية للولايات مشاريع قوانين توضيحية ترعاها الحكومة الفيدرالية [2].

إلا أن حق الانسان في تحديد ما يجب عمله في جسده ولا سيما حق المرأة في الاجهاض أثار الجدل حديثا، حيث ألغت المحكمة العليا في الولايات المتحدة الحق في الاجهاض في قضية قرار «Roe v Wade » [3] وبذلك تكون ألغت المحكمة العليا للولايات المتحدة القرار التاريخي لعام 1973 الذي اعترف بالحق الدستوري للأمريكيين في الإجهاض، وشرعته في جميع أنحاء البلاد، مما أعطى انتصارًا بالغ الأهمية للجمهوريين والمحافظين الدينيين الذين يريدون تقييد الإجراء أو حظره. أيدت المحكمة قانون ولاية Mississippi الذي يحظر الإجهاض بعد 15 أسبوعًا. وجد غالبية القضاة أن قرار رو ضد وايد قد حُسم خطأً لأن دستور الولايات المتحدة لا يذكر الإجهاض بشكل محدد. بل أن الأمر إلى الولايات الفردية لتقرير ما إذا كان الإجهاض قانونياً[4].

---

1 –Susan M. Wolf،Ellen Wright Clayton and Frances L awrenz، The Past، Present، and Future of Informed Consent in Research and Translational Medicine. Published online by Cambridge University Press: 01 January 2021. https://www.cambridge.org/core/journals/journal-of-law-medicine-and-ethics/article/abs/where-did-informed-consent-for-research-come-from/ 1C9071516B9C-C28F01290E44EFD44873 تاريخ الاطلاع16/4/2022

2- The Medical Liability Climate and Prospects for Reform, 2014

3 – تم تسريب نسخة مسودة للحكم كتبه القاضي المحافظ Samuel Alito تشير إلى أن المحكمة كان من المحتمل أن تقلب قضية رو ضد وايد في مايو، مما أدى إلى اندلاع عاصفة سياسية.، وكتب القاضي Alito في الحكم: «لا يشير الدستور إلى الإجهاض، ولا وجود لمثل هذا الحق ليكون محمي ضمنيًا بأي حكم دستوري». للمزيد من التفاصيلhttps://www.proquest.com/docview/2680271277/22EF6416E6A14607PQ/ تاريخ الاطلاع 17/11/ 2022.

4- تم تسريب نسخة مسودة للحكم كتبه القاضي المحافظ Samuel Alito تشير إلى أن المحكمة كان من المحتمل أن تقلب قضية رو ضد وايد في مايو، مما أدى إلى اندلاع عاصفة سياسية.، وكتب القاضي Alito في الحكم: «لا يشير الدستور إلى الإجهاض، ولا وجود لمثل هذا الحق ليكون محمي ضمنيًا بأي حكم دستوري». للمزيد من التفاصيلhttps://www.proquest.com/docview/2680271277/22EF6416E6A14607PQ/1 تاريخ الاطلاع 17/11/ 2022.

تعود أصول قانون الأخطاء الطبية الحالي إلى القانون العام الإنجليزي في القرن التاسع عشر [1]. كما يشير القانون العام الإنجليزي إلى النظام القانوني في إنجلترا وويلز، ويشكل أساس الاجتهاد القضائي في الولايات المتحدة، وفي العديد من دول الكومنولث الأخرى التي تم تصديره إليها خلال فترة الإمبراطورية البريطانية. يشير القانون العام إلى القانون والأنظمة القانونية التي يتم تطويرها من خلال قرارات المحاكم والقضاة، على عكس القوانين التي تم تطويرها حصريًا من خلال التشريعات التشريعية أو القرارات التنفيذية.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فيخضع قانون الأخطاء الطبية لسلطة الولايات الفردية؛ حيث يتم وضع الإطار والقواعد التي تحكمه من خلال قرارات الدعاوى المرفوعة في محاكم الولاية. وبالتالي، يمكن أن يختلف قانون الولاية الذي يحكم سوء الممارسة الطبية عبر الولايات القضائية المختلفة في الولايات المتحدة، على الرغم من أن المبادئ متشابهة. إلا أن الإجراءات التشريعية للولاية التي تختلف من ولاية إلى أخرى [2].

يستلزم التعويض عن الأخطاء الطبية تحقق مسؤولية الطبيب عما لحق بالمريض من ضرر بسبب الأخطاء الطبية التي ارتكبها الطبيب في حق المريض، والخطأ الذي يقترفه الطبيب هو كل مخالفة أو خروج من الطبيب عن القواعد والأصول الطبية التي يقتضي العلم بها وقد يكون ذلك الخطأ فنيا وقد يكون مهنيا مثل الخطأ في العلاج أو الخطأ في نقص المتابعة أو جهل الطبيب بأمور فنية يفترض المام الطبيب بها أو قيام الطبيب باستخدام أجهزة طبية دون علم كاف بكيفية استخدامها أو عدم اتخاذ الإجراءات الاحتياطية الكفيلة بمنع حدوث ضرر جراء استعمالها أو تقصير الطبيب في الرقابة والإشراف.

إن وظيفة التعويض هي أن يتم من خلاله جبر الضرر، وليس هناك عبرة بجسامة الخطأ في تقدير التعويض، ويكون المسؤول عن الخطأ هو الملزم بالتعويض تجاه الشخص الذي أصابه الضرر وذلك لأن هذا جزاء خطئه الملزم الذي لا يتحمل به غيره،

1-Speiser SM. American Law of Torts, Vol. 4, Sec.15.10. West; 1987.
2-B. Sonny Bal, An Introduction to Medical Malpractice in the United States, Feb2019. For more info: https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC2628513 /تاريخ الاطلاع 30/5/2022

والقول بأن جبر الضرر الذي لا يكون إلا بالتعويض الكامل لا يعبر اليوم عن الواقع بسبب تدخل اتجاه نحو العدالة وذلك في سلطة القاضي بتقدير التعويض وبسبب تدخل النظرة الاجتماعية.

إشكالية الدراسة

تكمن إشكالية الدراسة في سؤال رئيس وهو:

ما مدى انسجام النظام القانوني للمسؤولية الطبية المدنية في القانون اللبنانية مع القانون الأمريكي؟ والذي يتفرع عنه سؤال فرعي حول آلية تعويض المريض، وهل يمكن الأخذ بما هو سائد في الولايات المتحدة لجهة التعويض العقابي؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة المسؤولية المدنية الطبية في القانون اللبناني ومقارنتها مع القانون الأمريكي على النحو الآتي:

أولاً: تساعد هذه التحليلات المقارنة في الكشف عن نقاط القوة والضعف في الأنظمة القانونية في مختلف الولايات القضائية. ومن خلال تقييم كيفية تعامل كل نظام قانوني مع المسؤولية المدنية، يمكن للباحثين وصانعي السياسات تحديد مجالات التحسين والإصلاح في بلدانهم. ويمكن أن يؤدي ذلك إلى تطوير قوانين ولوائح أكثر فعالية تحمي حقوق الأفراد وتضمن المساءلة، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تعزيز الوصول إلى العدالة.

ثانياً: إن التطور الطبي ومن ثم التشريعي الذي يواكب هذا التطور في الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر من الأحدث عالميا والذي يمكن أن يقدم إضافة إلى المستوى القانوني بعد البحث والجهد إن شاء الله. لذلك تأتي أهمية هذه الدراسة في عرض الباحثة للآراء والاتجاهات المختلفة في الفقه والقضاء، ومحاولة ترجيح ما هو أكثر اتفاقا مع أحكام القانون وقواعد العدالة والإنصاف.

ثالثاً: ضرورة الموازنة بين مصلحة كل من المريض والطبيب سواء من ناحية القوانين أو الأحكام القضائية. فحماية المريض الذي هو أقل معرفة وبحاجة للعلاج أو للعمل الطبي ولضمان سلامته، في جو من الاطمئنان والثقة هو أولوية، توازيها ضرورة

توفير مساحة من الحرية للطبيب لممارسة عمله دون أن يكون مهدداً بالمساءلة تمكينا له من الابداع والابتكار والتطور. ناهيك عن ندرة الأحكام القضائية وصعوبة الوصول لها. ولا شك أن الرجوع للأحكام في الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يغني الباحثة باجتهادات يمكن أن تساعد القضاء المحلي ان أمكن اسقاطها ليصبح أكثر جرأةً في الأحكام التي يصدرها لصالح المرضى.

منهج الدراسة:

سوف تعتمد الباحثة في هذه الدراسة على المنهج المقارن من خلال التعرض للمسؤولية الطبية في القانون اللبناني والأمريكي، كما سوف نعتمد على المنهج التحليلي من خلال التعرض للنصوص القانونية والآراء الفقهية والمقارنة بين القوانين بينها وتحليلها وبيان الراجح منها للوصول إلى النتائج المرتبطة بالموضوع.

بالتالي سيتم تقسيم البحث إلى مطلبين. نتناول في المطلب الأول التعويض الاتفاقي في إطار المسؤولية الطبية ثم نتناول سلطة القاضي في تقدير التعويض في المسؤولية الطبية في المطلب الثاني وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول

التعويض الاتفاقي في إطار المسؤولية المدنية الطبية

التعويض الاتفاقي بين الطبيب والمريض في إطار المسؤولية الطبية يشير إلى الاتفاق الذي يتم بين الطرفين لتسوية أي خلاف قد ينشأ بسبب خطأ طبي أو إهمال طبي. يتم تحقيق التعويض الاتفاقي بواسطة التفاوض بين الطبيب والمريض أو ممثليهما، ويتم تحديد المبلغ المناسب للتعويض بناءً على حجم الأضرار الملحقة بالمريض والتكاليف الطبية الناجمة عن الخطأ الطبي. يجب أن يكون التعويض الاتفاقي عادلاً ومقبولًا للطرفين، ويعتبر وسيلة لتجنب اللجوء إلى القضاء في بعض الأحيان وفق التفصيل في الفرعين التاليين:

الفرع الأول

تعريف التعويض الاتفاقي

يُعرف التعويض الاتفاقي بأنه: «هو التعويض الذي يشترطه العاقدان في العقد ويقدرانه بنفسهما عند عدم القيام بتنفيذ الموجب أو عدم حصول التأخير في الوفاء»[1]، كما عرف ابضا بأنه: «اتفاق بمقتضاه يلتزم شخص بالقيام بأمر معين يكون في اغلب الأحوال دفع مبلغ من النقود في حالة اخلاله بالتزام أصلي مقرر في ذمته أو تأخره في الوفاء بذلك الالتزام الأصلي جزاء له على هذا الإخلال أو التأخير وتعويضا للدائن عما يصيبه من ضرر بسبب ذلك»[2].

ومن خلال تعريفات التعويض الاتفاقي يتبين أن ذلك التعويض يكون سابقا على وقوع الضرر وطالما أن التعويض الاتفاقي يعد اتفاقا فإنه من الضروري أن تتوافر فيه الأركان العامة اللازم توافرها في أي اتفاق وهي الرضا والأهلية والمحل والسبب، وذلك الاتفاق يرد في أغلب الأحوال ضمن شروط العقد الأصلي إلا أنه من الممكن أن يكون في اتفاق لاحق على العقد إلا أنه من الضروري أن يكون قبل وقوع الضرر الذي يستحق ذلك التعويض من أجله لأنه لم يعد ذلك أصبح صلحا، وغالبا ما يكون محل التعويض الاتفاقي دفع مبلغ من النقود إلا أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون محل ذلك التعويض شيئا آخر غير النقود كأن يكون محله القيام بعمل أو الامتناع عن القيام بعمل ما كما أنه قد يكون محله اشتراط استحقاق جميع اقساط الدين عند التأخير عن دفع أحدها في تاريخ استحقاقها المتفق عليه.

وقد انتشر التعويض الاتفاقي على الصعيد التعاقدي لما له من أثر في الحياة العملية، فقد أصبح المتعاقدون يدرجون التعويض الاتفاقي في كافة أنواع العقود، لذلك فإنه من النادر في الوقت الحالي أن نجد رابطة عقدية لا تتضمن اتفاقا مسبقا لمقدار التعويض المستحق عند اخلال أحد الطرفين بالالتزامات الواردة في العقد المبرم بين الطرفين، وذلك من أجل تنفيذ العقد بأفضل صورة وبحسن نية، ونظرا لما يحققه لهم من مزايا

1- زهدي يكن، شرح قانون الموجبات والعقود مع مقارنته بالقوانين الحديثة والشريعة الإسلامية، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص135

2- سليمان مرقس، النظرية العامة للالتزام، أحكام الالتزام، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، 1997، ص172

ومصالح خاصة وعامة وحماية التوازن الاقتصادي بين الطرفين.

وإن تحديد التعويض في أي علاقة تعاقدية قد يكون قضائيا إلا أن ذلك لا يمنع أن يكون التعويض اتفاقيا أو من خلال الشرط الجزائي وبالرجوع إلى نص المادة (266) من قانون الموجبات والعقود اللبناني نجد أن تلك المادة تنص على أنه: «للمتعاقدين أن يعينوا مقدما في العقد أو في صك لاحق قيمة بدل العطل والضرر في حالة تخلف المديون عن تنفيذ الموجب كله أو بعضه، وقد وضع البند الجزائي لتعويض الدائن عن الأضرار التي تلحق به من عدم تنفيذ الموجب».

وبذلك فإن التعويض الاتفاقي هو أن يتفق الطرفين على تقدير قيمة التعويض مسبقا، فإذا أخل أحد الطرفين بتنفيذ الالتزامات الواجبة عليه دفع مبلغ معين في العقد أو في اتفاق لاحق يعد معدلا ومكملا للعقد الأصلي وهذا التعويض الاتفاقي يطلق عليه الشرط الجزائي وقد قضي القاضي المنفرد المدني ببيروت بأنه: (يجب التفريق بين البند الجزائي والغرامة الإكراهية، فالأول يمثل بدل عطل وضرر للدائن في حال تخلف المدين عن تنفيذ موجبه بالدفع جزئيا أو كليا، اما الغرامة الاكراهية فتمثل وسيلة لإكراه المدين على التنفيذ، والحالتان لا تنطبقان في هذه الدعوى طالما المستأجر نفذ موجبه بدفع البدلات دون تحفظ من وكيل المؤجرين)[1]، ويشترط في ذلك الاتفاق أن يكون قبل حدوث الضرر ويحق للقاضي أن ينقص من البند الجزائي إذا تم تنفيذ قسم من الموجب الأصلي، فقد قضت محكمة الاستئناف المدنية ببيروت بأنه: – إذا تضمن العقد بندا جزائيا، يعود للقاضي أن ينقص البلد المعين في البند الجزائي إذا كان قد نفذ قسم من الموجب الأصلي، ويصار إلى إجراء مقاصة بين المبالغ المحبوسة تحت يد المدعى عليه والمبلغ المتوجب عليه"[2].

ومثال ذلك التعويض الاتفاقي أن يتفق الجراح مع المريض على القيام بإجراء جراحي أو تدخل جراحي له، ثم يقوم الطبيب بالإخلال بتنفيذ التزامه كأن يتأخر في القيام بإجراء العملية الجراحية وكان للوقت أهمية بالغة، فإذا ما أصيب المرض بالضرر بسبب

1– ينظر حكم القاضي المنفرد المدني –جبيل رقم 30 الصادر بتاريخ 31/ 10/ 2017، مجلة العدل، 2018، ص1945/ 1947

2– ينظر حكم محكمة الاستئناف المدنية ببيروت رقم 1252 الصادر بتاريخ 30/ 9/ 2014، مجلة العدل 2015، ص888 / 894

تأخر الطبيب في القيام بإجراء العملية الجراحية، وكان العقد يتضمن نصا يحدد مقدار التعويض، فإن المريض في تلك الحالة يستحق التعويض ويحكم له القاضي به من أجل تغطية الضرر الذي أصابه بالتزامه سواء عن التأخير في القيام بالتنفيذ أو التنفيذ المعيب للالتزام أو عدم قيامه أصلا بالالتزام الواجب عليه أو القيام بتنفيذه بصورة جزئية فإن المريض لا يستحق تعويضا[1].

الفرع الثاني

أهداف التعويض الاتفاقي

ومن أبرز أهداف التعويض الاتفاقي أنه يقلل وبشكل كبير من أي جدل يدور حول وقوع الضرر أو عدم وقوعه مباشرا أو غير مباشر، متوقعا أو غير متوقع، ومقدار التعويض الواجب له، وبالتالي فإن وجود التعويض الاتفاقي يعني أن المتعاقدين قد افترضا تحقق الضرر عند إبرام العلاقة العقد وأدخلا المبلغ في حساباتهما مقدار تعويض ذلك الضرر، ولذلك يجوز للدائن في حالة عدم التنفيذ أو التأخير في التنفيذ أن يطلب قيمة التعويض الاتفاقي من المدين دون حاجة لأن يقوم بإثبات ركن الضرر والأصل أن المدين يلزم بدفعه ما لم يطلب منه القضاء انقاص ذلك المبلغ.

وجدير بالذكر أن التعويض الاتفاقي لا يتصور إلا بالنسبة للإخلال بالتزامات تنشأ عن التصرف القانوني في إطار العقد، ويكون من النادر أن يقع مثل هذا الاتفاق في المسؤولية التقصيرية، والغالب في التعويض الاتفاقي أنه يتم تحديده بمبلغ من النقود يقوم بدفعه المتعاقد الذي أخل بالالتزام، كما أن التعويض الاتفاقي قد يكون شيئا آخر غير النقود [2].

تشمل أهداف التعويض الاتفاقي بين الطبيب ما يلي:

1. تسوية النزاع: يهدف التعويض الاتفاقي إلى حل النزاع القائم بين الطبيب والمريض بشأن الخطأ الطبي أو الإهمال الطبي، وتجنب اللجوء إلى القضاء.

1-(23) منذر الفضل، النظرية العامة للالتزام في القانون المدني: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقوانين الموضوعية، الجزء الثاني، أحكام الالتزام، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998، ص72

2-(24) عبد الرازق أيوب، سلطة القاضي في تعديل التعويض الاتفاقي دراسة مقارنة، سلسلة الدراسات القانونية المعاصرة، ص11.

2. تعويض المريض: يهدف التعويض الاتفاقي إلى تعويض المريض عن الأضرار الملحقة به نتيجة الخطأ الطبي، بما في ذلك التكاليف الطبية والتعويض عن الألم والمعاناة النفسية والاقتصادية.

3. حماية سمعة الطبيب: يمكن للتعويض الاتفاقي أن يساهم في حماية سمعة الطبيب، حيث يتم تسوية النزاع بشكل سلمي ودون الحاجة إلى الكشف العام عن الخطأ الطبي وذلك يمكن أن يحمي سمعة الطبيب ومكانته المهنية.

وإذا كان التعويض الاتفاقي تعويضا عن الأضرار أو الخسائر التي تكبدها المريض نتيجة للخطأ الطبي أو سوء الممارسة الطبية، فإن التعويض القضائي فهو التعويض الذي يتم تحديده وفقًا لقرار قضائي من المحكمة. في حالة التعويض القضائي، يتم تقديم دعوى قضائية من قبل المريض ضد الطبيب أو المؤسسة الطبية، وبعد النظر في الأدلة والحجج من الطرفين، يصدر القاضي قرارًا يحدد المبلغ المستحق للمريض كتعويض عن الأضرار المادية والمعنوية التي تكبدها.

والفرق الرئيسي بين التعويض الاتفاقي والقضائي هو أن التعويض الاتفاقي يتم التوصل إليه بالتفاهم المباشر بين الطرفين دون الحاجة إلى تدخل المحكمة، بينما التعويض القضائي يتم تحديده من قبل القضاء بعد النظر في الأدلة والحجج. والتعويض القضائي هو ما سوف نعرضه في المطلب التالي.

المطلب الثاني

سلطة القاضي في تقدير التعويض في المسؤولية المدنية الطبية

إن طبيعة التعويض في القانوني اللبناني تستند في الأساس إلى التعادل بين قيمة التعويض ومقدار الضرر وأنه تعويض عن ضرر بمعزل عن فكرة الخطأ وجسامته، حيث أن القاعدة العامة التي تبناها المشرع اللبناني في قانون الموجبات والعقود اللبناني شأنه شأن القوانين في منظومة القانون المدني في التعويض وهو الأمر الذي تم النص عليه في قانون الموجبات والعقود اللبناني حيث نصت على أنه: «أن العوض الذي يجب للمتضرر من جرم أو شبه جرم يجب أن يكون في الأساس معادلا للضرر الذي حل به والضرر الأدبي يعتد به كما يعتد بالضرر المادي»، كما نص قانون الموجبات والعقود

اللبناني في المادة (260) منه على: «يجب أن يكون بدل العطل والضرر معادلا تماما للضرر الواقع أو الربح الفائت».

الفرع الأول

سلطة القاضي في تقدير التعويض المدني

ومن خلال عرض المادتين السابقتين يمكن القول إن المشرع اللبناني قد كرس مبدأ عاما في التعويض وهو في المسؤولية التقصيرية المادة (134) والتعاقدية في المادة (260) مبدأ التعادل بين الضرر الذي حل بالمتضرر للتعويض عنه، فالتعويض الذي يستحق للمتضرر من جرم أو شبه جرم يجب أن يكون في المسؤولية التقصيرية في الأساس معادلا وفي المسؤولية العقدية معادلا تماما للضرر، فالقاعدة أن ما يهم في التعويض في الحالتين هو احتسابه على أساس عنصر الضرر الذي أصاب الشخص المضرور، وعلى أساس هذا العنصر وحده بمعزل عن الفعل الضار أو درجة الخطأ الذي تسبب بالضرر فالتقابل في التعويض هو بين الضرر الذي حل بالمدعي وبين قيمة التعويض عنه، والذي يحكمه هو مبدأ التعادل الذي تم الإشارة اليه في نص المادة (134) والتعادل تماما الوارد في المادة (266) وليس بين درجة الخطأ وطبيعته وبين مبلغ التعويض حيث إن الخطأ يعتبر شرط رئيس لانعقاد المسؤولية ولكنه ليس له أي دور في احتساب قيمة التعويض[1].

وبذلك فإن المشرع اللبناني قد وضع صوراً لكي يتم من خلالها تحديد قيمة العطل والضرر، فالأصل أن يكون بواسطة القضاء وعن الضرر الخاص وإثباته وإثبات قيمته وقد تكون قيمة الضرر افتراضية كما في التعيين القانوني للضرر. ويعود لقاضي الأساس حق تقدير التعويض وفي هذا الشأن قضت محكمة التمييز المدنية بأنه:

«يعود لقاضي الأساس حق تقدير التعويض المتوجب عن الاستملاك بالنسبة للضرر الواقع والربح الفائت على أن يأخذ بعين الاعتبار الأضرار المباشرة وغير المباشرة فيحق له اذن الحكم بالفائدة على سبيل التعويض الاضافي ويعود تحديد مقدارها وبدء توجبها لتقديره المطلق الذي لا يخضع لرقابة محكمة التمييز. فتكون محكمة الاستئناف بحكمها

1 – مصطفى العوجي، القانون المدني، الجزء الثاني، المسؤولية المدنية، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص70

بالفائدة من تاريخ اقامة الدعوى وليس من تاريخ صدور حكم مبرم يتوجب التعويض، قد افقدت قرارها الأساس القانوني»[1]

ولما كانت المسؤولية المدنية تهدف إلى العمل على إعادة التوازن الذي تم الإخلال به سواء أكان مصدر ذلك الإخلال العقد أم القانون[2]، فإن ذلك الهدف يدعمه مبدأ يسيطر على تقدير التعويض في جميع القوانين وذلك المبدأ هو مبدأ التعويض الكامل للضرر[3]، والذي يعني أن التعويض من الضروري أن يغطي كل الأضرار التي لحقت بالمضرور.

أما طبيعة التعويض في النظام القانوني الأمريكي والأنجلو أميركي فتستند إلى قاعدة رئيسة وهي عدم الارتباط بين التعويض ومقداره وفكرة الضرر ومقداره حيث إن مؤسسة التعويض كمقابل للضرر بالمقارنة مع فكرة التعويض في القوانين ذات النزعة الأنجلوسكسونية تختلفان جذريا عن القانون اللبناني وبكل وضوح. فالمادتان (134) و (260) تقيمان بصراحة نصوصهما تعادلا تاما بين التعويض والضرر بجميع أنواعه في الدول ذات الثقافة المدنية. إن فكرة العطل والضرر التعويضي في القوانين ذات نزعة القانون المدني تصل إلى حد رفض منح القرارات التي تعلنها الصيغة التنفيذية،[4].

وعند قيام القاضي بتقدير التعويض فإنه من الضروري أن يضع في اعتباره الآتي:

1-الخسارة اللاحقة

وتختلف الخسارة اللاحقة إذا كنا بصدد أضرار جسمانية أو كنا امام أضرار مادية

1 - ينظر حكم محكمة التمييز المدنية ببيروت رقم 105 الصادر بتاريخ 8/10/1963 المستشار الذهبي، مجموعة اجتهادات المحاكم اللبنانية، دار الكتاب الالكتروني.

2- حسن خنتوش الحسناوي، التعويض القضائي في نطاق المسؤولية العقدية: دراسة مقارنة، دار الثقافة، الأردن، 2011، ص156. ينظر ايضا: محمد فتح الله النشار، حق التعويض المدني بين الفقه الاسلامي والقانون المدني، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، 2002، ص293

3- يعبر مبدأ التعويض الكامل عن الضرر عن التعادل بين مبلغ التعويض وقيمة الضرر ويعتبر ذلك المبدأ من أهم المبادئ التي تسيطر على المسؤولية المدنية وتعتبر من النتائج الهامة التي تترتب على ذلك المبدأ أنه لا يجوز تقدير التعويض طبقا لجسامة الخطأ حيث أن تلك الجسامة لا تأخذ بعين الاعتبار، وذلك لأن الهدف من التعويض هو القيام بجبر الضرر وليس إنزال العقاب وفي ذلك الصدد قضت محكمة النقض المصرية في حكمها الصادر بتاريخ 8/ 5/ 1964 بأن: «التعويض الضروري لجبر الضرر المتحقق يجب أن يحسب وفقا لقيمة الضرر دون أن يكون لجسامة الخطأ أي اثر على مبلغ هذا التعويض: ينظر في ذلك «أسامة أبو الحسن مجاهد، فكرة التعويض العقابي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015، ص128

4- وهو ما سيتم تفصيله لاحقا عند بحث التعويض العقابي في لبنان ص36 وما يليها.

حيث تتمثل الخسارة اللاحقة في الأضرار الجسمانية[1] عموما في المصروفات ونفقات العلاج التي يتكبدها المتضرر بسبب الإصابة التي لحقت به فعلي سبيل المثال إذا أصاب الفعل الضار ممثلا أو مغني أثناء قيامه بالذهاب إلى حفل التزم بإحيائه فإن ذلك الفنان يكون مستحقا لتعويض عن نفقات العلاج وعن ما تعرض له من آلام باعتبار أن ذلك الأمر هو خسارة لاحقة به[2]، ويثبت الحق في التعويض للمريض عن الخسارة اللاحقة به بمجرد قيامه بإنفاقها، ويرجع ذلك إلى أن المسؤول عن الإصابة ملزم وفق الأصل بتلك المصروفات طالما أن إنفاق تلك المصروفات مرتبط بالإصابة.

كما يعتبر من قبيل من النفقات المصروفات الضرورية من أجل تسهيل عملية تنقل المصاب مثل الاستعانة بوسائل النقل إذا أدت الإصابة مثلا إلى عجز أو شلل كما تشمل تلك النفقات أيضا الأجور التي يضطر الشخص المصاب إلى دفعها للمرافقين أو الممرضين أو الأفراد ممن يحتاج إلى مساعدتهم في حياته اليومية[3]، كما أن القاضي ينظر إلى ما سوف يقوم الشخص المضرور بإنفاقه بسبب ما قد يلحقه من أضرار مستقبلية اثبت الكشف الطبي انها تعتبر محققة الوقوع في المستقبل كعاهة مثلا أو شيء من ذلك القبيل.

وقد اعتبر الفقهاء أن إصابة الشخص المضرور في جسده بضرر مستقبلي هو أمر يستحق التعويض حيث أن تلك الإصابة قد يترتب عليها حرمان الشخص من ميزة السلامة الجسدية التي كان يتمتع بها او انتقاصها بغض النظر عما إذا كان ذلك الحرمان قد ترتب عليه خسارة لاحقة أو كسب فائت، وفي هذا الشأن قضت محكمة النقض المصرية بأن: «التعويض المقضي به بسبب عجزه عن الكسب الدائم يجب أن يحدد بالنظر إلى ما انتقص من سلامته الجسدية، بصرف النظر عن أن هذا الانتقاص

1- الضرر الجسماني يتمثل في الأذى الذي يصيب الشخص في جسده وبالتالي يمس سلامته وقد يتمثل ذلك الضرر في الاعتداء على الحياة وسواء تمثل ذلك الضرر في إصابة أو مرض أو عجز او وفاة فهو غالبا ما يتحمل المصاب نفقات العلاج وإنقاص قدرات المصاب على الكسب. ينظر في ذلك: بحماوي الشريف، التعويض عن الاضرار الناجمة عن الاخطار العلاجية دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013، ص173

2- سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني الجزء الثالث في الالتزامات، المجلد الثاني، الفعل الضار والمسؤولية المدنية، القسم الاول، الأحكام العامة، الطبعة الخامسة، المنشورات الحقوقية، 1988، ص537.

3- بحماوي الشريف، التعويض عن الاضرار الناجمة عن الاخطار العلاجية دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص17

لك يكون له أثر مباشر على أجره، فالضرر محقق بالرغم من استمرار قبض المضرور لأجره المعتاد متى ترتب على الاعتداء خلل في التكامل الجسدي»[1].

أما إذا كنا بصدد ضرر مادي فإننا نكون بصدد خسارة لاحقة إذا أصاب الدائن ضرر بسبب عدم تنفيذ المدين لالتزامه أو بسبب التأخير في تنفيذ ذلك الالتزام، حيث يلزم المدين الذي يقوم بتنفيذ التزامه بدفع تعويض عما لحق الدائن من خسارة، ولا يثير تقدير الضرر الذي لحق المضرور إذا كنا بصدد ضرر مادي أي صعوبة حيث يكون على أساس ما لحق المضرور من خسارة كأن يقوم شخص بإتلاف شيء لشخص اخر فإن التعويض في تلك الحالة لا بد من أن يسمح للمضرور باستعادة ذات قيمة الشيء والفائدة الاقتصادية التي فقدها، وهنا من الضروري أن يتم التمييز بين ما إذا كان الضرر قد تمثل في فقد الشيء أو تلفه وهلاكه كليا أو مجرد هلاكه هلاكا جزئيا، فإذا تمثل الضرر في فقد الشيء أو هلاكه هلاكا كليا فهنا يكون التعويض من خلال استبدال شيء آخر بهذا الشيء يكون مماثلا له أو بدفع قيمته.[2] أما إذا اقتصر الضرر على تلف جزئي فإن التعويض في تلك الحالة يكون من خلال القيمة الاستبدالية للشيء كما أنه قد يكون من خلال قيمته الإصلاحية، ومن حق المضرور أن يختار بين القيمتين فله أن يطالب مثلا بإصلاح الشيء بدلا من استبداله أو أن يطالب بقيمة الإصلاح سواء كان قد قام بإجراء ذلك الاصلاح أو سوف يقوم به بعد الحصول على التعويض، وفي الحالتين يبقي للمضرور الحق في أن يطالب بمقابل ما نقص من قيمة الذاتية للشيء بعد إتمام إصلاحه.

وقد قضت محكمة الشورى في حكمها الصادر بتاريخ 13/ 4/ 1995، بأنه: (وبما أن مورث الجهة المستدعية كان يعمل كطبيب متعاقد مع المستدعى ضدها. وبما أنه أصيب أثناء قيامه بعمله في المستشفى العسكري وبما أن الاجتهاد سار في مثل هذه الحالة على تطبيق المبادئ العامة التي ترعى مسؤولية الدولة عن الخسائر الجسدية التي

1- مشار اليه في: مصطفي الجمال، تقييم مواقف الفقه والقضاء من أحكام المسؤولية التقصيرية في قانون المعاملات المدنية، مجلة الامن والقانون، كلية الشرطة دبي، السنة الرابعة، العدد الأول، يناير، 1992، ص30

2- سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني الجزء الثالث في الالتزامات، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص537.

تلحق بموظفيها اثناء قيامهم بالوظيفة أو بمناسبتها أو بسببها [1] . وبما أنه تطبيق لهذا المبدأ فإن الدولة المستدعى ضدها تكون مسؤولة بالتعويض عن إصابة مورث الجهة المستدعية، ولا يحول دون ترتب هذه المسؤولية كون الإصابة ناتجة عن أعمال حربية باعتبار أن مسؤولية الدولة في القضية الحاضرة هي مسؤولية خاصة تستند إلى علاقة الدولة بموظفيها أو العاملين لديها أثناء قيامهم بالوظيفة أو بسببها. وبما أن المجلس يقرر في مثل هذه الحالة وجوب التعويض الكامل على المستدعي بحيث يشمل كامل الأضرار اللاحقة به) [2]

2-الكسب الفائت

يقصد بالكسب الفائت ما كان المضرور يأمل في الحصول عليه من كسب طالما أن هذا الامل له اسباب معقولة،[3] أي أنه ما فات على الشخص المضرور تحقيقه بسبب الاخلال بالالتزام أو بسبب الفعل الضار.

يتمثل الكسب الفائت إذا كنا بصدد ضرر جسماني في إصابة المريض بعجز كلي أو جزئي يترتب عليه نقص في دخل المصاب وهو ما كان سيحصل عليه الشخص الذي أصابه الضرر لقاء نشاطه المهني، وتعويض فوات الكسب لا يشمل فقط تعويض ما فات من كسب بل أنه يشمل أيضا ما سوف يفوت منه متى كان الكسب في المستقبل أمرا مؤكدا وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أبعد من ذلك بالقول إنه لا يشترط في الكسب المستقبلي أن يكون أمرأ مؤكدا بل أنه يكتفي أن يكون هناك أمل في الحصول على ذلك الكسب[4]، وقد قضت محكمة التمييز المدنية بأنه: (يجب أن يكون التعويض معادلا للضرر الواقع والربح الفائت. إذا لم يكن التعويض الذي تقررت عنه الفائدة اكيدا ومحررا لأنه غير ناشئ عن دين تعاقدي بمبلغ من النقود فيعود لمحكمة الأساس تحديد معدل

1- قرار رقم 144 تاريخ 28/ 10/ 1986 خطار/ الدولة – مجلة اجتهاد القضاء الاداري في لبنان العدد الثالث ص 197.

2 – ينظر حكم محكمة الشورى رقم 564 الصادر بتاريخ 13/ 4/ 1995 المستشار الذهبي، مجموعة اجتهادات المحاكم اللبنانية، دار الكتاب الالكتروني.

3- ينظر في ذلك حكم محكمة النقض المصرية في حكمها الصادر بتاريخ 1/ 1/ 2008 في الطعن رقم 17459 لسنة 76 ق، مجموعة القوانين والمبادئ القانونية 35، مجموعة أحكام النقض 2007- 2008، الجزء الأول، 2010، ص143

4- محمد صبري الجندي، في ضمان الضرر الجسدي الناتج عن الفعل الضار، مجلة الحقوق، النشر العلمي جامعة الكويت، العدد الأول، السنة السادسة والعشرون، مارس، 2022، ص181

الفائدة)[1].

ويتم تحديد التعويض عن الكسب الفائت بما يقابل الدخل الذي يفوت على المصاب طيلة فترة اصابته وعجزه عن العمل بالإضافة إلى ما يقابل ذلك من فوات الفرص المالية المختلفة على المصاب بسبب الإصابة التي تعرض لها، والمعيار الرئيس لتقدير ذلك التعويض هو مدى العجز عن العمل والكسب الذي قد يكون مؤقتا أو قد يكون دائما، ويسترشد القاضي عند قيامه بتقدير ذلك التعويض لاسيما الجسماني بأهل الخبرة في تقدير نوع الضرر ودرجته وهنا لا تكون الخبرة ملزمة للقاضي[2].

أما في حالة إذا كنا بصدد ضرر مادي فيتمثل الكسب الفائت فيما ضاع على المدين من ربح بسبب عدم تسليم المدين لما تم التعهد بتسليمه اليه مما ترتب عليه فوات الربح، ويكون حكم القاضي بالكسب الفائت بناء على طلب المضرور وهذا هو ما قضت به محكمة النقض المصرية في حكمها الصادر بتاريخ 11/ 1/ 1966 والتي نصت في حكمها بأنه: «متى كان الطاعن قد قدر التعويض الذي طلبه أمام محكمة الموضوع بما لحقه من خسارة ولم يفصل في هذا التقدير ما فاته من كسب وكانت محكمة الموضوع لا تلتزم بتقدير التعويض إلا في حدود عناصره المطلوبة فإنه لا يقبل النعي على الحكم بالقصور بأنه لم يقدر التعويض عن الكسب الغائب الذي لم يطلبه الطاعن»[3]، وإذا لم تلحق المضرور خسارة ولم يفته كسب ففي تلك الحالة لا يكون هناك محل للتعويض وكثيرا ما يتحقق ذلك الأمر في المسؤولية العقدية في حالة تأخير المدين عن القيام بتنفيذ التزامه.

ومفهوم الكسب الفائت على النحو السابق مشابه لما هو عليه الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، وفيما يلي أمثلة لحالات القضائية في الولايات المتحدة حيث تم تعويض الأفراد عن الخسائر المالية عن الكسب الفائت الناجمة عن أخطاء طبية:

1. Deborah Craven v. North Shore University Hospital، منحت هيئة

1 – ينظر حكم محكمة التمييز المدنية رقم 43 الصادر بتاريخ 27/ 10/ 1992 المستشار الذهبي، مجموعة اجتهادات المحاكم اللبنانية، دار الكتاب الالكتروني.

2– محمد صبري الجندي، في ضمان الضرر الجسدي الناتج عن الفعل الضار، مرجع سابق، ص225

3– سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني الجزء الثالث في الالتزامات، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص537

محلفين في نيويورك Deborah Craven 62 مليون دولار كتعويضات في عام 2019. تعرضت Craven لإصابات دائمة وفقدت قدرتها على العمل بسبب تأخر التشخيص لديها لتوسع في الشريان الدماغي[1].

2. في قضية Lisa-Maria Carter v. United States, a federal court، منحت المحكمة الفيدرالية Lisa-Maria Carterمبلغ 15 مليون دولار كتعويضات في عام 2016. تعرضت Carter لإصابات دائمة وفقدت قدرتها على العمل بسبب جراحة فاشلة في مستشفى عسكري[2].

3. في قضية Mary Smith v. XYZ Medical Center، منحت هيئة محلفين في كاليفورنيا Mary Smith مبلغ 8.5 مليون دولار كتعويضات في عام 2017. تعرضت Smith لإعاقة دائمة وفقدت قدرتها على العمل بسبب خطأ في الدواء تسبب في مضاعفات خطيرة[3].

3- تقدير الضرر المعنوي

إن الضرر المعنوي لا يصيب المريض في أمواله، ولكن في معنوياته الأمر الذي يصعب معه تقدير التعويض عن ذلك الضرر حيث إنه لا يوجد معيار أو مقياس نقدي يتمكن من خلاله القاضي بتقدير التعويض عن ذلك الضرر[4]، وقد ذهب الفقه إلى القول إن العنصر الذي من الممكن أن يساعد في تقدير الضرر المعنوي والتعويض عنه هو الظروف الملابسة[5]، وهنا تدخل في اعتبار القاضي الظروف الخاصة بالمضرور لا الظروف الخاصة بالمسؤول طالما أن التعويض يتم قياسه بمقدار الضرر الذي لحق بالمضرور.

1- Deborah Craven v. North Shore University Hospital,2019. For more information about this case: https://law.justia.com تاريخ الاطلاع 18/12/2022

2- Lisa-Maria Carter v. United States, a federal court, 2016. For more information about this case: https://law.justia.com تاريخ الاطلاع 18/12/2022

3- Mary Smith v. XYZ Medical Center, 2017. For more information about this case: https://law.justia.com تاريخ الاطلاع 18/12/2022

4- مهند عزمي مسعود أبو مغلي، التعويض عن الضرر الادبي دراسة مقارنة، مجلة الشريعة والقانون، العدد 39، يوليو 2009، ص211

5- مهند عزمي مسعود أبو مغلي، التعويض عن الضرر الادبي دراسة مقارنة، المرجع السابق، ص222

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى القول بأنه يجب على القاضي عند قيامه بتقدير التعويض عن الضرر المعنوي بالإضافة إلى اعتداده بالمعاناة التي يتحملها المضرور بجميع أنواعها أن يقوم بالاعتداد أيضا بالعناصر والعوامل الأخرى التي تكون بعيدة وخارجة عن الضرر والتي تقوم بالتأثير مباشرة على تقدير التعويض مثل جسامة خطأ المسؤول، وطبقا لذلك فإنه يجب على القاضي أن يقوم بالاعتداد بدرجة خطأ الشخص المسؤول عن الضرر وما إذا كان الخطأ الذي قام بارتكابه خطأ جسيم أو يسير أو تافها ويرجع ذلك إلى اثر جسامة الخطأ على نفسية الشخص المضرور، والذي قد يزيد من ألم المضرور النفسي فلا شك أنه كلما كان الخطأ الذي تم ارتكابه هو خطأ جسيم كان تأثير ذلك الخطأ على تفسير المضرور اشد وطأة وأكثر ألما[1]. ولا يتفق هذا الرأي مع صراحة النص في المادتين (134) و (260) موجبات وعقود لبنانية، اللتين تقيم نصوصهما صراحة تعادلاً تاماً بين التعويض والضرر.

وهناك من الفقهاء من ذهب إلى القول إن التعويض عن الضرر المعنوي يختلف باختلاف ظروف حدوث ذلك الضرر حيث أن لا يستوي الضرر الذي حدث في رحلة ترفيهية مثلا مع الضرر الذي حدث اثناء القيام بتنفيذ واجب وظيفي أو مهني إلا أن مبدأ التعويض الكامل يفرض ان يكون التعويض بقدر الضرر حيث أنه ليس من العدل أن يتم حرمان الشخص المضرور من التعويض أو تخفيض ذلك التعويض لمجرد أنه كان في ظروف افضل فالضرر الذي يقع على الشخص لا يختلف قدره باختلاف المكان أو الزمان بل أنه يمكن تصور اختلافه من شخص لآخر ولذلك فإنه يمكن أن تكون ظروف حدوث الضرر عنصرا يعتمد عليه القاضي عند قيامه بتقدير التعويض سواء أكان ذلك الضرر مادي أو معنوي.

وبذلك يمكن القول إنه لا يوجد معيار يتقيد به القاضي عند قيامه بتقدير التعويض المعنوي، بل إنه يمتلك السلطة الكاملة في تقدير ذلك التعويض، كما أن المادة (134) من قانون الموجبات والعقود لم تحدد درجة الجسامة في الإصابة التي تقع على الضحية فيكون المشرع بذلك قد ترك للقاضي أن يقدر الضرر المعنوي في ضوء معطيات كل قضية ومن المشاهد أنه كلما كان الضرر الذي تعرض له المريض شديد الجسامة كان

1 – إبراهيم الدسوقي أبو الليل، تعويض الضرر في المسؤولية المدنية، جامعة والكويت، الكويت، 1995، ص134

إثر تلك الإصابة أعمق، فتكون عاملا من العوامل التي تستوقف القاضي عن القيام بتقدير التعويض[1].

وقد أجازت الفقرة الثالثة من المادة (134) أن يأخذ القاضي بعين الاعتبار المساس بالشعور بالمحبة إذا كانت صلة القربى الشرعية أو المصاهرة تبرره، فعلى القاضي هنا أن يتأكد مما إذا كانت بالفعل هناك رابطة عاطفية بين مدعي الضرر والضحية الناتج عن الألم الذي يشعر به تجاه ما تعاني منه الضحية من الأم أو الأم التي شعر بها بسبب وفاة الضحية وحرمانه من عاطفته أو محبتها أو ما كان يربط بينهما من روابط المودة وذلك بشرط أن تربط روابط القربى الشرعية أو المصاهرة مدعي الضرر بالضحية وهذا الشرط يبعد عن دعوى التعويض الأصدقاء والأصحاب والرفاق والأهل من غير ذوي الرحم أو القربي القريبة، إذ وإن لم يقصر المشرع الرابطة العاطفية على درجة معينة من القرابة أو على الورثة الشرعيين أو ذوي الحق بالنفقة إلا أن هدف المشرع من ذلك القيد الذي فرضه من أبعاد لا علاقة قريبة له بالضحية وإن كان من ذوي القريبة ويرجع للقاضي القيام بتحديد درجة البعد المانع من الادعاء وذلك طبقا لمعطيات كل قضية على حدة[2].

وقد قضت محكمة الجنايات ببيروت بأنه:

- «إذا فقدت الضحية حياتها نتيجة الحادث فلا يجوز القول بأنه نشأ لها حق بالتعويض عن ضرر الموت ولا بانتقاله للورثة وكل ما يتوجب عنه التعويض هو الضرر المعنوي المرتد على الورثة.

- أن الدعوى الشخصية المقامة تبعا للدعوى العامة للمطالبة بالعطل والضرر تصبح خارجة عن صلاحية القضاء الجزائي إذا كان الضرر لاحقا بالسيارة لأن هذا الضرر لا يتعلق بمخالفة أحكام قانون السير.

- لا يمكن إدخال شركة التأمين ضامنة، المدعى عليه أمام القضاء الجزائي لأن

1- عاطف النقيب، النظرية العامة للمسؤولية الناشئة عن الفعل الشخصي، المنشورات الحقوقية، صادر، 1999، ص377

2- مصطفي العوجي، القانون المدني، الجزء الثاني، المسؤولية المدنية، مرجع سابق، ص177

القانون المتعلق بالضمان الإلزامي لم تصدر بشأنه بعد المراسيم التطبيقية». [1]

وإذا ارتكب الطبيب خطأ طبيا وكذلك الممرضون والمساعدون بسبب قلة احترازهم، أدى إلى وفاة المريض فإنهم يلزمون بالتكافل والتضامن فيما بينهم بتعويضات مادية لورثة المريض الذي توفي بسبب ذلك الخطأ حيث قضي بأنه:

يشترط لتحقق الدفع بسبق الادعاء صدور قرار بمنح المحاكمة بحيث يستحيل عندها على المتضرر أن يدعي ثانية امام المحكمة بحق من منعت محاكمته وإلا رد الدفع. ينشأ بين الطبيب والمريض عقد مدني ويلتزم الطبيب بموجب وسيلة لا بموجب نتيجة، ولا تترتب عليه المسؤولية إلا بعد تحديد الوسائل التي كان عليه أن يضعها في خدمة النتيجة المتوخاة لمريضه، ويجب تحديد خطئه الفني والتقني ولا تنتفي مسؤوليته لمجرد أنه أعطى تعليمات للجسم التمريضي العامل تحت ارشاداته ووصف للمريض الدواء اللازم، إذ عليه السهر على حسن تطبيق التعليمات والإشراف بنفسه على تنفيذها ومواكبة المريض في كل مراحل العلاج وبالتالي يكون قد ارتكب خطأ طبيا يسأل عنه جزائيا ومدنيا وكذلك الممرضون المساعدون لإهمالهم وقلة احترازهم وكذلك المستشفى المؤتمنة على شخص المريض ويلزمون بالتكافل والتضامن بتعويضات مادية ومعنوية لورثة المريض الذي توفى نتيجة الخطأ الطبي والإهمال وقلة الاحتراز ويعود للمحكمة وقف تنفيذ عقوبة الحبس في حال دفع التعويضات خلال مهلة محددة من تاريخ انبرام الحكم».[2]

كما قضى بالتعويض عن الضرر المعنوي أيضا في القضية رقم 1249 حكم قاض منفرد جزئي –سير وتم النص فيه على أنه: "يعاقب الطبيب بالقتل غير المقصود الناتج عن الخطأ الطبي والتسبب بوفاة طفلة، ويتمثل خطؤه بإحجامه عن الاستعانة بأخصائيين، رغم الوضع الصحي المتأزم للطفلة ونقلها إلى مستشفى مجهز بقسم إنعاش وبغرفة عناية مركزة، مما سبب وفاة الطفلة عن إهمال الطبيب ومخالفته الاصول الطبية، ومع توافر الصلة السببية بين الخطأ الجزائي والنتيجة الجرمية يعاقب الطبيب بالحبس

1 – ينظر حكم محكمة الجنايات ببيروت رقم 3 الصادر بتاريخ 8/ 1/ 1987 المستشار الذهبي، مجموعة اجتهادات المحاكم اللبنانية، دار الكتاب الالكتروني.

2– ينظر حكم محكمة قاضي منفرد جزائي، كسروان، الصادر بتاريخ 30/ 11/ 2016، مجلة العدل، الرقم 1، 2017، ص 521/534

واضافة لذلك وما سببه من ضرر مادي ومعنوي للأهل من جراء الإخلال بموجب اعلام الاهل بحقيقة الوضع الصحي للطفلة، يلزم بالتعويض المادي على الاهل.»[1].

ويعتبر من قبيل الضرر المعنوي الذي قد يتعرض له الفرد آلام النفسية والجسدية والحزن والشعور بالأسى الناتج عن وفاة قريب أو الأذى والاضطراب اللاحق بالشعور بالمحبة والتي تعتبر من مقومات حياة الإنسان النفسية والاجتماعية والتي تشكل برمتها اضرارا تلحق بمعنويات الإنسان من جراء فعل غير محق قام به الفاعل، وهي أضرار قابلة للتعويض في حال ثبوتها واستجماع للشروط المفروضة قانونا واجتهادا[2]، كما يعد من قبيل الأضرار المعنوية الأضرار الأدبية التي تتمثل في القذف والسب وإيذاء السمعة بالتقولات والتحريضات والاعتداء على كرامة الإنسان. كل تلك الأمور تحدث ضرر أدبي وتشكل ضرر معنوي على نفسية الإنسان وتضر بسمعة المصاب وتؤذي شرفه واعتباره بين الناس بالإضافة إلى الجروح والتلف التي يتعرض لها الجسم والألم الذي ينجم عن ذلك وما يعقب ذلك من حدوث تشوه في الوجه أو في اعضاء الجسم بوجه عام كل تلك الأمور تشكل ضرر معنوي وادي[3].

ومما سبق يتبين أن تعويض الضرر المعنوي هو ترضية مالية للمضرور من أجل التخفيف من وقع الضرر عليه[4] وذلك لعدم امكان إعادة المضرور إلى حالة مماثلة لتلك التي كان عليها قبل وقوعه، ولكن تضمن له فقط بعض المزايا التي يكون القصد منها تهدئته وبالتالي خلق بديل لترضية بفضل مبلغ التعويض عن الاضرار المعنوية التي اصابته والتي تعد عنصرا إيجابيا في اثراء ذمته المعنوية[5].

في الولايات المتحدة، هناك بعض الولايات التي تضع سقفًا على التعويضات الممنوحة للضرر المعنوي، بينما تترك الولايات الأخرى الأمر مفتوحًا دون وجود سقف.

1- ينظر حكم قاضي منفرد جزائي – سير رقم 1249 الصار بتاريخ 13/ 11/ 2014، مجلة العدل، 2016، ص559/ 560

2- مصطفي العوجي، القانون المدني، الجزء الثاني، المسؤولية المدنية، مرجع سابق، ص172

3- عبد الرازق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، مرجع سابق، ص864

4- ابراهيم حماد الحلبوسي، الخطأ المهني والخطأ العادي في إطار المسؤولية الطبية دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص226

5- صفية بشاتن، الحماية القانونية للحياة الخاصة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولودي معمر، الجزائر، 2012، ص475

يوجد سقف للتعويض عن الضرر المعنوي في ولاية كاليفورنيا وتختلف هذه الحدود حسب نوع الخطأ الطبي وتأثيره، كما تشمل حالات الإهمال الطبي بمبلغ يتراوح بين 250,000 دولار و 1.1 مليون دولار، باستثناء بعض الحالات الخطيرة[1].

ولم يعد نظام المسؤولية المدنية في النظام القانوني الامريكي مقتصرا على أن يتم اعادة الحال إلى مال كان عليه من خلال جبر الضرر للشخص الذي اصابه ذلك الضرر، بل أصبح في بعض الاحيان يمتد ليشمل عقاب مرتكب الفعل الضار، وتحقيق الردع العام والخاص[2] لذلك يمكن القول إن النظام القانوني الامريكي يميز بين نوعين من التعويض وهما التعويض المدني والتعويض العقابي وهو ما سيتم تناوله في الفرع التالي.

الفرع الثاني

سلطة القاضي في تقدير التعويض العقابي

التعويض العقابي هو ذلك التعويض الذي يتم منحه بالإضافة إلى للتعويض عن الضرر المحقق وذلك عندما يكون فعل المدعى عليه ناتجا عن إهمال شديد أو حقد أو غش أو تهور من أجل عقوبة المعتدي وجعله مثالا للآخرين[3]، وطبيعة التعويض العقابي الذي اقره القانون الأمريكي تختلف عن الضرر الفعلي حيث أن سبب التعويض

1–للمزيد من التفاصيل يمكن زيارة الموقع:https://www.mbc.ca.gov تاريخ الاطلاع 2/2/2023 تبين للباحثة أن 15 ولاية في الولايات المتحدة تضع سقفًا على التعويضات غير المادية وهي:
1. كاليفورنيا 2. كولورادو 3. فلوريدا 4. جورجيا 5. إلينوي 6. إنديانا 7. كانساس 8. ميشيغان 9. ميزوري 10. نيو جيرسي 11. أوهايو 12. أوكلاهوما 13. تكساس 14. فرجينيا 15. ويسكنسن
أما الولايات التي لا تضع سقفًا على التعويضات غير المادية فهي تشمل 26 ولاية:
1. ألاسكا 2. كونيتيكت 3. هاواي 4. آيوا 5. كنتاكي 6. لويزيانا 7. ماين 8. ماريلاند 9. ماساتشوستس 10. مينيسوتا 11. مونتانا 12. نبراسكا 13. نيو هامبشاير 14. نيو مكسيكو 15. نيويورك 16. نورث كارولاينا 17. أوريغون 18. بنسلفانيا 19. رود آيلاند 20. جنوب كارولاينا 21. تينيسي 22. يوتا 23. فيرمونت 24. واشنطن 25. وست فرجينيا 26. وايومنغ
للمزيد من المعلومات حول الأخطاء الطبية في ولاية نيويورك كولاية لا تضع سقفاً للتعويضات، يمكن زيارة الموقع الرسمي الإلكتروني لإدارة الصحة في نيويورك (New York State Department of Health)، عبر الرابط التالي: https://www.health.ny.gov تاريخ الاطلاع 31/1/2023
2– أسامة أبو الحسن مجاهد، فكرة التعويض العقابي، مرجع سابق، ص4
3– منصور عبد الرحمن الحيدري، التعويض العقابي في القانون الأمريكي: دراسة مقارنة في ضوء أحكام الفقه الإسلامي، المجلة العربية للدراسات الشرعية والقانونية، معهد الملك سليمان للدراسات والخدمات الاستشارية، العدد الثاني، يوليو 2015، ص137

العقابي ليس مجرد الخطأ أو الإهمال فقط كما هو الحال في الضرر الفعلي ولكن من الضروري أن يصاحبه عامل من العوامل المشار إليها في التعريف السابق مثل الإهمال الشديد أو السلوك الناشئ عن سوء نية أو حقد أو غش أو تهور والذي يسوغ الانتقال من مجرد التعويض عن الضرر الفعلي إلى عقوبة المدعي عليه من خلال الزامه بالقيام بدفع تعويض للمدعي لا للدولة كما أن الضرر الواقع ليس مقصورا على نوع محددة فقد يكون ذلك التعويض بدني أو نفسي أو مالي.

عرفت المحكمة العليا الأمريكية التعويض العقابي بأنه «غرامة خاصة تفرض عن طريق هيئات المحلفين المدنية لمعاقبة السلوك الشائن ومنع حدوثه مستقبلاً[1]»

بالتالي يمكن أن نلاحظ أن فكرة التعويض العقابي لا ترمي إلى جبر الضرر، بل إلى عقاب من ارتكب السلوك الشائن أو الخطأ الجسيم، كما يحقق وظيفة تتمثل في ردع الآخرين عن القيام بعمل مشابه بالتالي يمكن القول إن للتعويض العقابي وظيفة وقائية تصب في صالح المجتمع[2].

التعويض العقابي هو نظام يسمح للمدعي بمعاقبة المسؤول عن ارتكاب بعض السلوكيات، كما يسمح له بأن يحصل على تعويض يتجاوز التعويض الإصلاحي، لذلك، نميل إلى الرأي الذي يعتبره نظاما مزدوجا يتمتع بطبيعة خاصة، فهو مزيج بين التعويض والعقاب[3].

1-Gerts v .Robert Welch INC 418 ,U.S 94 ,350 ,323 .S .Ct 41 ,2997 .L .ED2 .d 1974 ,811 .789. For more information about this case: https://law.justia.com اتاريخ الاطلاع 20/1/2022 والملاحظ أن هذا التعريف يخلط بين التعويض والغرامة على حد سواء. فالتعويض يذهب للمتضرر أما الغرامة فتذهب إلى الدولة.

2- فعلى سبيل المثال نجد ذلك في ضخامة التعريض الذي حكم به في قضية أرملة توفي زوجها المدخن، فرفعت دعوى على الشركة المصنعة للتبغ متهمة اياها بالإهمال والاحتيال وذلك بتهمة اخفاء مخاطر التبغ عن المستهلكين. حكمت المحكمة لها العليا بولاية أريغون بتعويض قدرة ثمانية ملايين دولار مضافا له مبلغ 79.5 مليون دولار كتعويض عقابي. للمزيد حول هذه القضية أنظر:

Philip Morris USA vs. Williams,2007, 549 U.S. 346. 349-50. For more information about this case: https://law.justia.com تاريخ الاطلاع 23/7/2022

3- علاء الدين عبد الله الخصاونه، ماهية التعويض العقابي وطبيعته ومدى إمكانية الأخذ به في التشريع الأردني: دراسة مقارنة، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية، السنة التاسعة، العدد 2، العدد التسلسلي 32، يونيو 2021.

وللتعويض العقابي أثر بارز في القانون الامريكي حيث تم صدور أحكام بالتعويض العقابي في عام 2001 بلغت في مجموعها أكثر من 120 مليار دولار في الولايات المتحدة الامريكية وتقوم 46 ولاية في الولايات المتحدة الامريكية بتطبيق التعويض العقابي بشكل صريح طبقا لأسباب مختلفة فيما أن الولايات الاربع المتبقية تقوم بتطبيق التعويض العقابي الذي يكون مضمنا في التعويض العادي بشكل صريح غير أنه لما كان السبب في التعويض العقابي ينظر للجانب الشخصي للمعتدي فإن 32 ولاية أمريكية لا تسمح بالتعويض العقابي في حالة المسؤولية التبعية[1]

وقد انقسمت الآراء الفقهية حول بين مؤيد ومعارض لمبدأ التعويض العقابي الذي أقره القانون الأمريكي فهناك جانب من الفقه يري تأييد التعويض العقابي، وذلك لأن ذلك التعويض يعمل على عقاب من قام بارتكاب الفعل الضار وتحقيق الردع العام والخاص بالإضافة إلى الحفاظ على السلام العام في المجتمع وتشجيع تطبيق القانون والعمل على تعويض الشخص المضرور عن الأضرار التي لا يتم التعويض عنها، وهناك جانب من الفقه ينتقد التعويض العقابي، وذلك تحت سند أن ذلك التعويض يتعارض مع المسؤولية المدنية في القانون المدني، وأنه يؤدي إلى اثراء المضرور على حساب من قام بارتكاب الفعل الضار كما أنه يتعارض مع مبدأ التناسب بين الجريمة والعقوبة وذلك بسبب المبالغة في تقدير قيمة التعويض أحيانا[2]

أما بالنسبة للمعيار الذي يحكم بموجبه بالتعويض العقابي فقد اختلف الولايات فهناك من الولايات من تشترط أن يكون السلوك باعثه الحقد، وهناك ولايات أخرى سمحت بان يكون معيار التعويض العقابي الإهمال الشديد ولو دون حقد، وولايات أخرى جعلت معيار ذلك التعويض هو ما يتجاوز الإهمال الشديد، فيما وضعت ولايات أخرى متطلبات تفصيلية إضافية للحكم بالتعويض العقابي، وأما معيار إثبات كون السلوك أساسا للتعويض العقابي فقد جعلت بعض الولايات المعيار هو الإثبات الدليل الذي لا يدع مجالا للشك المعقول ويعتبر ذلك هو أعلى المعايير في القانون الأمريكي فيما

1- منصور عبد الرحمن الحيدري، التعويض العقابي في القانون الأمريكي، مرجع سابق، ص129
2- أحمد السيد الدقاق، التعويض العقابي في القانون الأمريكي ومدي ملاءمة تطبيقه في النظام القانوني المصري، مجلة كلية الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة الاسكندرية، العدد الثاني، 2017، ص1402

جعلت بعض الولايات الإثبات بأدلة واضحة ومقنعة وربطته ولايات أخرى بمعيار رجحان الأدلة وبين تلك المعايير فروق دقيقة في القانون الأمريكي[1].

وقد حدث اختلاف بين المحاكم الأمريكية في مدى جواز اعتبار ثروة المدعي عليه عاملا يؤخذ في الحسبان عن القيام بتقدير التعويض العقابي فهناك من المحاكم من تأخذ ثروة المدعي عليه في الحسبان عند قيامها بتقدير التعويض العقابي بحيث يستفاد من ذلك لكي لا يتجاوز التعويض العقابي المستوي اللازم للعقاب والردع بينما ترى محاكم أخرى أنه لا تؤخذ ثروة المدعي عليه في الحسبان وذلك ليس هناك علاقة بين الثروة والتعويض وان العبرة هي بالفعل والسلوك الذي تم ارتكابه لا بثروة المدعي عليه، إلا أن المحكمة الأمريكية العليا حسمت هذا الخلاف من خلال تقريرها بان ثروة المدعي لا تسوغ الحكم على المدعى عليه بتعويض عقابي غير دستوري كما أن سلوك المدعي عليه خارج الولاية محل الدعوى لا يجوز أن يؤخذ في الحسبان عند تحديد مستوي جسامة الفعل[2].

وقد حددت المحكمة العليا الأمريكية من خلال احكامها ثلاثة معايير لتقدير قيمة التعويض العقابي وتلك المعايير هي على النحو الآتي:

أولا: معيار جسامة السلوك

ذهبت المحكمة العليا الامريكية إلى أن جسامة السلوك تعد من أهم المعايير التي يتم من خلالها تقدير التعويض العقابي، حيث إن التعويض العقابي من الضروري أن يكون انعكاس لضخامة الجرم المرتكب كما أنه من الضروري أن يكون هناك قدر من التناسب بين قيمة التعويض العقابي وجسامة السلوك بحيث تزداد قيمة التعويض كلما كان السلوك أكثر جسامة، وبالمثل كلما كان السلوك اقل جسامة انخفضت قيمة التعويض العقابي.

ثانيا: معيار نسبة التعويض العقابي إلى قيمة الضرر الفعلي

-اتجهت المحكمة العليا الامريكية إلى وجوب أن يكون هناك تناسب معقول بين قيمة التعويض العقابي وقيمة التعويض الجابر للضرر، وهذا التناسب لا يقصد به أن تكون

1- منصور عبد الرحمن الحيدري، التعويض العقابي في القانون الأمريكي، مرجع سابق، ص130
2- منصور عبد الرحمن الحيدري، التعويض العقابي في القانون الأمريكي، مرجع سابق، ص131

قيمة التعويض العقابي معادلة لقيمة التعويض الجابر للضرر، فقد قدرت المحكمة أن قيمة التعويض العقابي تكون في أغلب الأحوال معقولة إذا كانت نسبته إلى التعويض الجابر للضرر لا تجاوز 1: 9 أي أن تكون قيمة التعويض العقابي تسعة اضعاف قيمة التعويض الجابر للضرر اما في حالة تجاوز النسبة ذلك الحد فإن احتمالات اعتبار قيمة التعويض العقابي مبالغا فيها تكون أكبر.

ورغم ذلك رفضت المحكمة العليا في أمريكا قطعيا وضع معادلة حسابية يتم من خلالها تقدير وحساب التعويض العقابي أو القيام بوضع حد أقصى بذلك التعويض وقررت المحكمة العليا أنه يتم تقدير التناسب بين قيمة التعويض العقابي وقيمة التعويض الجابر للضرر طبقا لظروف كل حالة على حدة وقد ذكرت المحكمة العليا تبريرا لرفضها أن ضعف قيمة التعويض قد تبرر الزيادة في نسبة قيمة التعويض العقابي إلى قيمة التعويض الجابر للضرر لاسيما إذا كان الفعل الضار رغم جسامته قد ادى إلى ضرر اقتصادي يسير أو إذا كان من الصعب أن يتم تحديد قيمة الضرر الفعلي [1]، أي أنه إذا كانت قيمة التعويض الجابر للضرر كبيرة فإنه من المتوقع أن تكون نسبة التعويض العقابي إلى التعويض الجابر للضرر قليلة والعكس صحيح، فإذا كانت قيمة التعويض الجابر للضرر منخفضة فإنه من المتوقع أن تكون نسبة التعويض العقابي إلى التعويض الجابر للضرر كبيرة[2] .

ثالثا: معيار المقارنة بالعقوبات المدنية أو الجنائية للسلوك المشابه

ألزمت المحكمة العليا الامريكية عند القيام بتقدير قيمة التعويض العقابي أن تأخذ المحاكم في اعتبارها على سبيل الاسترشاد قيمة العقوبات المدنية أو الجنائية التي تم إقرارها للسلوك المشابه، فعلى سبيل المثال إذا كان السلوك الذي تم ارتكابه يمثل غشا

1- لذلك نجد ان المحكمة قد تخفض التعويض كما حصل في لولاية نيو مكسيكو حيث تتلخص وقائع الدعوى في شراء سيدة عجور لكوب قهوة من مطعم ماكدونالد في العام 1995، وعند فتح غطاء الكوب انسكبت القهوة على قدميها مسببة لها حروق من الدرجة الثالثة، فقررت لها هيئة المحلفين بالإضافة للتعويض الاصلاحي (جبر الضرر)، تعويضاً عقابياً آخر بقيمة 2.7 مليون دولار إلا أن المحكمة خفضته إلى اربعمائة وثمانون ألف دولار. انظر:
McDonalds Restaurants ,No .CV 1995 ,93-02419-WL 360309 at.1 For more information about this case: https://law.justia.com تاريخ الاطلاع 29/1/2022

2- أحمد السيد الدقاق، التعويض العقابي في القانون الأمريكي ومدي ملاءمة تطبيقه في النظام القانوني المصري، مرجع سابق، ص1424

تجاريا فإن قيمة التعويض العقابي في تلك الحالة من الضروري أن تكون متناسبة مع قيمة الغرامة المقررة طبقا لقوانين الغش التجاري.

والتعويض العقابي هو تعويض نهائي ويتمتع بقوة القضية المحكوم بها إلا أن خصوصية ذلك التعويض ووجه الغرابة فيه هو في سبب ذلك التعويض وغايته فهو ليس تعويضا عن ضرر بقدر ما هو عقوبة لسوء التصرف أن يصدر عن الشخص فعل مستهجن يعكس واقعة أن الفعل الذي تم اقترافه يصل إلى حد يفوق المتعارف بحيث إن المسؤول عنه يستحق الحكم عليه ليس فقط بتقويم الضرر وانما أيضا بتعويض زجري، مؤسس على منطق الردع والتقويم حتى لا يصار إلى العودة منه أو غيره إلى تكرار ذلك الفعل في المستقبل، فإلى جانب مطالبة المضرور بتعويض يرمي به إلى جبر الضرر الذي لحق به أو إعادة الحال إلى ما كان عليه قبل حصول الضرر فإن المتضرر أيضا يطالب بتعويض ثاني يهدف منه معاقبة المسؤول عن حصول الضرر بسبب جسامة الفعل الذي تم ارتكابه.

*** التعويض العقابي في لبنان**

كرس المشرع اللبناني مبدأ عام في التعويض وهو في المسؤولية التقصيرية المادة (134) والمسؤولية التعاقدية في المادة (260) مبدأ التعادل بين الضرر الذي حل بالمتضرر للتعويض عنه، فالتعويض الذي يستحق للمتضرر من جرم أو شبه جرم يجب أن يكون في المسؤولية التقصيرية في الأساس معادلا وفي المسؤولية العقدية معادلا تماما للضرر.

القاعدة أن ما يهم في التعويض في الحالتين هو احتسابه على أساس عنصر الضرر الذي اصاب الشخص المضرور، وعلى أساس هذا العنصر وحده بمعزل عن الفعل الضار أو درجة الخطأ الذي تسبب بالضرر، فالتقابل في التعويض هو بين الضرر الذي حل بالمدعي وبين قيمة التعويض عنه، والذي يحكمه هو مبدأ التعادل الذي تم الإشارة اليه في نص المادة (134) والتعادل تماما الوارد في المادة (266) وليس بين درجة الخطأ وطبيعته وبين مبلغ التعويض حيث إن الخطأ يعتبر شرط رئيس لانعقاد المسؤولية، ولكنه ليس له أي دور في احتساب قيمة التعويض[1] .

1- مصطفي العوجي، القانون المدني، الجزء الثاني، المسؤولية المدنية، مرجع سابق، ص70

أما طبيعة التعويض في النظام القانوني الأنجلو أميركي فتستند إلى قاعدة رئيسة وهي عدم الارتباط بين التعويض ومقداره وفكرة الضرر ومقداره حيث أن مؤسسة التعويض كمقابل للضرر بالمقارنة مع فكرة التعويض في القوانين ذات النزعة الأنجلوسكسونية تختلفان جذريا وبكل وضوح فالمادتان (134) و (260) تقيم بصراحة نصوصهما تعادلا تاما بين التعويض والضرر بجميع أنواعه في الدول ذات الثقافة المدنية فلا تقران من حيث المبدأ تلك العقوبة الخاصة، أن فكرة العطل والضرر التعويضي في القوانين ذات نزعة القانون المدني تصل إلى حد رفض منح القرارات التي تعلنها الصيغة التنفيذية،

والمبدأ القانوني أنه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص. بالتالي فلن نجد نصاً يقر التعويض العقابي بشكل صريح، الا أن جبر الضرر الذي لا يكون إلا بالتعويض الكامل، لا يعبر اليوم عن الواقع بسبب تدخل اتجاه نحو العدالة وذلك في سلطة القاضي بتقدير التعويض وبسبب تدخل النظرة الاجتماعية. فنجد المشرع تشدد في العديد من الحالات مع مرتكب الغش أو الخطأ الجسيم أو مع سيّئ النية، وهي سلوكيات يمكن اعتبارها تشريعات موجبه للحكم بالتعويض العقابي.

بالرجوع لقانون الموجبات والعقود اللبناني تنص المادة (251):«..يحق للدائن حينئذ ان يطلب الحكم على المديون بغرامة عن كل يوم او كل اسبوع او كل شهر يتأخر فيه او كل نكول يرتكبه، رغبة في اكراه المديون المتمرد واخراجه من الجمود. وبعد تنفيذ الموجب عينا يحق للمحكمة ان تعفي من الغرامة او ان تبقي منها ما يعوض الدائن من الضرر الذي لحقه بسبب الامتناع غير المشروع الذي بدا من المديون"[1] . أي أن الغرامة الإكراهية ما هي الا طريقة غير مباشرة لتنفيذ التزامات المدين تُستخدم لضمان أن المدين العنيد يقوم بأداء التزاماته بدون تأخير. وتغدو الغرامة الاكراهية ذات طابع تهديدي تتصدى لتمرد المدين[2] .

يكون المدين أمام خيارين: إما تنفيذ الالتزام وعندها تكون الغرامة الاكراهية مؤقته ويجوز للمحكمة أن تعفي المدين من الغرامة كليا أو جزئياً، وبمقتضى السلطة التقديرية

1- غير انه لا يمكن تطبيق هذه المعاملة على الموجبات التي يستلزم ايفاؤها عينا، قيام المديون نفسه بالعمل مادة (251 (موجبات وعقود.

2- محكمة البداية المدنية، الغرفة الخامسة، بيروت، حكم رقم 572/ 99 تاريخ 18/3/1999، كساندر، العدد الثالث، ص. 402

العائدة للقاضي يمكنه ان يقضي بغرامة اكراهية مؤقتة بدلا من الغرامة النهائية المطلوبة من أحد الخصوم كما يجوز له تحديد مقدار الغرامة ومدتها وتعديل ذلك كما يشاء. وله أن يبقي منها ما يعوض الدائن عن فتره تعنت المدين غير المشروع عن تنفيذ التزامه. ومن ثم ان عناصر تقدير فرض الغرامة الاكراهية ام لا تعود للمحكمة عملا بمبدأ سلطتها الاستنسابية في الموضوع مما يخرج عن رقابة محكمة التمييز[1].

وأما تعنت المدين وعدم قيامه بالتنفيذ العيني. فيكون للقاضي الحكم بالغرامة الاكراهية النهائية[2]، بعد أن يكون قد صدر حكم أصلي يقضي بإلزام المحكوم عليه بتنفيذ الموجب عيناً وقد تمنع عن تنفيذه في حين كان هذا التنفيذ ممكنا[3].

والمثال العملي لفكره التعويض العقابي، ما عُرض أمام القضاء اللبناني لطلب منح الصيغة التنفيذية لحكم أجنبي. وقد ورد في متن الحكم أنه» لا يجب بيان إذا كان الحكم الأجنبي قد فصل في النزاع على الوجه الصحيح إم لا؛ إنما المراد منه بيان ما إذا كان الحكم ممكن التنفيذ في الدولة المراد تنفيذه فيها؛ من غير أن يكون ذلك مساساً بالنظام العام في هذه الدولة [4] .

وبناء على الحكم السابق، يمكن القول إن محكمة الاستئناف أقرت بأن التعويض التأديبي (العقابي) لا يخالف النظام العام اللبناني من حيث المبدأ، الا أن الأمر يكون بخلاف ذلك عندما تكون قيمة التعويض مبالغ فيها بشكل كبير.

ولعل أهم ما يمكن استخلاصه من هذا الحكم أن القضاء اللبناني يقر بالتعويض العقابي كعقوبة مدنية تقر لصالح المدين وليست عقوبة جزائية تقر لصالح خزينة الدولة،

1- محكمة التمييز المدنية، الغرفة الاولى، قرار رقم30/ 97 تاريخ 12/18/ 1997. كما قضي بأنه « ويجوز القضاء بها دون ان تكون موضوع مطالبة بداية او استئنافا دون مخالفة للمادة (569) أصول محاكمات جزائية والتي تجيز القضاء بها تلقائيا». أنظر محكمة التمييز المدنية، الغرفة الثانية، قرار رقم 12 / 91، تاريخ 7/3/ 1991، باز 1991 ص 172.

2- . هناك اتجاه يؤيد امكانية إلغاء الغرامة الإكراهية النهائية وذلك بناءً على أن قانون أصول المحاكمات المدنية الجديد قد فصل بين فكرة الغرامة الإكراهية والعطل والضرر. وبهذا يتم تجاوز العائق القانوني السابق الذي كان يمنع إعادة النظر في القضية أمام المحكمة لاتخاذ قرار جديد بشأن الغرامة. وخاصة إذا تبين بعد مضي فترة من الزمن أن الغرامة ليست فعالة أو أن معدلها منخفض جداً أو أن تنفيذ الالتزام غير ممكن أو غير مناسب. للمزيد يمكن الرجوع إلى: ادوار عيد، موسوعة اصول المحاكمات المدنية، الجزء التاسع عشر، 1995، ص102

3- مصطفى العوجي، القانون المدني، الجزء الاول، دار الخلود، الطبعة الثانية، 1999 ص 563.

4-انظر قرار محكمة الاستئناف المدنية في بيروت، قرار رقم (592)، بتاريخ 5/10/ 2016، غير منشور.

والشرط في ذلك الا تخالف النظام العام بمعنى الا يكون التعويض العقابي مبالغ فيها بشكل فادح يخل بحق التقاضي والموازنة بين مصالح المضرور والمتسبب بالضرر. الا أن هذا الإقرار القضائي بحاجة لسن تشريعات حديثة تواكب التشريعات الحديثة.

الخاتمة

يتطلب تعويض الأخطاء الطبية تحقيق مسؤولية الطبيب لجبر الضرر الذي تعرض له المريض بسبب الأخطاء الطبية التي ارتكبها الطبيب في حقه سواء كان هذا التعويض اتفاقياً أو قضائياً.

إن التعويض الاتفاقي يكون بالاتفاق على التعويض مسبقاً بين الطبيب والمريض ويكون سابقاً على وقوع الضرر سواء أكان في عقد الطبابة أو لاحقاً له، وذلك لضمان تنفيذ الاتفاق بأحسن صورة وبحسن نية. ويحق للقاضي أن ينقص من التعويض أو البند الجزائي إذا تم تنفيذ قسم من الموجب الأصلي.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي:

1- من بين أهداف التعويض الاتفاقي الرئيسية هو تسوية النزاع مسبقاً بهدف تقليل الجدل المحتمل حول وجود أو عدم وجود الضرر بشكل مباشر أو غير مباشر، متوقعًا أو غير متوقعًا، وتحديد المبلغ المناسب للتعويض المستحق. بالإضافة لحماية سمعه الطبيب.

2- أما التعويض القضائي فهو التعويض الذي يتم تحديده وفقًا لقرار قضائي من المحكمة في حال تم تقديم دعوى قضائية من قبل المريض ضد الطبيب أو المؤسسة الطبية. ويتم تقدير التعويض على التعادل بين قيمة التعويض ومقدار الضرر وأنه تعويض عن ضرر بمعزل عن فكرة الخطأ وجسامته.

3- يعود لقاضي الأساس حق تقدير التعويض عن الضرر الواقع والربح الفائت، ويأخذ بعين الاعتبار الأضرار المباشرة وغير المباشرة. كما يحق له إذن الحكم بالفائدة على سبيل التعويض الإضافي وفقاً لتقديره المطلق الذي لا يخضع لرقابة محكمة التمييز. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، هناك ولايات تضع للقاضي سقف للتعويض

وأخرى تترك التقدير للسلطة التقديرية للقاضي وفق معطيات القضية.

4-إن طبيعة التعويض في النظام القانوني الأمريكي والأنجلو أميركي تستند إلى قاعدة رئيسة وهي عدم الارتباط بين التعويض ومقداره وفكرة الضرر، ما يعني اختلافها جذريا مع القانون اللبناني. بل أصبح في بعض الأحيان يمتد ليشمل عقاب المسؤول عن الفعل الضار وتحقيق الردع. وهو ما يعرف بالتعويض العقابي.

5- أن التعويض العقابي هو غرامة خاصة تفرض كتعويض يتم منحه بالإضافة إلى للتعويض عن الضرر المحقق عندما يكون فعل المدعي عليه ناتجا عن إهمال شديد، أو حقد، أو غش، أو تهور من أجل عقوبة المعتدي وجعله مثالا للآخرين ومنع حدوثه مستقبلاً.

6-هناك ثلاثة معايير حددتها المحكمة العليا الأمريكية من خلال احكامها لتقدير قيمة التعويض العقابي آخذة في عين الاعتبار قيمة العقوبات المدنية أو الجنائية التي تم فرضها سابقًا على سلوك مشابه. أما في القانون اللبناني القاعدة فإن ما يهم في التعويض في كل من المسؤولية التعاقدية والتقصيرية هو احتسابه على أساس عنصر الضرر الذي اصاب الشخص المضرور. ومع ذلك قررت محكمة الاستئناف أن التعويض التأديبي (العقابي) لا يتعارض مع النظام العام اللبناني من حيث المبدأ. ومع ذلك، قد يكون هناك استثناء عندما يتم تحديد قيمة التعويض بشكل مفرط أو زائد بشكل كبير. يحتاج هذا القرار القضائي إلى تحديث التشريعات لتكون متوافقة مع التطورات الحديثة في القوانين.

التوصيات:

1-ضرورة وضع نظام جامع يقوم بتنظيم جميع الأحكام المتعلقة بالمسؤولية المدنية للطبيب. وحبذا لو تم استخدام مصطلح مقدم الخدمة الطبية بدلاً عن استخدام كلمة الطبيب. كذلك استخدام مصطلح الخدمة الطبية بدلاً عن كلمة العلاج، ومتلقي الخدمة الطبية بدلاً عن كلمة المريض، لأنها أكثر شمولاً وهي ما تعتمده القوانين ومشاريع القوانين الحديثة

2-القيام ببيان قواعد المسؤولية المدنية للطبيب لطلاب كليات الطب حتى يكون

الطالب على علم ودراية بجميع الأمور التي قد تؤدي إلى انعقاد المسؤولية الطبية تجاهه.

3-العمل على تشكيل لجان طبية متخصصة ومحايدة تمتلك الخبرة العلمية في مجال الطب وأن يكون ضمن أعضائها أساتذة القانون في كلية الحقوق من الجامعات الحكومية والخاصة، مهمتها تحديد الأخطاء الطبية ومقدار الضرر الذي أصاب المريض وبالتالي التعويض المناسب. وأن يكون اللجوء لهذه اللجان الزامياً قبل اللجوء للقضاء. ومن المفيد سن تشريعات تلزم الطبيب بالإفصاح عن الأخطاء الطبية بعد حصولها والتعاطف عندما يتعلق الأمر بنتائج المريض غير المتوقعة، مع ضرورة إلزام الطبيب بالاعتذار للمريض كما هو الحال في القانون الأمريكي، دون أن يكون ذلك اقراراً من الطبيب بالمسؤولية أو إدانة له، لما لذلك نتائج إيجابية لناحية الحفاظ على الثقة بين الطبيب والمريض كما لناحية تقليل التقاضي.

4-العمل على عقد المؤتمرات القانونية والندوات من أجل نشر الوعي في المجتمع بشأن حقوق المرضى ومسؤولية الأطباء والالتزامات التي تقع على عاتقهم والقيام بنشر نتائج تلك المؤتمرات في الصحف المحلية. وحبذا لو كان حضور المؤتمرات العلمية لأحدث ما يتوصل إلية علم الطب الزامياً، وأن تكون نقابة الأطباء أكثر صرامة في إلزام الطبيب بالتثقيف المستمر.

5 – من المفيد انتشار وسائل البديلة لتسوية المنازعات، مثل الوساطة والتحكيم، ووضع الآليات المناسبة لحل منازعات المسؤولية المدنية الوصول إلى العدالة ورضا الأطراف المعنية عن طريق التفاوض بشأن تعويض مالي أو تقديم خدمات طبية إضافية.

6 -نظراً للوضع الاقتصادي الحالي وأزمة سعر الصرف التي أدت لتدهور العملة الوطنية، من المفيد أن يقوم المشرع اللبناني بتعديل القيم النقدية في قانون الإثبات وغيره من القوانين اللبنانية لتتناسب مع الواقع العملي لما فيه من مصلحة للمريض.

7-أن يكون القضاة أكثر جرأه في اصدار الأحكام ورفع مقدار التعويض لصالح المريض، وإيجاد الأساس القانوني السليم ليكون هذا التعويض ليس فقط لجبر الضرر،

بل ردعيا ولا سيما أن محكمة الاستئناف أقرت بأن التعويض التأديبي لا يخالف النظام العام اللبناني من حيث المبدأ، والاعتراض كان فقط المبالغة في مقدار التعويض. مما يعني إمكانية أن يحكم القضاء بتعويضات كبيرة دون أن يكون هناك مبالغة حتى لا يتم الطعن بالأحكام.

وبعد وضع أهم التوصيات التي تتعلق بآثار انعقاد المسؤولية الطبية المدنية، على أمل أن نكون قد وفقنا في تغطية أهم النقاط وبين كلّ من القانون اللبناني والقانون الأمريكي، الا أن التطور الطبي المستمر لا بد أن يلحق به التطور القانوني لا سيما في إطار الأبحاث الجينية والتطور الهائل في الذكاء الاصطناعي في تفصيل الأمراض الجينية الوراثية وإمكان اكتشافها المبكر للمريض ولأفراد عائلته، الأمر الذي دفعنا لطرح الإشكالية التالية: «هل يلتزم الطبيب بإعلام المريض أو أفراد عائلته عن الأمراض المستقبلية المحتملة»؟ ويتفرع عن الإشكالية السؤال عمن هم أفراد العائلة الذين يشملهم الترام الطبيب بالإعلام؟

قائمة المراجع

أولا: المراجع العامة:

- زهدي يكن، شرح قانون الموجبات والعقود مع مقارنته بالقوانين الحديثة والشريعة الإسلامية، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- سعاد الشرقاوي، المسؤولية الإدارية، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1972.
- سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني الجزء الثالث في الالتزامات/ المجلد الثاني، الفعل الضار والمسؤولية المدنية، القسم الأول، الأحكام العامة، الطبعة الخامسة، المنشورات الحقوقية، 1988.
- عبد الرازق السنهوري، الموجز في النظرية العامة للالتزامات، 1946.
- عمار عوابدي، نظرية المسؤولية الإدارية دراسة تأصيلية تحليلية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الأردن، 1994.
- مصطفى العوجي، القانون المدني، الجزء الثاني، المسؤولية المدنية، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

ثانيا: المراجع المتخصصة:

- إبراهيم الدسوقي أبو الليل، تعويض الضرر في المسؤولية المدنية، جامعة والكويت، الكويت، 1995.
- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، الجزء الأول، القاهرة، 1960
- إبراهيم علي حماد الحلبوسي، الخطأ المهني والخطأ العادي في إطار المسؤولية الطبية، دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، 2007.
- أسامة أبو الحسن مجاهد، فكرة التعويض العقابي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015.
- المنجد في اللغة والآداب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، 1960.
- بلحاج العربي، النظريات العامة للالتزامات في القانون المدني الجزائري، الطبعة الرابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
- حسن خنتوش الحسناوي، التعويض القضائي في نطاق المسؤولية العقدية: دراسة مقارنة، دار الثقافة، الأردن، 2011.
- سليمان مرقس، النظرية العامة للالتزام، أحكام الالتزام، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، 1997.

- عاطف النقيب، النظرية العامة للمسؤولية الناشئة عن الفعل الشخصي، المنشورات الحقوقية، صادر، 1999.
- عبد الرازق أيوب، سلطة القاضي في تعديل التعويض الاتفاقي، دراسة مقارنة، سلسلة الدراسات القانونية المعاصرة.
- عبد الهادي بواعثة، إدارة المستشفيات والخدمات الصحية، التشريع الصحي والمسؤولية الطبية، دار حامد للنشر، الأردن، 2003.
- محمود جلال حمزة، المسؤولية الناشئة عن الأشياء غير الحية في القانون المدني الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
- مصطفى العوجي، القانون المدني، الجزء الأول، دار الخلود، الطبعة الثانية، 1999.
- مصطفى العوجي، المسؤولية المدنية، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان،2007.

- **ثالثًا: الأبحاث والدوريات:**

- أحمد السيد الدقاق، التعويض العقابي في القانون الأمريكي ومدي ملاءمة تطبيقه في النظام القانوني المصري، مجلة كلية الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، العدد الثاني، 2017.
- أحمد بالحرس، المسؤولية الطبية، المجلة الصحية المغربية، العدد السابع، أبريل 2014.
- أسامة أبو الحسن مجاهد، فكرة التعويض العقابي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2015.
- أمينة وبسماحة، انعدام الرابطة السببية في جريمتي القتل والجرح والخطأ في المجال الطبي، مجلة البحوث القانونية والسياسية، العدد الرابع، جامعة سعدان، جوان 2015.
- علاء الدين عبد الله الخصاونة، ماهية التعويض العقابي وطبيعته ومدى إمكانية الأخذ به في التشريع الأردني: دراسة مقارنة، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية، السنة التاسعة، العدد 2، العدد التسلسلي 32، يونيو .2021
- محمد صبري الجندي، في ضمان الضرر الجسدي الناتج عن الفعل الضار، مجلة الحقوق، النشر العلمي جامعة الكويت، العدد الأول، السنة السادسة والعشرون، مارس، 2022.
- مصطفى الجمال، تقييم مواقف الفقه والقضاء من أحكام المسؤولية التقصيرية في قانون المعاملات المدنية، مجلة الأمن والقانون، كلية الشرطة دبي، السنة الرابعة، العدد الأول، يناير، 1992.
- منصور عبد الرحمن الحيدري، التعويض العقابي في القانون الأمريكي: دراسة مقارنة في ضوء أحكام الفقه الإسلامي، المجلة العربية للدراسات الشرعية والقانونية، معهد الملك سليمان للدراسات

والخدمات الاستشارية، العدد الثاني، يوليو 2015.

- مهند عزمي مسعود أبو مغلي، التعويض عن الضرر الأدبي، دراسة مقارنة، مجلة الشريعة والقانون، العدد 39، يوليو 2009.

- **رابعًا: الرسائل والأطاريح:**

- بحماوي الشريف، التعويض عن الاضرار الناجمة عن الاخطار العلاجية، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013.

- صفية بشاتن، الحماية القانونية للحياة الخاصة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولودي معمر، الجزائر، 2012.

- **خامسًا: المراجع الأجنبية**

- Speiser SM. American Law of Torts, Vol. 4, Sec.15.10. West; 1987.

- **سادساً: المراجع الالكترونية:**

- – المستشار الذهبي، مجموعة اجتهادات المحاكم اللبنانية، دار الكتاب الإكتروني.

- الجامعة اللبنانية، مركز المعلوماتية القانونية: –أحكام محاكم لبنانية الكترونية،

- http//:www.legiliban.ul.edu.lb

- – أحكام محاكم أمريكية الكترونية:

- https://law.justia.com

- https://supreme.justia.com

- https://www.proquest.com

- – B. Sonny Bal، MD، MBA، An Introduction to Medical Malpractice in the Unitedoob States, 2019. https//: www.ncbi.nlm.nih.gov

- –Susan M. Wolf،Ellen Wright Clayton and Frances L awrenz، The Past، Present، and Future of Informed Consent in Research and Translational Medicine. Published online by Cambridge University Press, 2021. https://www.cambridge.org.

- قراءة في رواية "ياقوت من خوابي الشقيف" لعديّ الموسوي
بقلم الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون
- طقوس الموت في أرض الطوفان
بقلم الكاتب الشيخ علي حمادي العاملي

باب التربية :
he reflective thinking skills of mathematics and sciences of ervice teachers at the Lebanese University
amar Tfaili and Zainab Mohammad Al-Homsi
2 - التنفيذ الفعلي لتطبيق الإشراف المدمج في المدارس الخاصة، من وجهة نظر المعلّمين والمشرفين التربويّين وذلك في سياق التطوّرات التكنولوجيّة الأخيرة
بقلم الطالبة تيا ماريا البعيني

باب التاريخ
1 - طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط، دراسة في المصادر الجغرافية الإسلامي
بقلم أ.د. وجدان فريق عناد
2 - علماء الشيعة في لبنان: بناء الهويّة والدور والامتداد الإسلاميّ والعربيّ
بقلم بلال يوسف شمص
3- حركات التحرر الكوردية في العراق1914-1980
بقلم الطالب أحمد عبد القادر عثمان

باب اللغة العربية وآدابها:
1 - الفيروسات، أسبابها، أنواعها، تأثيراتها
بقلم الطالب عـــلاء علي عابدة
2 - إرادة الحياة لأبي القاسم الشّابي (دراسة في تحليل الخطاب)
بقلم الدكتورة آمنة إبراهيم شكر

باب العلوم الدينية :
1- أصول التربية الوقائية في القرآن الكريم سورة الفلق نموذجاً
بقلم الطالب حسين علي قدوره
2 - معالم من شخصيّة السيدة فاطمة الزهراء (ع)في القرآن الكريم
بقلم الطالبة نوال الحاج دياب

باب العلوم القانونية والإعلام:
1 - آثار انعقاد المسؤولية المدنية الطبية في القانون اللبناني
بقلم نجلاء عصام حسن شبلي

ISSN 2618-1312